

دولة الامام محمد العميقية

ملهم الملايكة

ايران



مكتبة ملهم

إيران دولة المساجد العميقة

ملهم الملايكة

لى أمى وأبى وقد افترقنا وأما دون وداع

فهرست

الثورة تبدأ بالأمهات
من مساجد السنة إلى حصار ترامب المخيف
منابر المساجد كمشاريع اعلامية للتصدي للحصار!
"الملاي هم قدر إيران حتى آخر الزمان!"
ثورة مؤنثة ضد الحجاب وضد المسجد العميق
ديمقراطية المساجد والتكايا والحسينيات!
الأضرحة...مساجد بنكهة إمبراطورية
مرقد الأمام الرضا في مشهد
مرقد معصومة في قم
مسجد جمكران
مرقد "إمام خميني"
مراقد الأولياء وأبناء الأئمة في طهران
مرقد شاه عبد العظيم
كيف يعيش الناس بين إيران الوطن وإيران الدولة
الآنديون- مع " الجمهورية الإسلامية" دون تراجع
هل زور الإسلاميون انتخابات عام 2009؟
السلطة – لعبة تغيير ديموغرافيا الشعوب الإيرانية
إيران- الأطراف غير الصديقة للجمهورية الإسلامية

مشهد التي لم تصبح عاصمة
مازندران- كافيار وفسنق وسجاد
الجنوب العربي الطويل منقسم مذهبيا
السياسة في المناطق العربية (خوزستان)
الكر والكرد – تنازع الولاء للمذهب وللقومية
مريوان- فردوس الممنوعات والدولارات
ماذا يجري في الأحواز العطشى المغبرة؟
طهران- قصص من جيش القمامة
المنذائون من الإبادة الى تغييب الهوية
يوميات الشعب بين الأزمة الاقتصادية والعقوبات الغربية
خوزستان أم عربستان؟ عرب إيران والبحث عن الهوية
عليّ وعلى أعدائي": خيارات دولة المعممين لمواجهة الحظر الدولي؟
هل تحتجر إيران أسرى حرب عراقيين حتى عام 2018
العراقيون في إيران- طبقات متفاوتة بحكم اختلاط النسب
تاريخ العلاقات العراقية الإيرانية التركية
إيران النووية يقتلها العطش!
أسو بروان الإيرانية الألمانية التائهة!
سلاح من إيران قد ينسف علاقة العراق بأمريكا
هل تشهد المنطقة حربا مباشرة بين السعودية وإيران؟
قطر تغازل إيران فيصلها وباء الإرهاب- هل ثمة رابط؟
محمود أحمددي نجاد يفجر قنبلة سياسية في إيران

بعد رحيله- عائلة رفسنجاني بين السجون والمنافي
حضارة إيران التي تتآكل وتصبح عربية
من أسرار الشتات التركي والشتات الإيراني
مذكرات عراقي في إيران في تسعينات القرن العشرين كما رواها لاحقاً
إيران كما عرفها سلام النهير، لبناني مقيم في بيرت
اليهود والشيعة
من بغداد عاصفة تلف طهران
القيادات الشيعية نتاج المساجد العميقة
مقتدى الصدر: وداعاً للسياسة قبل ظهور داعش؟!
إيران والقاعدة... ثوابت العداة وتحالفات الأضداد
الشعب يرفض إسلام الملالي "أخوندها"
العراقيون- مرارة شيعية تحت خيمة ولي الفقيه
الجمهورية الإسلامية.. المشروع الأخطر
صناعة المساجد الإيرانية تجتاح البلاد العربية
موسى الصدر
محمد باقر الصدر- صانع حزب الدعوة
حزب الله من إيران إلى عباس الموسوي
ما حقيقة النفوذ الإيراني في اليمن؟
جند السماء.. قادمون من مساجد إيران!
تكريت: من قلعة صدام حسين إلى مدافع الجنرال قاسم سليمان
إياد جمال الدين- مبدأ ولاية الفقيه الإيراني سني بالأصل!

الشيخ أحمد القبانجي ..من عرين ولاية الفقيه إلى خصم لدود
الصرخي - عمامة سوداء مغردة خارج السرب الشيعي وضد إيران
إيران تريد للعراق دوراً في الملف السوري
إيران ودول الخليج - ضفتان متنازعتان رغم علاقات الجوار
شيعة العراق: مع العرب أم مع إيران؟

الثورة تبدأ بالأهات

أول "انجاز" قدمه آية الله روح الله خميني للشعب الإيراني هو فرض الحجاب، فجاءت ضربة بارعة أصابت صميم المجتمع، ضربة لم يكن المعمم الذي تربى في حوزات النجف وقم ومشهد يدركها، لكنّها تفاعلت على الساحة بطريقة نادرة، فقد انقسم المجتمع إلى قسمين: مدني من سكان الحواضر الكبرى يدين هذا الإجراء ويرفضه، وريفي من سكان مئات ألوف القرى في شبه القارة الشاسعة يقف بقوة الى جانب القرار، وأعلن خميني أنّه إمام المستضعفين وقائد الفقراء، وذهب إلى حسينية جماران المغمورة شمال طهران وسكن في بيت متواضع جنبها، ليحتشد فقراء إيران برمتهم خلفه.

الريف يقف مع الحجاب لأنه موروث لا يحبذ القرويون تغييره، ولأنه أرخص كلفة، ولأنه يناسب الفلاحة والأعمال الشاقة، ولأنه يُبقي المرأة تحت مظلة الرجل "محرّم" الذي يحميها، وبذا يبقى التقسيم الاجتماعي الاقتصادي التاريخي الموروث قائماً دون جهد.

أما الحواضر الإيرانية فكانت كارثة الحجاب عليها شديدة إلى درجة لا تصدق، فقد هرعت الإيرانيات الأنبيقات من سكان المدن إلى الولايات المتحدة وبعض بلدان أوروبا بحثاً عن حرية بلا حجاب، وتحول الصراع السياسي مع المعممين من صراع على السلطة والثروة والموارد والنفوذ، إلى صراع حول تحرير المرأة من ظاهرة الحجاب الإسلامي كما أراد روح الله خميني وأركان الجمهورية الإسلامية.

وقد ساعدت سنوات الحرب العراقية الإيرانية على إبقاء قضية الحجاب في الظل، حيث كان شعار "كل شيء من أجل حرب الدفاع المقدس" يجبُ كل ما غيره، ويضع الأوليات كلها بهذا الاتجاه.

بعد الحرب، صارت أجهزة الإعلام الإيرانية تتحدث عن حرب البناء المقدس، وتبنى السياسي الإيراني الثري الراحل هاشمي رفسنجاني مرحلة تأهيل البنية التحتية، ومرة أخرى تراجعت قضية حجاب المرأة، لاسيما أنّ ابنته فائزة هاشمي حاولت أن تطلق صورة اعلامية للنساء تمتص من خلالها غضبهن، وتضعه في

أفنية السلطة ومنافه الرسمية، فأطلقت مجلة "زن روز" التي عدت ثورة في عالم الإيرانيات في ظل دولة ولاية الفقيه.

كارهات الحجاب يهربن الى الغرب

لكنّ الايرانيات من سكان المدن خاصة بقين يهربن بهمومهن الى الخارج، تاركات كل شيء لمن رضين الخضوع إلى قوانين دولة ولاية الفقيه، وهكذا بات شعار الثورة-الجمهورية لمرحلة التسعينات وما بعدها " أمهات إيران أولاً"، وهو تكريس لمفهوم المرأة الراضخة لمطالب الشرع ومطالب الرجل. وانطلقت صناعة السينما والفن الايراني تخلق كوادر تروج لهذا المفهوم، فظهرت اسماء كبرى أعلنت قبولها للمرأة المحجبة كنتيجة نهائية لثورة المجتمع الاسلامي، وظهرت ثريا قاسمي، وفاطمة معتمدي أريا، وحميده خيرآبادي، ومهرانة مهين ترابي، ونيكي كريمي، وهدية تهراني كطاقات فنية سينمائية حقيقة ، لكن رضوخهن لقيم الحجاب والمرأة المحجبة والمحرم جاء بمثابة شهادة للسلطة وثقافتها. فيما هربت فنانات كبيرات كثيرات وفي طليعتهن الثورية سوسن تسليمي، وليلا فروهر، وكوكوش، وأسماء أخرى كثيرة بفنهن إلى الغرب مختارات الحرية ورفض الحجاب على البقاء تحت شعار "أمهات إيران" والامتثال لقيم الجمهورية الإسلامية كما أرادها آيات الله.

ورغم أن عناصر النظام وأبواقه ما فتئت تحرض ضد هؤلاء الفنانات المبدعات، إلا أنّ الامر لم يصل إلى التنكيل بهن أو منعهن من التمثيل، وبقي حجابهن الرمزي غالباً كافياً لدعم التثقيف الذي تحرص السلطة على نشره بين النسوة.

بحلول الألفية الثالثة ووصول محمود أحمددي نجاد المتشدد إلى السلطة، قوي خط ولاية الفقيه الذي تراجع بعض الشيء في مرحلة الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي، وعادت "كوميته زنان" سيئة الصيت لتمارس مهامها في متابعة النساء ومراقبة حجابهن، وسُجّلت مواجهات وحوادث عدة بهذا السياق بين النساء الرافضات للحجاب وقيمته، وبين عناصر كوميته زنان المستقويات بحماية القانون والشريعة.

وحل الاتفاق النووي، ورافقه انتخاب حسن روحاني المعمم الذي قرر أن يلعب دور الرئيس الإصلاحي لكي لا يتاح لمحمد خاتمي أو لمير حسين موسوي أو حتى

مهدي كروبي أن يتولوا حكومة اصلاح حقيقة، وبهذا تحول المحافظ روحاني إلى رمز الاصلاح ضمن سياسة الأمر الواقع التي قبلها ولي الفقيه لدورة رئاسية مقبلة كاملة.

جناات الأمهات تجتاح المدن الكبرى

وجاء انتخاب روحاني مكسباً للإيرانيات الرافضات للحجاب، فخلق لهن ما بات يعرف "بجناة الأمهات" وهي متنزهات وباركات مخصصة للنسوة ويمنع الرجال من ارتيادها، تتيح لهن التحرر من الحجاب والتمتع بأشعة الشمس والحصول على فيتامين دي كما تشير بعض الدراسات التي تؤكد أنّ النسوة في إيران وبسبب الحجاب لا يحصلن على قدرٍ كافٍ من شعاع الشمس ما خلق لهن نقصاً مزمناً في فيتامين دي، وهو أمر يهدد الأجيال المقبلة من أطفال الجمهورية الإسلامية. وتحققت حتى الآن خمس باركات من هذا النوع في طهران وأصفهان وهمدان ومدن أخرى.

وقد تمكنت الصحفية الهولندية "ريتانا فان دير تسي" من زيارة جناة الأمهات في طهران وسجلت في تقرير اعدته لصحيفة غارديان البريطانية مشاهداتها لوضع النساء:

"يعجبني أن أخلع حجابي" هكذا استهلّت ليلا وهي حلاقة نسائية تبلغ من العمر 47 عاما كلامها. وقد جلست مع صديقاتها متحلقات في سفرة نهائية إلى إحدى موائد السفرات المنتشرة في البارك بطهران. بلا قيود ترتدي تي شيرت نعاعي اللون مشبك يمكن مشاهدة بطنها العارية من خلاله" يمكننا هنا أن نرتدي ما نشاء من ملابس خفيفة تبرد أجسادنا، وهذه هي الحرية التي أصبو لها".

في أنحاء البارك انتشرت مجاميع من النسوة وهن يرتدين سراويل جينز ضيقة وتي شيرتات شفافة أو مفتوحة تكشف أجزاء من صدورهن وظهورهن، وهن منهمكات في رقص عنيف على أنغام موسيقى البوب التي تصدح منطلقاً من أجهزة الهاتف المحمول وأجهزة التسجيل. ولفت المشهد الراقص أنظار مجموعة من تلميذات المدرسة المارات بالمكان، وهن برداء المدرسة المحافظ وبالحجاب الأبيض فوق رؤوسهن ويسمى "مقنعة"، فوقفن يتطلعن بشوق محتمل أو بفضول الرغبة في معرفة ما تفعله النسوة الرافضات للحجاب (حتى حيث لا يوجد رجال).

إحدى صديقات ليلا، وهي ممرضة خمسينية متقاعدة تقول بتحدٍ "نحن نكره الحجاب، ويسرنا جدا أنّ بوسعنا الذهاب إلى مكان لا حجاب فيه، حيث يتاح لنا التحرك والرقص والتمشي وممارسة الرياضة وقضاء يوم في الشمس دون حجاب ودون جبة ودون سراويل".

ما خلف الكواليس، ومن خلال قراءة بين السطور، فإنّ هذه المنتزهات منحت السلطة الدينية السياسية في إيران القدرة على نقل الصراع إلى مستوى آخر، فالنساء تحقّ لهن الحرية في عالم "الحريم" المغلق الخالي من الرجال، وهو مبدأ ترفضه كثير من الناشطات النسويات، وإحداهن اختارت لنفسها اسم رؤيا وهي تقول "هذه المنتزهات إهانة للنساء، ولن أذهب إليها مطلقاً، أنا أرفض أن أكون رقما في تخصيصات السلطة، وأرفض الانقياد لتصنيفات المعممين، حين تُعزل النساء في منتزهات خاصة بهن، والرجال في منتزهاتهم، لن يتعلم الطرفان كيف يتعاملان مع وجودهما الطبيعي جنباً إلى جنب. هذا الوضع سيقود إلى نتائج خطيرة".

فيما يرى المحافظون الجدد المتشددون، أنّ وجود هذه المنتزهات يخلق في نفوس النساء شكوكا في جدوى وضروة الحجاب، لاسيما أنّ الحديث يجري عن حاجة المرأة إلى ضوء الشمس الذي يحجبه الحجاب بأنواعه.

لكن فراديس الأمهات التي ظهرت مؤخرا في المدن الإيرانية الكبرى عانت مشكلة الجغرافية، واضطرت بلديات المدن إلى اقامتها في الضواحي، بمناطق قليلة السكان والمواصلات، ما خلق مشكلات من نوع آخر، حيث بات بوسع البعض اتخاذها أماكن للقاءات الغرامية أو للقاءات التحشيش وتناول الكيف "الترياك" الشائع بشدة في كل أنحاء إيران. هذه اللقاءات تجري طبعاً بعد ساعات الإغلاق التي تنص القوانين على وجوب إجرائها بحلول الظلام، كي يتاح لبغاوين "جناينية" الحدائق إدارة أعمال السقي ورعاية العشب والتنظيف اليومية المطلوبة. كما يجب أن تتولى فرق رجالية تنظيف المرافق الصحية النادرة الخاصة بالنساء المنتشرة في هذه المنتزهات. وهكذا فإنّ الحدائق بحلول الساعة العاشرة ليلا تصبح مهجورة فارغة، وقد يتاح للعاشقين أن يلتقوا فيها، ولكنّ هذا لا يتم بسهولة، لأنّ دوريات الشرطة تراقب الأسيجة، كما أنّ أغلب النساء لا يتاح لهن البقاء خارج المنزل ليلا.

من مساجد السنة إلى حصار ترامب المخيف

مطلع الألفية الثالثة، حافظت إيران على دور المساجد في السياسة، لكنّ رياحاً تهب من أماكن عدة، بدأت تحرك مساجد من نوع آخر، فقد وقف أهل السنة في طهران صبيحة عيد الفطر في 16 حزيران/ يوليو 2018 في ثلاثة صفوف وصولاً إلى بيت كبير لأحد السنة عرض إقامة الصلاة في المدينة المليونية.

يقال أن أهل السنة في طهران وحدها يعدون مليون نسمة، وهم لا يملكون مسجداً واحداً يصلون فيه لذا وقفوا في صفوف طويلة انتظاراً للصلاة في بيت كبير. هذا الشوق للصلاة ليس مألوفاً في إيران، حيث أنّ المساجد غالباً خالية إلا من كبار السن، لكنّ أهل السنة يملكون اليوم جهات متهمة بأنها وهابية تنظم حركتهم، في عموم البلد بما يشبه اعتراض صامت على ممارسات الحكومة.

ورغم أنّ إيران لم تنتهج بعد سياسة حافة الهاوية كما حاول أن يفعل صدام حسين مطلع تسعينات القرن العشرين حين اشتد الحصار الدولي على بلده، لكنّ انهيار النقد الإيراني في عام 2018، والتغيرات المتسارعة في قيمة العملة المتداولة ستجبرها أن تمشي بهذا الاتجاه.

رغم نصر إيران العسكري والسياسي في سوريا، واقترابها من نفس النتيجة في اليمن، إلا أنّ أنبوب النفط الذي يدعم مبدأ "تصدير الثورة" في طريقه إلى الاختناق. يعزز ذلك بالطبع تملل سني، يغذيه سنة الخليج، بعد أن طفق بهم كيل تدخلات الكهنوت الإيراني.

كان إنتصار ترامب - الذي يراه البعض مفاجئاً - في السباق إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ضربة قاصمة للمشروع الإيراني في المنطقة وفي العالم. فترامب يعلن ويكرر اعتراضه على الاتفاق النووي، وما فتئ أن أعلن انسحاب بلاده من هذا الاتفاق في الثامن من أيار/ مايو من عام 2018. تهديدات ترامب ثم انسحابه من الاتفاق وجهت للاقتصاد الإيراني ضربة قاصمة. لكنّ هذا الانهيار السريع للريال وتحوله إلى "التومان" والتي طالما بقيت عملة غير مكتوبة على مدى قرون من الزمن سابقة في تاريخ إيران، يثير أسئلة، أهمها: كانت إيران من

عام 2009 وحتى 2015 خاضعة لعقوبات دولية، لكنّ التومان لم يتأثر بهذا الشكل، بل بقيت قوته وظل السوق الإيراني يعتمد عليه، وانتعشت صناعات السيارات الإيرانية وقد باعت خلال خمس سنوات ما قيمته 3 مليار دولار سيارات حسب الاحصاءات الرسمية، ومثلها ارتفعت أسعار العقارات، ولم تتأثر بشكل كبير إلا المشتقات النفطية، والصناعات البتروكيماوية.

فيما أدت 4 أشهر من المقاطعة في زمن ترامب إلى انهيار التومان واختفاء الريال من التداول. لتفسير ذلك علينا أن ننظر إلى أنّ الرئيس الأمريكي السابق وحلفاءه الغربيين، فرضوا على إيران حصاراً شكلياً، لذا لم يتأثر الاقتصاد الإيراني بسنوات الحصار. أما دونالد ترامب فقد فرض حصاراً حقيقياً، وحذر الشركات من التعامل مع إيران، فخاف الجميع ورفعوا أيديهم عن دولة المعممين، وسرعان ما حلت الكارثة. خلاصة ما جرى، لم تكن إيران محاصرة بل كانت تحت حصار شكلي، وما إن بدأ الحصار الحقيقي في أيار / مايو 2018 حتى انهار التومان.

الساسة الإيرانيون يقولون أنه لا يوجد سبب موضوعي لانهيار التومان، وكأنّ الاقتصاد في واد والسياسة في وادٍ آخر، لكنّ وجهة النظر الرسمية تحمل جانباً من الصواب من حيث أنّ الناس و قبل القرار الأمريكي بالانسحاب من الاتفاق النووي بدأوا يفقدون ثقتهم بالعملة، وهذا متناقض بحد ذاته، فمجرد فوز ترامب بالسلطة أصاب الاقتصاد الإيراني في الصميم، هل هو خوف الناس، أم أن يدا خفية في عالم المال الدولي ضربت التومان؟

وهنا يرجع الساسة الإيرانيون لنظرية المؤامرة، فهم يقولون إنّ الشعب يفقد ثقته بالعملة وبالنظام السياسي نتيجة مؤامرة أمريكية صهيونية؟ وهذا لعمرى منتهى الاستغناء، فإيران تهتف في المساجد والمعابد والمدارس منذ 40 سنة " الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل" فلماذا لا يتآمر العدوان اللذان صنعتهما فعلا عليها؟

التهافتات التي يرددها المحتجون على نظام إيران في الجنوب والشمال والمدن الكبرى، والاحتجاجات دائماً في المدن وليس في الأرياف لأسباب لا مجال لذكرها هنا، هذه التهافتات تنصب اليوم في عهد ترامب على اعتراض الشعب على مشاريع تصدير الثورة الإسلامية إلى اليمن وسوريا والعراق والبحرين، والناس يتحدثون هناك عن مليارات التومانات التي تذهب لدعم التمرد الحوثي

ودعم نظام بشار الأسد ودعم الأحزاب الشيعية في العراق وحزب الله في لبنان، وكل التكاليف تجري على حساب الشعب الإيراني الذي يعاني نسبة عالية من البطالة وتدني الأجور.

ترسانة السلاح الإيراني التي هي مطوّرة عن صناعات أسلحة شرقية قديمة، تباع أحياناً، أو توزع في الغالب مجاناً على المتعاونين مع مشروع ولاية الفقيه بصراحة. والإيرانيون يهتفون بأعلى أصواتهم اليوم في المدن الإيرانية، "لا لا لغزة، لا لا للبنان، سأبذل حياتي لإيران" وأقوى هتافاتهم يتردد في كل مكان اليوم "الموت للدكتاتور" دون أن يشير علناً إلى خامنئي وهذا يعني أنهم يراعون خطأ أحمر من نوع ما، وربما هم من شريحة المؤمنين بالإسلام السياسي لكنهم ملّوا من حكومة ولي الفقيه أزلية السلطة حتى مماته.

وفي هذا السياق كتب بهرنغ تاجدين على موقع بي بي فارسي مقالاً يشرح فيها انهيار العملة واختفاء البضائع، وأهم ما يربك السوق الإيراني اليوم هو اختفاء العملات الصعبة وتناقص المعروض من السلع خاصة السلع الانتاجية.

ويشتري جيران إيران وخاصة أهل العراق المواد المنزلية والصناعية بالتومان ويسوقونها في بلدهم لفروق السعر، وهذا يفيد التجار الإيرانيين على المدى القصير، لكنّه يمتص الدعم الحكومي والمصرفي والحماي الذي توفره الدولة للصناعات المحلية، وبالتالي هو يقضي تماماً على مشاريع الدولة في دعم ذوي الدخل المحدود، وبالتالي فإنّ الحصار والمقاطعة سيصيب الطبقات الأضعف في إيران كما هو حال كل أشكال المقاطعة الدولية.

وخلال شهر سبتمبر / ايلول 2018 أجازت السلطات الإيرانية لتجار العملة استيراد عملات صعبة، ما يشكل تناقضاً اقتصادياً وسياسياً كبيراً مع سياسة محمود أحمدني نزاد في منع الصرافين من التعامل بالعملات الصعبة، وهو إجراء يذكّر بقوة بقوانين صدام حسين التعسفية التي أراد بها أن يقهر قيم السوق ففشل وانتهى مهزوماً في حفرة.

وعادت ظاهرة تجار الرصيف الذين يحملون رزم التومانات ويبدلون فورياً بالدولار أو اليورو بأسعار يفرضونها هم. لكنّ هؤلاء التجار الذين يمكن مقارنتهم بتجار الشنطة، يبدون وجلين وهم يتحدثون عن عملهم، فقد قال صالح دربندي (

اسم مستعار) عبر الهاتف متحدثاً من موقفه في ميدان ونك، في مدخل شارع ولي عصر الطويل المزدهم بقلب طهران "لا يوجد ثبات من أي نوع، اشترى 1000 دولار مساءً بسعر 10 ملايين تومان، وفي الصباح أجد السعر قد تراجع إلى تسعة ملايين، فامتنع عن البيع، ثم يعود السعر ظهراً إلى 10 ملايين ونصف المليون، وقت المغرب يهبط مرة أخرى إلى 9 مرة أخرى، حتى إذا بعت ما عندي بعشرة ملايين ونصف، فإنّ هذه عبارة عن قروش قليلة في سوق اليوم، كل شيء بات غالياً".

وفي منتصف شهر أيلول 2018، أعلنت سلطات مدينة ساوجبلاغ الواقعة على بعد 80 كيلومتراً غربى طهران أنها قد أغارت على مخزن جمعت فيه مليون عبوة من المناشف الصحية النسوية ومناشف الرضع، كانت قد استوردت قبل أشهر حين كان سعر الدولار ثلث ما هو عليه الآن، وقد جرى تخزينها لبيعها بسعر أعلى يحقق للتاجر أرباحاً فاحشة. ولا يبدو هذا غريباً، فالاحتكار لصيق بالأزمات، وما أن تشح سلعة ما في السوق، حتى يبدأ التجار في تخزينها، وقد يسمي البعض هذا شرها وطمعاً وجشعاً وربحاً غير مشروع، لكنها معادلات السوق ولن تغيرها المواعظ الاخلاقية.

الحكومة حال بدء الأزمة ادّعت أنها ستدعم الموردين مالياً لتتيح لهم استيراد سلع انتاجية تساعد على رفد السوق بما يحتاجه، لكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن، أو هكذا يبدو ظاهر الأمر على الأقل. فبدلاً عن استخدام أموال الدعم الحكومي لاستيراد البضائع والسلع الانتاجية، لجأ كثير من التجار إلى بيع الدولار في سوق العملات بطهران، وكان الربح وفيراً والبيع سريعاً ولم يتحمل التجار أي نفقات.

رد فعل البنك المركزي الإيراني كان إسراعه بقلب هذه السياسة، بإعلانه أنّ التجار يجب أن يدفعوا فروق الاسعار بالعملة الصعبة التي بذلتها لهم الدولة، قبل أن يمنحوا اجازات استيراد جديدة، وهكذا بات آلاف التجار مدينين للدولة من حيث لم يعلموا، فالسلطات التي سعت إلى دعم الاستيراد، لن تقبل أن يذهب دعمها لجيوب التجار أرباحاً صافية.

منابر المساجد كمشاريع اعلامية للتصدي للحصار!

إزاء الحصار الأمريكي الدولي المشدد على الجمهورية الإسلامية في إيران أطلقت سلطة رجال الدين، ابتكاراً اسمته "كل مسجد مراسل" للتصدي إلى الهجمة الاعلامية الغربية كما ذكر بيان وازرة الإرشاد (الدعاية) الإيرانية.

بعد مشاريع " كل مسجد جهاز عرس" و "كل مسجد محامي"، و في أواخر تشرين الأول/ اكتوبر 2018 ولد مشروع "كل مسجد مراسل". وهذه النقلة تمثل تعميقاً لسلطة المساجد التي ما برحت تقوى وتتسع في الجمهورية الإسلامية.

وقد عاد المعممون ، لتوظيف المساجد، لتعبئة الناس ومراقبتهم والتجسس على أحوالهم، وما برح الفهم الملائي (الأخوندي) للحصار الأمريكي يدفع باتجاه إقناع الشعب أن الهجمة اعلامية وليست حقيقية، وعلى الناس أن يتصدوا لها إعلامياً، فتمر العاصفة، ويعود الصفاء والعافية إلى الجمهورية الإسلامية. وبهذا السياق تحدث مستشار وزير الارشاد الاسلامي إلى الصحفيين والمسؤولين بالقول: "طالما كان المسجد المكان الأشد تأثيراً في إيران، وعلى مدى أربعين عاماً من عمر الثورة الإسلامية كانت المساجد وما برحت قوة فاعلة ووسيلة مؤثرة يلحظ أثرها حتى اليوم".

وأعتبر حبيب رضا أرزاني أن الغاية من طرح مشروع كل مسجد مراسل هي دعم الدور الاعلامي للمسجد، وتقوية دوره كمؤسسة ثقافية فنية. و وعد أرزاني " أن هذا المشروع سيمكن الشعب من الحصول على معلومات مفيدة!"

استراتيجية النظام الديني الإيراني تقوم على خلق أعداء حقيقيين أو وهميين لتعليق أسباب الفشل والفساد الاداري عليهم. وهكذا دئب خامنئي وقبله خميني على الحديث عن "الأعداء" وعن "مؤامرات الأعداء" كسبب مباشر لإنهيار العملة الايرانية، وارتباك السوق، وما يجري من حراك في عموم البلد يستهدف مؤسسات السلطة واجهزتها العسكرية والقمعية (الأمنية). ومشروع كل مسجد مراسل بدوره سوف يعمل تحت ظل هذه الاستراتيجية، فسوف يقوم المبلغون (المعممون) بتوظيف خطب الجمعة واطلاق دورات ودروس تسعى إلى توعية الشعب بخطر "

مؤامرة الأعداء وأبعادها" على حد تعبير خامنئي وهو ما بات خطاباً يومياً في كل المساجد والمنابر.

المصادر الرسمية صارت اليوم تتحدث علناً عن قوة المسجد وأثره العميق في نشر ثقافة المعممين وعقائدهم السياسية، وطبقاً لما نشره "سازمان تبليغات إسلامي" و"ستاد اقامة نماز" يوجد في إيران اليوم 72 ألف مسجد شيعي. بمعدل مسجد واحد لكل 1041 فرد من الشعب.

إزاء هذا النمو، تتناقص أعداد الإيرانيين الذين يحضرون في المساجد لإقامة الصلاة والعبادة يوماً بعد يوم، وتشير تقارير مسربة من أروقة مؤسسة إقامة الصلاة "ستاد اقامة نماز" إلى أنّ عدد مرتادي المساجد في المدن الكبرى والمتوسطة والصغرى، انخفض خلال الأعوام العشرة الأخيرة إلى 3% شهرياً من مجموع سكان المدن المشار إليها. ولا تجرؤ السلطات على نشر هذه المعلومات، فتعتمد إلى تسليط الأضواء والاهتمام الاعلامي على المساجد الكبرى، حيث يجري حشد وتعبئة الفقراء بما يشبه الاغراء لحضور الصلوات فيها.

ففي عشرات المناسبات الدينية التي ظهرت وتنامت عقب سنوات الحروب الكثيرة التي انغمست فيها سلطة المعممين، يجري حشد الطبقات الفقيرة في المدن، وبينها يُحشّر المهاجرون الأفغان واللاجئون العراقيون في حافلات رسمية أو مستأجرة، وينقلون إلى المساجد الكبرى لإحياء مراسم العزاء أو مراسم الاحتفال، مقابل وجبة طعام، وكيس من المكسرات والحلويات لكل مشارك، وغالباً، لا تعيدهم الحافلات إلى حيث يقيمون، بل يُترك عناء العودة على عاتقهم، بعد أن كثروا السواد أمام كاميرات التلفزة والصحفيين في المساجد لإحياء مناسبة معينة.

وازاء مساعي المعممين الساسة لدعم قوة المساجد في إيران، اصطدمت مسيرة "المخلصين لخط ولاية الفقيه" المتوجهين إلى الأضرحة الشيعية في العراق بأزمة من نوع آخر. فقد شهدت زيارة الأربعين في تشرين أول/ اكتوبر 2018، ظهور مشكلة كبرى، أخرجت القائمين على الزيارة، فالعملة الإيرانية المنهارة لم يقبلها العراقيون، رغم اعلان حكومة العراق أن الزيارة يمكن أن تتم بالدفع بالتومان، وليس بالضرورة بالدولار، وقد رفض الصرافون في كربلاء وبغداد أن يجروا تحويلات من التومان إلى الدينار مباشرة، مما خلق أزمة مصيرية لنحو مليوني

زائر، وجدوا أنفسهم فجأة معدمين ولا يملكون أن يشتروا قنينة ماء حدث ولا حرج عن دفع تكاليف الزيارة.

بعض مصارف إيران الكبرى، "بانك مركزي" و"بانك ملي" عقدت جلسة طارئة، وارسلت وفدا إلى كربلاء لتسهيل مهام الزائرين، وأعلن الوفد أن الأزمة نشأت بسبب "القطع المستمر لخدمات الانترنت في العراق، وبسبب عدم وجود تخصيصات للتحويلات المصرفية! هذا التفسير تجاهل أن تحويلات الزوار الإيرانيين تتم دائما عبر مكاتب الصيرفة الشخصية الصغيرة المنتشرة في كل مكان بالعراق، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بخدمات الانترنت".

الجزء الأصعب من المشكلة جاء بعد أن دفع كثير من الزائرين أموالهم إلى البنك المركزي وبانك ملي في إيران، بانتظار أن يتلقوا دنائير عراقية في كربلاء والنجف بدلا عن تلك النقود، فوجدوا أنفسهم هناك بلا نقود، ولا توجد جهة تؤيد سلامة وصول المبالغ التي سلموها في بلدهم، لتدفع لهم مقابلها دنائير عراقية.

المشهد الأشد إيلاما للجماهير "المخالصة لخط ولاية الفقيه" وسائر من شاهد الفيديو من الشعب الإيراني كان اصطفاط طوابير طويلة من الزائرين العاشقين، أمام ثقب في أحد الجدران، بانتظار أن يستلموا وثيقة معينة عليهم تعبئتها واعادتها عبر نفس الثقب إلى الشخص الغامض غير المرئي الجالس خلف الجدار، على أمل أن يصرف لهم التحويل المطلوب!!

السر الخفي وراء هذه الأزمة، رفع عنه الستار حين وجّهت القيادات الإيرانية الزائرين، بعدم مراجعة مكاتب الصيرفة العراقية للحصول على تصريح (خشية تفاقم وضع التومان المنهار)، وتحدث مسؤول إيراني رفيع المستوى لوكالة أنباء أيسنا الإيرانية كاشفاً "إنّ سبب توجيهات القيادة الإيرانية للزائرين هو عدم تعاون البنك المركزي العراقي في تقديم الخدمات الخاصة بالصيرفة لزوار الإمام الحسين". ولم يذكر هذا المسؤول أنّ البنك المركزي العراقي يرفض التعامل مع الإيرانيين خشية الرقابة الأمريكية القوية في العراق على حركة العملات والتعاملات مع إيران، بسبب الحصار الدولي المفروض على هذا البلد.

"الملاي هم قدر إيران حتى آخر الزمان!"

بات ثابتاً في وعي كثير من المثقفين الإيرانيين أنّ "الملاي هم قدر إيران حتى آخر الزمان"! ولكن ما لا تقوله التقارير الصحفية والخبرية، هو أنّ المعممين، وخاصة الحيتان الكبيرة منهم، هم الذين يخربون خطط الحكومة، بتغييرهم مسارات الدعم الحكومي إلى قنوات أخرى، وإلا من يعرف في البلد كواليس السياسة؟

ويبدو الأخطر قادماً في الأفق، إذ أنّ سياسة ترامب تسعى إلى منع إيران بحلول شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2018 من تصدير أي نفط، وهو ما سماه ترامب " صفر صادرات نفطية".

واقعة الانتظار لصلاة عيد الفطر التي مارسها السنة في طهران صبيحة عيد الفطر المار ذكرها في مقدمة المقال قرعت ناقوس خطر، لاسيما انه قد سبقتها قبل ذلك، مزيد من التظاهرات بعد أسبوع من الاحتجاجات المتقطعة عبر أرجاء البلاد في شهر كانون الثاني/ يناير 2018، وما لبثت أن امتدت التظاهرات إلى 80 مدينة بما فيها طهران، حيث نزل الناس إلى الشوارع بمطالب اقتصادية في البداية وما لبثت أن تحولت مطالبهم إلى نداءات تحررية. فقتل نحو 25 متظاهراً، واعتقل أكثر من 4 آلاف ما زالت مصائرهم مجهولة في سجون ايفين وحشمتية و كهريزك وزنجان .

الاحتجاجات بقيت طيلة الأشهر الستة الأولى من عام 2018 متفرقة ومتناثرة، ولم تصل إلى مستويات تظاهرات "الثورة الخضراء" عام 2009، والتي كان من أسوأ نتائجها خروج نخبة كبيرة من الإيرانيين الواعين والساخرين على سلطة الكهنة، وفرارهم إلى الخارج ليضافوا إلى ملايين الإيرانيين المهاجرين في أرجاء العالم والذين نسوا أنّ التغيير ممكن في بلدهم العريق، وآمنوا أنّ "الملاي هم قدر إيران حتى آخر الزمان" كما يقول محمد عبد الله (وهو اسم مستعار) لرجل دين سني من سكنة طهران، تحدث عبر الهاتف مشروطاً عدم الكشف عن هويته.

الناشطون في التظاهرات اليوم، يبدو أغلبهم حريصاً على أن لا يزعج الكهنة، أي ان ينتقد ويتحرك خارج دائرة المسجد والمعبد، فهي مقدسات لا يريد المساس بها، في المقابل فإنّ قوات الأمن تبدو اليوم مجهزة قوية بشكل يفوق ما كانت عليه

عام 2009، كما أنّ التظاهرات والاحتجاجات لا تنطلق بشكل موحد، بل بشكل عفوي عشوائي غالباً، وخلاصة الموضوع أنها بلا قيادة، وبلا منهجية واضحة، وغالباً لا تعرف ما تريد - أو لا تريد أن تعرف!

وخلال العام الماضي، حاول محمود أحمددي نزاد أن يركب الموجة، فنشر اشاعات بأن له 9 ملايين متابع في إيران، وأن يده هي الطولى في الشارع، لكنّ التظاهرات التي تلت لم تحشد له أي دعم كما يدعي.

و يمكن للمرء أن يدرك بسهولة أنّ ملايين من أبناء الطبقة المتوسطة - أو على الأقل ما تبقى منها في إيران الإسلامية - غير راضين عن مسار بلدهم وساسته، لكنهم ما برحوا على هوامش التظاهرات والاحتجاجات ويرفضون أن يخوضوا في عمقها. وبهذا تنقل نيويورك تايمز في عددها الصادر بداية شهر أغسطس/ آب 2018 عن الناشط السياسي المعروف بهنام عموي الذي قضى فترات اعتقال طويلة بسبب نشاطه قوله " لا توجد رؤية واضحة، ولا قيادة، والاحتجاجات لن تحرك سلسلة اعتراضات تمتد إلى عموم البلد، على الأقل ليس في هذه المرحلة"

ويمضي إلى القول وهو يتأمل المدينة من خلف زجاج المطعم الذي جلس فيه "عليّ أن اعترف أنّ الدولة وأمنها وماكنتها الدعائية تستطيع أن تهندس الرأي العام بنجاح حسبما تهوى، وتقنع أغلبية الناس أنّ الوضع الراهن هو الأفضل لهم، وأن التغيير، أي تغيير سيكون عليهم وبالا ويجلب لهم الويلات" والناس طبعاً ترى ما جرى في سوريا وليبيا واليمن وتونس وحتى في العراق بعد عام 2003.

ولكن إيران طالما كانت واحة للهدوء والاستقرار حتى في أحلك لحظات الحروب، وهذا يعني أنّ إمكانيات التغيير أو الثورة أو حتى انتفاضة من نوع ما تبقى خاضعة لجزئيات الشخصية الإيرانية التي تنبذ العنف. وبذلك فإنّ تصاعد أرقام الاحتجاجات والتظاهرات وتراكمه، قد يخلق على مدى عقود ركماً تاريخياً يحرك الوضع نحو التغيير، فثورة خميني سبقتها عشرات الثورات والانتفاضات منذ ثورة التنبك فصاعداً.

ثورة مؤنثة ضد الحجاب وضد المسجد العميق

تواجه إيران ثورة مؤنثة منذ مطلع عام 2018. إنها انتفاضة الحجاب الذي باتت ترتديه نساء العرب والمسلمين في العالم اليوم، والمكوّن من ربطة رأس متباينة حسب الشعوب، ومعطف يسمى جبة تحته سروال. هذه هي هدية ثورة خميني في إيران والتي صدرتها الجمهورية الإسلامية الى العالم. وبدأت نساء المدن الكبرى تقاطع المسجد كمنبر سياسي، وباتت تتجه الى الكافتريات والمطاعم والتجمعات المدنية المحظورة غالباً.

إسوة بكل الحركات الإسلامية السياسية في العالم، ينظر نظام الجمهورية الإسلامية في إيران إلى حجاب المرأة كعامل حاسم في نشر قيم الإسلام السياسي التي سنّها خميني مؤسس الجمهورية الإسلامية عام 1979. لكنّ الأسلوب الإيراني في التعامل السياسي الذي يتسم بالمرأوة وفق مبدأ التقية واستخدام تعابير لغوية تلتف على الحقائق يدفع بساسة إيران ومنظريها إلى تجاهل الموضوع، ومحاولة حصره في محتوى نسوي محدود، لتجاهل مستوى انتشاره، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعه عناصر الثورة الإسلامية في عامي 1979 و1980، وهم يترجّون الإيرانيات الرافضات للحجاب، بالقول "أختي، لا تجعلي نضالك في سبيل إيران مرهوناً بخرقة تافهة".

وبعد أربعة عقود يتكرر هذا الأمر، حيث تشهد طهران ومدن إيرانية عدة في الشمال والجنوب حراكاً جماهيرياً نسوياً رافضاً للحجاب متزامناً مع حراك سياسي آخر يتسم بالعنف ما زال مجهول الهوية، لكنّ كثيراً من الإيرانيين والمعنيين بالشأن الإيراني يبذون تحفظهم تجاهه.

وقد تكرر رد الفعل الرسمي المتجاهل مطلع شهر شباط/فبراير 2018، حيث قامت أكثر من عشر نساء خلال أيام متعاقبة وفي وسط شارع وميدان انقلاب "الثورة" بطهران بنزع حجابهن وربطه بعصا والتلويح به، وانبرى محمد جعفر منتظري النائب العام الإيراني كالعادة للتقليل من شأن الحراك النسوي واصفاً ما فعلنه النسوة بـ "حركة صبيانية لشابة خلعت حجابها فيما أخريات يواصلن

حياتهن اليومية". فيما كشفت صور تداولتها مواقع التواصل الاجتماعي عن قيام سلطات الأمن الإيرانية باعتقال الفاعلات.

وأعاد منتظري ترديد الأسطوانة التي تعزفها "الجمهورية الإسلامية" كلما استجد حدث غير متناسب مع "القيم الثورية" التي تنادي بها فقال "إن اللواتي قمن بتلك الأفعال أقدمن عليها بسبب جهلهن، والتحريض بفعل تعرضهن لتأثيرات قادمة من خارج البلد".

في إيران ، كما في باقي البلدان التي يمثل المسلمون غالبية شعوبها، ترتدي النسوة عباءة يُطلق عليها "تشادور" وتكون سوداء أو ملونة، حسب مقتضى الحال والمكان وحسب الوضع المالي لمرتديتها.

شاه إيران الأب رضا بهلوي منع النساء رسمياً من ارتداء التشادور في عام 1936 وألزم الرجال ارتداء القبعة الغربية، تأسياً بالقيم التي أرساها في تركيا كمال اتاتورك. لكنّ نجله محمد رضا بهلوي حين ترّبع على عرش الطاووس، شرّع قانوناً يبيح للنسوة ارتداء الحجاب أو رفضه حسب اختيارهن، فكانت نساء المدن بلا حجاب، واحتفظت النسوة في الأرياف بالتشادور التقليدي.

لكن قيام الحراك الشعبي المناهض للشاه عام 1978، وتحالفه مع القوى الإسلامية التي قادها منتظري وخميني وخامنئي ورفسنجاني وعشرات المعممين، أعاد إلى الساحة الجدل حول حجاب المرأة، وكما يبدو فبالنسبة للإسلاميين، يكون محك صحة الأيمان وصحة القضية السياسية دائماً شعر المرأة وتكورات جسدها، فظهر إلى الوجود الحجاب، ولم يكن شائعاً، ففي تلك الأيام ارتدت أخوات وزوجات الطلبة الجامعيين (ومن بينهم محمود أحمد نجاد) الملابس الفضفاضة وتحتها سروال اسفنج رخيص وحذاء كتاني بسيط وربطة الرأس المعقودة حول الحنك بإحكام. أما غالبية النساء فاكتفين بالتشادور التقليدي امتثالاً لأوامر المعممين الذي تحولوا فجأة إلى أولي الأمر في هذا البلد.

سنوات الحرب مع العراق (من 1980 وحتى 08.08.1988) التي سميت بسنوات الدفاع المقدس، وما رافقها من أزمات اقتصادية مستحكمة اسقطت قيمة الريال الإيراني، وبلغت معدلات التضخم أرقاماً خرافية، فبات من الصعب على النسوة عموماً التأنق واقتناء الملابس والأحذية المستوردة التي اختفت تماماً من

السوق المحلي، وهكذا حولت النخبة الحاكمة اللباس المستورد الى رمز للطغيان، وأطلقت عليه وصف " طاغوتي"، وشيئاً فشيئاً انتشرت الجبة (مانتو) وربطة الرأس (روسري) واختفت سراويل الجينز والفساتين والتايورات القصيرة الى أبد، وبات ارتداء الزي الإسلامي شرطاً من شروط التعيين للعاملات في دوائر ومصانع ومؤسسات الدولة، فيما ألزمت وزارتا الداخلية والخارجية ومكاتب الرئاسة والبرلمان العاملات فيها، بارتداء ملابس طويلة سوداء، ووضع عباءة سوداء تكسوهن بالكامل، إضافة الى كفوف وجوارب طويلة سوداء تغطي الكفين والقدمين. وبات ارتداء أي لون غير اللون الأسود علامة على استهتار المرأة في هذه المؤسسات، وهو ما لا تجرؤ أن تفعله أي منهن، حتى يومنا هذا، ويمكن لمن يراجع السفارات والقنصليات الإيرانية في بلدان العالم ملاحظة هذا الزي بسهولة .

بنهاية الحرب الإيرانية العراقية ومنذ تسعينات القرن العشرين، خفت القيود والأعباء الاقتصادية على المجتمع الإيراني، وعاد الرجال الى سوق العمل واستعاد البازار والمصانع بعض عافيتها، فتوفرت سيولة نقدية في البيوت أتاحت للنسوة تنويع ألبستهن، وتعزز ذلك بانتشار أجهزة الفيديو التي ظهرت آنذاك، وكانت تهرب من بلدان الخليج العربية الى إيران. وغاب اللون الأسود عن ألبسة النسوة ليحل محله الخردلي والحشيشي والبنفسجي وحتى القرمزي في جبات النسوة، فيما تنوعت ربطات الرأس بألوان متعددة أخرى.

وبتعاقب سنوات عقد التسعينات، باتت الجيب وربطات الرأس تُعزز ببطانات ضخمة لتجعل الأكتاف مرتفعة والرؤوس تشبه التيجان تقليداً لموديلات الأزياء التي شاعت آنذاك، كما باتت بعض النسوة يملن الى ارتداء التنوارت " التايورات" والفساتين تحت الجبة، وخاصة في عهد الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي الذي أفسح للحريات. وبدأت المانتوهات القصيرة خاصة في طهران العاصمة في الظهور، وغزت سراويل الجينز الرخيصة القادمة من مصانع آسيوية الأسواق لتسقط قانون المنع العرفي الذي ما برحت السلطات الإيرانية تمارسه على واردات الجينز باعتبارها نتاجاً من ثقافة "الشیطان الأكبر" حسب وصفهم.

ولكن أواخر عقد التسعينات أيضاً، وبتشجيع الطبقة الدينية وقاعدتها، شهدت انتشار ما عرف ب"المقنعة" في أوساط تلميذات المدارس وطالبات الثانويات وحتى طالبات الجامعات، كما أنّ موظفات الدولة بتن ملزمات غالباً بارتداء

المقنعة التي تمنع ظهور أي جزء من الشعر أو الرقبة أو الأذن. الموظفات اللاتي لم يلتزم بذلك اللباس، وجدن أنفسهن عرضة لحملات النقل المفاجئ الى أماكن بعيدة فيما يعرف سياسيا بـ "تبعيد" لإجبارهن على طلب الإقالة.

قبل نهاية ولاية الرئيس الاصلاحى خاتمي في السنوات الأولى من الألفية الثالثة (2000 الى 2005) بات إظهار الشعر من تحت ربطة الرأس في المقدمة وفي المؤخرة وتلوينه بـ "ميج" جزءا من الزي الإيراني الشائع في تحد ظاهر للسلطة. لكن دوريات التوجيه الإسلامي لم تكن قد تشكلت بعد.

وصول الرئيس الإيراني المتشدد محمود أحمدي نجاد الى السلطة عام 2005 وتجديد ولايته في عام 2009، وجه ضربة لحريات النساء في هذا البلد.

فظهرت الى الوجود دوريات الإرشاد الاسلامي التي تمثل إحياء بوليسيا لـ "كميته ارشاد إسلامي" سيئة الصيت التي دُبت على شنق المثليين ورجم السفارات في ايران في منتصف ثمانينات القرن العشرين، لصرف الأنظار عن سطح الخسائر التي كانت القوات الايرانية تتكبدها في جبهات القتال ضد القوات العراقية، ولإلهاء الناس عن اخفاقات الحكومة في مجالات الخدمات وسوق العمل والنقل والسياحة.

انفتاح الحدود الإيرانية على العراق بعد اسقاط نظام صدام حسين عام 2003 وسهولة التنقل بين البلدين المتزايد في عهد نجاد وصولا الى عهد الرئيس روحاني، ساهم في انتشار مزاج نسوي عراقي وإيراني معادٍ للحجاب، رغم جهود احمدي نجاد والمحافظين المتشددين من أنصاره ورغم جهود الأحزاب الدينية الشيعية والسنية في العراق لفرض قيم تناسب توجهاتهم.

مقابل ذلك فإن وسائل التواصل الاجتماعي والانفتاح الرقمي على العالم الذي ميّز الألفية الثالثة نجحت في إخراج الإيرانيات من ثقافة الحجاب الجمهوري، فانتشرت المانتوهات القصيرة جدا التي تغطي سروايل ستريچ جينز ضيقة، فيما تحولت ربطة الرأس الى مجرد شال ملون بسيط يلقينه الايرانيات على رؤوسهن ويزحنه متى غابت الدوريات الإسلامية. فيما حلت الأحذية الرياضية المستوردة من مناشيء أصيلة بماركات غالية الثمن محل الأحذية المحلية البسيطة، ما مثل ضربة قاضية لسوق صناعة الأحذية في هذا البلد.

بعد عام 2014 إثر تولي الرئيس المتسامح حسن روحاني السلطة، شاع بين النساء ارتداء جوارب فيزيون الملتصقة بالجلد التي تظهر تفاصيل الجسد، كما أصبح للمانتوهات فتحات جانبية، وهكذا فإن المرأة التي ترتدي مانتو أسود قصير بفتحتين كبيرتين وترتدي تحته فيزيون لحمي اللون تظهر للعيان وكأنها تسير عارية الفخذين، ما أثار حفيظة المتشددين إلى درجة أنّ مجلس الشورى ناقش الظاهرة ووصفها بالتطور الخطير.

منذ انتفاضة شتاء عام 2017، أطلقت مجاميع نسوية إيرانية غالبا في الأفضية والنواحي حملة تحت شعار "لأجل حجاب أفضل"، يحاولن من خلالها إرساء نماذج خاصة، تصبح علامة فارقة لثقافة نسوية إيرانية، وبهذه الطريقة يتمكن من كسر نفوذ سلطة الإسلام السياسي عليهن.

ديمقراطية المساجد والتكايا والحسينيات!

هل جمهورية إيران ديكتاتورية اوليغاركية ثيوقراطية مطلقة، أم أنها دولة دينية ديمقراطية على طريقة المعممين الشيعة؟ المشهد الإيراني يراوح بين هذين المفهومين.

دولة ديكتاتورية بالمعنى المطلق للوصف لا تحتاج انتخابات، كما حال كوريا الشمالية وكوبا وفيتنام، أو أنها تطلق انتخابات محسومة لصالح الرئيس بنسبة 99% صوتاً بلا منافس على طريقة صدام حسين وبشار الأسد، ولكن إيران الجمهورية الإسلامية في الحقيقة ليست كذلك، وانتخاباتها يشارك في الشعب بقطاعات واسعة وبنسب غير ثابتة، ويترشح لها مرشحون، فيفوز منهم هذا، ويخسر ذاك، لكن السر في لعبة الانتخابات الإيرانية أنها تشمل الجميع إلا الأشياء التالية:

*الإسلام دين الدولة ومصدر تشريعاتها ومشروعها الدائم للتصدير، ودستور الجمهورية الإسلامية سماوي غير قابل للنقض والتغيير.

*مرشد الثورة خامنئي الذي نصبه قائد الثورة خميني، خارج تجاذبات الفوز والخسارة، وخارج صندوق الانتخابات، فهو منتخب بإرادة خميني مدى الحياة.

*حجاب المرأة بغض النظر عن تفاصيله.

والسر الآخر في اللعبة، انّ منصب رئيس الجمهورية هو صمام أمان النظام، فمتى ما عم الفساد وكثر اللغط وخرج الشعب رافضاً للسلطة الدينية، اطاح المرشد بالرئيس، معلقاً كل الاخطاء على شماعته، وهذا يفسر انحياز خامنئي للمتشدد أحمدني نجاد في ولايته الأولى، وانحيازه ضده وقد رأى الشارع يغلي حنقا عليه.

علماء السياسة والاجتماع المدني يصنفون اليوم إيران، حسبما نشرت صحيفة وول ستريت جورنال في سلة واحدة، مع روسيا بوتين، ومع فنزويلا في عهد هوغو شافيز.

الإيرانيون صوتوا بشكل واسع مع الدستور الإيراني الإسلامي وهو ما فاجأ الموالين للشاه من الحرس القديم، وحركات اليسار والحركات القومية، وحركات المعارضة الكردية والعربية والبلوشية وكلها هامشية ضعيفة لا يسمع صوتها. لكن المشكلة الكبرى في هذا الدستور تكمن في مجلس الخبراء والمرشد الأعلى وهي المسائل التي نصت عليها المواد 107 وصولاً إلى المادة 112 من الدستور.

هاتان القوتان المنصوص عليهما في المادة 110 تحديداً تتحكمان في القوات المسلحة، وتملكان القدرة على إعلان الحرب، وهما فوق قدرات السلطة القضائية وقراراتها، وهما تعيينان سياسات منفاذ ووسائل الاعلام، وتضعان رؤساء هذه المنفاذ بقرارات، وكذلك قادة الجيش والحرس الثوري.

في هذه الفقرات نص صريح ينص على أن مجلس الخبراء الذي انتخب اعضاؤه عن طريق اقتراع سري غير شفاف لم يشهده أحد حتى اليوم، يملك صلاحية إزالة المرشد الأعلى وتجريده من سلطاته، لكن هذا يصطدم في الحقيقة بأن المرشد مثلاً هو من يأمر بصرف رواتب ومخصصات البذخ الذي يعيش فيه الخبراء السبعة الذين يشكلون "مجلس خبركان"، وهو الذي يؤمن وسائل حمايتهم وحماية مكاتبه " المستقلة". وهكذا يضيع الباحث عن شفافية ديمقراطية في حلقة الديمقراطية على الطريقة الإسلامية.

والحقيقة أن المذهب الشيعي بالذات والذي تستمد منه جمهورية إيران الإسلامية شرعيتها وتشريعاتها وفقهاها، هو الأكثر معارضة للمسار الديمقراطي في العملية السياسية الإسلامية، لأن أصوله تنص على التوريث، وتشتت اتصال نسب الحاكم بفاطمة الزهراء والأمام علي، وهكذا فإن المرشد الأعلى في إيران يجب أن يكون سيداً علوي النسب، كما الحال مع خميني وخليفته خامنئي. وهو أمر لا يروق عشاق الديمقراطية الإيرانية أنفسهم، لأنه يعني فيما يعني أن السلطة الحقيقية المطلقة في إيران تبقى دائماً في يد سلالة السادة، وهم كما هو معروف من قریش، وهذا يعني أنهم ليسوا فرساً. هذا التحدي بالذات يغضب الفرس ويحشدهم بشكل دائم ضد المرشد وحكومته ورجاله ونسائه متهمين النخبة الحاكمة والإسلاميين بسعيهم لتعريب إيران والغاء تاريخها الفارسي المجوسي العريق.

العالم الإسلامي منقسم الآن في نهاية العقد الثاني من الألفية الثالثة. فأنصار دولة الخلافة، وهم السنة عموماً ممن اتفقوا على ولاية الخلفاء الراشدين، محاولين على

مدى التاريخ الاسلامي خلق نموذج يسير على نمطها ويستلهم قيمها، والأقرب لهم اليوم تنظيمات الاسلام الجديد، الوهابية والقاعدة وداعش.

أما الشيعة فهم أنصار نظرية الجمهورية الاسلامية، ومنهم طوّر خميني الجمهورية الاسلامية الأولى في إيران وسماها "جمهورية اسلامي ايران" بمعنى أنها "الجمهورية الإسلامية في ايران" وستتبعها جمهوريات أخرى.

هذا التباين في فهم الدولة الاسلامية سبب الانقسام المزمّن الذي يعيشه العالم الاسلامي اليوم كما يرى البروفسور محمد الدعمي في كتابه القيم "تخنيث الغرب".

كحل لمشكلة النسب الهاشمي العلوي وما قد يتبعه، أطلق خميني وخليفته خامنئي سلطة رجال الدين من السادة (ذوو العمائم السود) و الشيوخ (ذوو العمائم البيض) في مختلف مراتب الدولة ومؤسساتها، بل استحدثنا سلطة غير مرئية تؤمّن للمرشد ومكاتبه (الموجودة في كل مدينة إيرانية بعنوان مكتب المرشد الأعلى ويتولى رئاسته معمم من أهل الثقة) سلطة وقوة وتأثيراً حاسمة. هذه السلطة تجسدت في المسجد والحسينية، وتعيين شيخ مسجد لكل منها، وهذا يعني الكثير ويرضي الكثير.

المساجد العميقة

بدءاً لآبد من المرور على مقولة عدم وجود مساجد للسنة في إيران، الحكومة تقول بوجود 15 ألف مسجد للسنة في عموم إيران، وفي طهران تؤكد المصادر الرسمية وجود 9 مساجد للسنة (علماء أن طهران تعد أكثر من 10 ملايين نسمة)، لكن تجربة صلاة عيد الفطر منتصف عام 2018، كشفت عبر الفيديو أن ادعاءات الحكومة والمصادر الرسمية قد تكون عارية عن الصحة.

لكن ما لا يقوله أحد إنّ عدد الحسينيات والتكايا والمساجد الخاصة في عموم إيران يصل إلى ربع مليون حسب إحصاءات غير رسمية.

في الحقيقة يوجد في كل زقاق وشارع مسجد أو حسينية أو تكية، أو كلها مجتمعة بعدد كبير.

يتوسط المسجد قلب كل قرية، غير التكايا والحسينيات المنتشرة في البيوت. هذه الدور مخصصة للعبادة طبعاً، ولكنها خير وسيلة لنشر العقيدة الإسلامية السياسية، المسجد يتيح للناس مهمة مراقبة بعضهم، من يصلي ومن لا يصلي، من يذهب لصلاة الصبح ومن لا يذهب، من يصوم ومن لا يصوم، من يحيي الشعائر الحسينية ومن لا يحييها. وفي ذلك تفصيلات خطيرة.

كما تتولى المساجد أو من يترددون عليها من عناصر "كوميته" وعناصر "إطلاعات" مهمة مراقبة النشاط الثقافي في المناطق، ومراقبة تعاطي الكيف والحشيش التي يشيع استخدامها في إيران بشكل واسع بسبب حظر المشروبات الكحولية تحت طائلة الجلد.

المساجد الكبرى تخصص وجبات إفطار وسحور للصائمين، وخاصة في المناطق الشعبية حيث صنع النظام قاعدته الكبيرة، وهذه الوجبات تضمن صيام الفقراء على الأقل.

إبان الحرب العراقية الإيرانية، وظفت السلطة الدينية المساجد لتكون مراكز لمراقبة غير الملتحقين بالخدمة العسكرية، وكانت السلطة في إيران لا تعدمهم أو تسجنهم كما دأبت على فعله السلطات العراقية في عهد صدام حسين في نفس تلك الحرب، السلطات الإيرانية كانت تضيّق على الهاربين من الخدمة العيش حتى

يفروا من بلدهم هم وعائلاتهم. المساجد كانت تتولى التعبئة للجيش والبسيج والحرس الثوري، بطرق مختلفة تبدأ من تثبيت أسماء المتطوعين، إلى الوشاية بالمتخلفين عن الخدمة في ساحات "الدفاع المقدس".

بعد حرب السنوات الثمان، تراجعت مهمة المساجد، وتحولت إلى مهمة الرقابة الدينية على تنفيذ الفرائض وما يتصل بها.

المساجد في إيران تغلق أبوابها إلا في مواعيد الفرائض، لعدم وجود قائمين متفرغين لخدمتها ليل نهار، بل يعمل على خدمتها بعض الفقراء وغالبهم من أسر الشهداء مقابل أجور رمزية تتصل براتب أسرة الشهيد وتمثل إضافة له.

أراد خميني أن يكون المسجد والحسينية والتكية بديلاً عن المقهى، ونجح في السنة الأولى فحسب بهذا المسعى ثم انتصرت ارادة المجتمع المتحضر وعادت المقاهي تدريجياً إلى المدن بنسب متفاوتة وبحضور يشدد ويضعف حسب قوة المسجد في المنطقة القريبة. أما في القرى فتأخر انتصار المجتمع المدني حتى مطلع التسعينات، ولكن المقاهي لم تعد إلى القرى، وبقي القرويون يدخنون "القليون" الشيشة، ويتعاطون الكيف والسكائر مع الشاي في خلوات المزارع والحقول وغرف ماكنات السقي وغرف الاستراحة في مزارع الدواجن والأبقار.

وشجعت السلطة الدينية "أخوندها" على بناء المصليات في المدارس والجامعات ومطاعم الطريق المنتشرة في كل أرجاء البلد، واعتنت بذلك أيما عناية وأنفقت وتنفق مبالغ طائلة للمحافظة على المصليات والمساجد نظيفة. وتتلقى المطاعم والفنادق التي تشيّد مساجد نظيفة مرتبة مبالغ دعم مالي من الدولة في المناسبات.

الى جانب كل ذلك، هناك نوع خاص جداً من منازل الإيواء الخاصة بالمسافرين الاتقياء الذين لا يملكون مبالغ كبيرة وتسمى "تعبيه" وهي تختص بعناصر الحرس الثوري "باسداران" و"بسج" وتقدم لهم مبيتاً نظيفاً مجانياً على الأرض في صالات كبيرة مفروشة ينام في كل منها 10 إلى 30 شخص حسب الموقف. وفيها حمامات بماء ساخن، ومرافق صحية نظيفة، ومساجد كبيرة مفروشة بأناقة وعناية وفيها سجاجيد صلاة، وترب ومسابح وقرائين وكتب أدعية.

الأضحة...مساجد بنكهة إمبراطورية

مرقد الإمام الرضا في مشهد

تسمى اليوم مشهد وعرفت قديماً بـ"طوس" من كبريات مدن إيران ومن أعظم مدن خراسان، فيها آثار ومزارات ومقامات وأهمها اطلاقاً مرقد الإمام علي بن موسى الرضا ومشهده الذي به سميت مشهد. يحج إليها الشيعة من كل أنحاء العالم، باعتبار أن علي بن موسى الرضا ثامن الأئمة الاثني عشر المولود في المدينة المنورة مدفون فيها. ويلقبه الإيرانيون بغريب الغرباء كونه دفن في بلاد فارس بعيداً عن أرض آبائه العرب.

تقع مشهد في أقاصي إقليم خراسان على بعد بضعة كيلومترات من مدينة طوس القديمة، وتقع في وادي كشف رود على الضفة الجنوبية من النهر (كشف رود). وتقع المدينة على ارتفاع 985 م فوق سطح البحر وعلى خط طول 59 درجة 37 دقيقة، وعلى خط عرض 36 درجة و16 دقيقة. يحدها من الشمال والشمال الشرقي تركمنستان، ومن الشرق أفغانستان ومدينة هرات، ومن الغرب مدينة شاهرود، ومن الجنوب مدينة بيرجند.

اندرست معالم طوس المدينة الصغيرة بهجوم تيمورلنك المغولي، فهاجر من بقي من أهلها وتحصنوا بمرقد الإمام الرضا الذي كان مزاراً صغيراً منفرداً بقبة خضراء يتبرك بها السابلة والعاثرون باعتباره إمام الغرباء.

أقام المهاجرون حول المزار دوراً وأبنية ليأووا إليها، وفي 1406 م عين الأمير شاهرخ ابن الأمير تيمور الكوركاني الخواجة سيد ميرزا، ليهاجر بالمتحصنين حول المرقد الشريف إلى مقامهم الأول طوس، فامتنعوا فأمر الأمير الخواجة ميرزا أن يبني حول دورهم سوراً. فبنى حصناً وصار هذا المكان بلدة ذا أهمية واشتهرت بطوس، وسميت سناباد بالمشهد وبات يعد أهم مدينة في إقليم خراسان.

ومنذ قيام " الثورة الإسلامية" في إيران عام 1979 بات المرقد والضريح محط اهتمام استثنائي، باعتباره الإمام الشيعي الوحيد المدفون في أرض فارس، وهو أمر له دلالاته في الضمير الشيعي الإيراني. والحقيقة أن المرجعيات المقيمة في إيران ومن يحف بها، تشعر بحيف تاريخي لأن أغلب الأئمة الاثني عشر مدفونون

في العراق ومكة والمدينة . من هنا بالغت السلطات الدينية التي امتلكت ناصية الحكم لأول مرة في تاريخ الممالك التي حكمت إيران في بذل الرعاية والانفاق على المرقد الرضوي، حتى جعلت منه مكاناً مهيباً يمكنه استضافة ملايين الزائرين. وتملك مشهد اليوم امكانات تقديم الخدمات لمئات ألوف الزائرين في وقت واحد.

مرقد معصومة في قم

هذا مرقد لشخصية يكاد لا يعرفها العرب، وأغلب الايرانيين يظنون أن اسمها معصومة، فيما اسمها في الحقيقة هو فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم وأخت الإمام علي بن موسى الرضا ولا يعرف بالضبط من منحها لقب معصومة، لكن أدبيات رجال الدين الشيعة في إيران تدّعي أن الرضا لقبها بالمعصومة، وهي اشارة تثير الاستغراب، لأنّ أخت الإمام وبنت الإمام ليست معصومة طبقاً للعقيدة الشيعية، والعصمة محصورة بنوي الكساء الأربعة عشرة، فلماذا تسمى فاطمة الكاظم معصومة وتسبغ عليها ظل هذه الصفة الغامضة أصلاً؟

مثل أخيها علي بن موسى، ولدت فاطمة في المدينة وكبرت في بيت أبيها الإمام الكاظم ونشأت تحت رعاية أخيها الرضا، وتوفيت في عام 201 هـ ودفنت في مدينة قم في إيران . ومن يراجع تواريخ إيران يجد أنها قد دفنت أولاً في منطقة بجنورد التي تبعد 270 كيلومترا غرب مشهد، وكانت راحلة مع قافلة إلى العراق قاصدة بيت أبيها في أطراف بغداد، فأصابها حمى بعد أن لسعتها أفعى أو لدغها عقرب، فمرضت مرضاً شديداً وتوفيت في بجنورد ودفنت فيها، ثم ابتكر رجال الدين من الإيرانيين المولعين بالأضرحة، والعطاش دائماً لمرقد الأئمة، إبتكروا طريقة تجعل من مرقدها الصغير في بجنورد مزاراً، وهكذا جاءوا بها إلى مدينة قم، التي كانت قرية صغيرة على الطريق بين طهران وأصفهان. هذه القرية لها تاريخ مثير ملؤه الشكوك، إذا تذكر المراجع الايرانية أن معظم سكان قم وحتى القرن الثالث الهجري كانوا من أصول عربية ويتحدثون اللغة العربية، ويؤكد المؤرخ اليعقوبي أن أغلب سكانها من على المذهب الأشعري، نسبة إلى أبناء سعد بن مالك الاشعري الذين هربوا من بطش الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق إلى أرض فارس. ويمضي اليعقوبي فيذكر أن قم كانت أول تأسيسها على قسمين عجمي وعربي يسمى القسم العجمي بـ (كوميندان) والقسم العربي كان يسمى حتى سنة 1359 م (عربستان) أو (حسين آباد). بعد كل هذه الوقائع الغريبة نقل مرقد فاطمة بنت موسى الكاظم من بجنورد إليها، وكانت المسافة بين الموقعين تقترب من 900 كيلومتر، ولذا اختار المعنيون أن ينقل جثمانها شتاء، ليحافظ البرد عليه من التفكك.

وتشير مصادر غير رسمية أن مرقد فاطمة بنت موسى الكاظم الذي أقيم له ضريح في قم، قد أنشأ في بداية القرن الخامس عشر ميلادي، ثم تولى الصفويون السلطة، مطلع القرن السادس عشر، فحولوا مرقدتها إلى مزار كبير، ما برح ينمو ويتسع، وتضاف إليه مرافق ومنشآت وتدفن فيه شخصيات، وتلحق به حوزات ومتاحف ودور للمخطوطات، حتى استقر الرأي منتصف القرن الثامن عشر على قيام حوزة قم، فقامت فيها مدرسة صغيرة غير معروفة في جزئها القديم، بمنطقة عرفت فيما بعد بـ "كوجة ممتاز". وصارت المدارس الدينية تتكاثر حولها، لا سيما أن مشهد بعيدة جدا عن العاصمة طهران.

في عام 1921 ميلادي هاجر إليها الشيخ عبد الكريم الحائري المولود في يزد الإيرانية، قادماً من كربلاء في العراق، بعد أن كان قد قرر إعادة توسيع مدارس قم بصيغة جديدة، وقرر أن يسبغ عليها اسماً لم يعرف من قبل في تاريخ العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، وهكذا ظهر وصف "الحوزة العلمية"، لتكون حوزة قم العلمية هي ثاني أهم مدرسة أو جامعة دينية لدى الطائفة الشيعية، بعد حوزة النجف الكبرى. وقد انطلقت الحوزة العلمية في قم رسمياً في عام 1934 ميلادي. توفي الحائري في قم عام 1937 وله اليوم مرقد كبير بجوار مرقد فاطمة بنت موسى الكاظم. ومن الحقائق الملفتة للنظر، أنّ الخميني نفسه تتلمذ على يد الشيخ الحائري اليزدي.

وهكذا ابتكر الإيرانيون لأنفسهم مرقدًا وطوروا حوله حوزة علمية في محاولة لسحب بساط الأهمية من تحت المدن الدينية الشيعية الكبرى، النجف وكربلاء وسامراء في العراق، وكل هذا يدخل في سياق التنافس بين المرجعيات الدينية النجفية والإيرانية، وإن كان لا يعني تنافساً بين العرب والفرس لأن أغلب المرجعيات الشيعية العراقية مختلطة الأصول وليست عربية.

التوتر السياسي بين العراق وإيران، الذي تفاقم بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران في 5 شباط 1979، وبعد تولي صدام حسين السلطة في العراق في 16 تموز 1979، أدى إلى تضيق قبول طلبة الدراسات الدينية من غير العرب في حوزة النجف، فازدادت أهمية حوزة قم بسبب اضطرار الطلبة الأجانب إلى مغادرة العراق بسبب الحرب والتوترات السياسية والأمنية، وسياسة تصعيب ومنع وفود الطلبة الأجانب إلى النجف، فلم يبق لهم إلا قم. وقد وصل عدد طلبة العلوم

الدينية في قم إلى 80 ألف طالب مطلع الألفية الثالثة وخاصة بعد أن أسقط التحالف الدولي نظام طالبان في أفغانستان، حيث تدفق إليها ألوف الأفغان والباكستانيين.

يشكل الإيرانيون نصف طلاب الحوزة العلمية تقريبا، ثم يأتي بعدهم الهنود فالأفغان ثم العراقيين ثم الباكستانيين ثم السعوديين (من الأحساء والقطيف) ثم اللبنانيين (من جبل عامل في الأغلب) ثم الأفارقة ثم تأتي الجاليات الأخرى بأعداد متفاوتة من خليجيين (من البحرين والكويت وعمان والإمارات) . وهناك أعداد قليلة من الشركس والألبان والشيشان والصينيين والمصريين .

مسجد جمكران

عام 1981 وبعد عام من اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، شاعت بين الناس حكاية مفادها أنّ الإمام المهدي المنتظر زار شخصاً من أهل منطقة جمكران (ضاحية تبعد خمس كيلومترات عن مدينة قم بالقرب من جبل صغير بات معروفاً بمقام الخضر)، وأمره أن يقيم مزاراً في هذه المنطقة.

حقيقة الأمر أن الأوليغاركية الحاكمة كانت بحاجة إلى تسويق رموز جديدة تسحب البساط من تحت المراقدة العراقية التي باتت محالاً على الإيرانيين الوصول إليها، لا سيما أن الحرب تعاضمت وتفاقت خسائرها. أضف إلى ذلك أنّ مقابر قم والزهراء في طهران بدأت تضيق بالقبور، فكان لا بد من إطلاق مشروع للموتى والأحياء في هذا المكان (وقد ظهر في نفس الوقت تقريبا قرب بغداد عاصمة العراق مشروع مشابه عرف باسم مرقد محمد السكران، ولهذا المرقد والمقبرة التي قامت قربها واتسعت حديثاً آخر سأكتبه حينما يتكامل بحثي حوله). وفوق هذا وذاك، لا بد للنخبة المعجمة من رموز تروج لنظرياتها، فإذا لم توجد هذه الرموز يمكن خلقها، وهكذا كان، فظهر مسجد جمكران.

تدفقت الأموال من حيث لا يعرف أحد لإعمار المزار الوليد، كما توالى القصص لتضيف أبعاداً قدسية إلى شيء بني أساساً على رواية حول رؤيا شخص لا يعرفه أحد، وهو ما يشير المرء إلى نوع الحكايات التي تروج حول مواضيع كهذه، ويسلط الضوء على خطى ومزارات وتكايها وهمية تجتاح العالم الإسلامي كل حين بحثاً عن منافذ لترويج الإسلام السياسي.

في غروب كل يوم أربعاء وغروب كل جمعة يجتمع عدد كبير من الزوّار من داخل إيران وخارجها حول خطوة ومسجد جمكران، المعممون يروجون بين الناس أن زيارة معصومة في قم لا يتكامل ثوابها إلا بزيارة مسجد جمكران، وهكذا يتدفق ألوف عليه في الليلتين، وخلال الليالي الشيعية، من ولادات ومقاتل وأعياد.

يمكن أن يُصلي فيه كل يوم نحو 800 ألف مصلي، وله 14 منارة مكسوة بالكاشي (السيراميك المعرق) يصل ارتفاع كل منها إلى 50 متراً، كما تنتشر حول صحنه 5 قباب مكسوة بالكاشي بلونيه الأزرق والتركواز. وقد أقيم المزار المهيب اليوم

على مراحل، حيث بُني أولاً المصلى الرئيسي، وهو يحتوي على مصلى الرجال ومصلى النساء، منتصف ثمانينات القرن العشرين.

وأضيف إلى المصلين باحة المسجد التي تعرف بالصحن، اقيمت مع اقتراب الحرب من نهايتها.

وبجهود "كوميته إرشاد فرهنكي" لجنة التوجيه الثقافي، بُني محلان لبيع الكتب، بفارق سنتين بينهما.

عام 1991، وبعد غزو العراق للكويت، اقيمت قاعة المعرض، واتصلت مباشرة بصحن المزار.

منتصف تسعينات القرن العشرين انشئت قاعتان للمحاضرات والندوات الأسبوعية، وجرى توسيعها عامي 2001 بعد سقوط نظام طالبان، وفي 2010 وصولاً إلى 2016 مع توسيع وتجديد مرقد معصومة في قم.

إبان عقدي الألفية الثالثة الأولين وعلى مراحل أضيف للمزار مركز تحقيق متعلق بالقرآن والحديث وسيرة النبي والائمة الاثني عشر. ثم أضيف له مركز خاص لتدوين "الكرامات" التي تحدث في هذا المسجد، حيث اسبغت الخرافات الشعبية عليه صفات مقدسة بقصد توجيه الأنظار إليه. وبات البسطاء يجلبون مرضاهم ويربطونهم إلى صومعة المزار الداخلية (ويتوسطها بئر جف مأوه محاط بسياج) وينفقون مبالغ طائلة لخدم وكهنة المزار الذين يتولون التوسط بينهم وبين الإمام الغائب عبر وسيطه الجمكراني الغامض.

ما لم نقله مصادر الروايات الرسمية حول جمكران

منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، وإبان التخطيط لتوسيع قم، واجه رأس المال الديني متعاضم الثراء مشكلة ضيق مساحة الأراضي في قم وارتفاع اسعارها الجنوبي (سعر المتر الواحد في الكيلومتر المربع المحيط بمرقد معصومة يصل الى 20000 دولار اليوم!) وسبب ذلك أنّ المنطقة تجارية تستقبل الزائرين الشيعة من كل العالم، لذا فإن نشاطها في خدمتهم يدر مبالغ خيالية. (وكمثال بسيط على ذلك، فإن مطعم متوسط المستوى، يقام مباشرة أمام مرقد معصومة، يدر في اليوم

العادي، وليس في أيام الزيارات، دخلا يصل إلى 1000 دولار. ويرتفع هذا الدخل أيام الزيارات والمناسبات إلى 3000 دولار في اليوم.

طبقة "العلماء" الصاعدة القائمة الجديدة وجدت نفسها عاجزة عن مجاراة المالكين والمستثمرين في شرائهم الأرض وتوسيعها، لاسيما أن إيران تحتفظ حتى الآن بقيم السوق ويشكل البازار فيها قوة اقتصادية وسياسية حاسمة، ولا تستطيع السلطة مهما قويت أن تلغي هذا البازار كما فعل صدام حسين في العراق، ولهذا فكر السيد م...والشيخ ال... والسيد مح... وعلي ف...بهذا الابتكار، فولدت فكرة مزار ومسجد جمكران وحققت تفوقاً غير مسبوق.

الخلاصة الحاسمة، اسأل عن الدولار:

كان المتر المربع يباع في هذه الصحراء القاحلة المحرومة من الماء بدولارين، أما اليوم وبفضل مزار جمكران فقد وصل سعر المتر إلى 5500 دولار!! وقد أوصلت بلدية قم الماء والكهرباء إلى الموقع الصحراوي وبت مشروعاً يدر الملايين للمستقبل.

مرقد "إمام خميني"

كانت وفاة خميني، مناسبة هامة لابتداع مرقد وضريح ومزار مهيب آخر، فاختر له مكان جنوب طهران "في الحزام الفقير للعاصمة" لصق مقبرة جنة الزهراء الكبرى. وبُني قريبا منه مطار إمام خميني.

وقد تغيير المخطط الأصلي للمرقد والفضاء المحيط به والمؤسسات والمنشآت التابعة له مرات عدة منذ وفاة خميني عام 1989، وكان المهندسان برويز مؤيد عهد و محمد تهراني هما المصممان الأساسيان للمشروع دائم التغيير دائم التحول متغير النفقات متفاقم المساحة. فقد بدأ المشروع الأصلي على سطح أرضي مساحته 15 ألف متر مربع، فيما يتربع الحرم وملحقاته اليوم على قطع أرض مساحتها 60 ألف متر مربع.

يضم الحرم خمس قباب، كبراهها معدنية غريبة التصميم مكسوة بالذهب، والأخريات مزينات بالسيراميك الأزرق. كما تحيط بأطراف المرقد أربع منائر مكسوة بالذهب وللمكان خمس مداخل موزعة على الجانب الشرقي والغربي.

ولا أحد يعرف بالضبط مقدار الأموال التي انفقت لهذا المكان، ولكنّ الملفت للنظر أنّه تحول إلى مزار ديني سيضاف بمرور التاريخ إلى المزارات الشيعية. ولدى دخول المرقد، تواجه الزائر لوحتان على يمين ويسار المدخل كتبت فيهما زيارة الإمام باللغة العربية، وتحت كل سطر ترجمة فارسية بخط صغير. كتاب الدعاء الشيعي الشهير "مفاتيح الجنان" الموجود في المرقد أضيفت إليه الزيارة لتكون جزءا من الموروث الشيعي على مر الزمن. كما يضم المرقد أماكن تبيع التذكارات وصور خميني ومؤلفاته ونسخ من أدعيته، ومشبهات لأشياء تتعلق به.

اضيفت بمرور السنين إلى المرقد المنشآت التالية بقصد تحويله الى مزار شيعي مؤهل لاستقبال ملايين الزوار. وبالفعل فإنّ العراقيين واللبنانيين والبحارنة الذين يزورون إيران اليوم ويقصدون مراقدها، باتوا يزورون أيضا مرقد خميني ويتبركون به.

*خط مترو طهران الشمالي، تم وصله بالمرقد، فبات طول مساره نحو 65 كيلومترا.

*في طور الإنشاء الآن متحف ملحق بالمرقد يتربع على قطعة أرض مساحتها 15 ألف متر مربع، ومن المقرر أن يضم كل مقتنيات خميني منذ طفولته حتى وفاته.

*أقيمت على طرفي المرقد، جامعة آزاد اسلامي، وجامعة شاهد.

*أقيم مستشفى المرقد، وما زالت أقسام كبيرة منه قيد الإنشاء، فيما افتتحت أجزاء أخرى وبدأت تستقبل المرضى.

*تنتشر حول المرقد بمساحات معبدة كبيرة مواقف للسيارات، أغلبها يتقاضى أجوراً عن وقوف المركبات.

*بنيت قرب المرقد موتيلات رخيصة لاستقبال الزائرين تعرف بالفارسية "زائر سرا".

*أقيم وافتتح فندق خمس نجوم قرب المرقد.

*أقيمت سلسلة متاجر وأسواق حول المرقد.

*أقيمت مدينة ألعاب "ملاهي" طهران الكبرى قرب المرقد.

*بنيت مدينة صغيرة من مجمعات سكنية عملاقة اسمها "شهرك سلامت".

*بنيت مدينة المعارض الكبرى جنوب طهران قرب المرقد، واطلق عليها تسمية "شهر آفتاب" أي مدينة الشمس. أشهر معرض أقيم في المدينة هو معرض طهران للكتاب الدولي، وشاركت فيه دور نشر آسيوية وعالمية وعربية كبرى.

أثارت كمية الأموال التي انفقت على تعمیر هذا المكان تساؤلات كثيرة على مستوى الشارع الإيراني، لاسيما أن من تولى إدارة المرقد لفترة طويلة بل وحتى وفاته هو نجل خميني أحمد. وقد غدت هذه التساؤلات الصراعات على السلطة بين عناصر الأوليغاركية الدينية. لكن موقع الأمام الخميني بالعربية يشير إلى أنه "قد تم شراء الأرض من صاحبها بالتعاون مع منظمة جنة الزهراء. وتم تأمين المصادر المالية لهذا المشروع العظيم من التبرعات الشعبية والمساعدات ومساهمات المؤسسات والمراكز والندورات والأوقاف."، أما في الحقيقة، فلا يوجد مصدر محايد واحد يؤيد هذه المعلومة.

مراقدة الأولياء وأبناء الأئمة في طهران

في طهران والمناطق المحيطة بها، يوجد 37 مرقداً لأمام وولي وشبه إمام، نشأت واطقمت 35 منها بعد عام 1979 (الثورة الإسلامية في إيران). هذه قائمة سريعة بأسمائها دون مرور تفصيلي على كل منها:

البقعة المباركة (خطوة) إمام زاده عباس.

البقعة المباركة (خطوة) امام زادگان سيد ابراهيم و سيد اسماعيل.

مزار امام زاده سيد محمد نوربخش .

مزار امام زاده زيد ابن علي .

مزار امام زاده طاهر.

مزار امام زاده إبراهيم .

مزار ومرقد امام زادگان كابل حسين .

مزار ومقام امام زاده عبدالله و زيد بن عباس بن علي .

خطوة سيد ولي بن محمد التقي الجواد .

مزار وخطوة ابو القاسم عز الدين يحيى (ع) مشهور به إمام زاده يحيى .

مرقد ومزار قاسم بن حسن بن زيد بن حسن مجتبي.

الخطوة المباركة لإمام زادگان جعفر و حميدة خاتون .

مرقد ومزار امام زاده سيد ناصرالدين بن علي بن أحمد.

مزار امام زاده علي أكبر .

مرقد ومزار امام زاده سيد رضا من أبناء الإمام حسن مجتبي.

مزار امام زاده سيد إسماعيل.

مرقد وخطوة امام زاده سيد محمد والي.

الخطوة المباركة لإمام زاده هادي .

مزار خطوة امام زاده حسن.

مرقد امام زاده إسماعيل ابن موسى ابن جعفر .

مزار ومرقد امام زاده معصوم بن عبدالله.

خطوة امام زاده پنج تن.

خطوة ومزار امام زاده زيد . في القسم الجنوبي من سوق طهران الكبير. بازار تهران.

مرقد وخطوة امام زاده صالح، في ضاحية تجريش الغنية شمال طهران

خطوة امام زاده مطيب.

خطوة امام زاده عين علي و زين علي .

مرقد ومزار امام زاده إسماعيل زرگنده .

حضرة ومزار امام زاده علي ابن جعفر.

مرقد ومزار إمام زادگان عقيل، علاء الدين و محمود .

خطوة امام زاده أهل ابن علي .

مرقد امام زاده سيد محمد رضا .

خطوة مباركة امام زاده صالح .

خطوة مباركة امام زاده عبدالله.

خطوة مباركة امام زاده ابو الحسن علي.

مرقد امام زاده سيد محمد من نسل الإمام موسى الكاظم .

مزار إمام زاده أبو طالب.

مرقد ومزار إمام زاده روح الله

هذا مثال لمراقد ومزارات انتشرت لا أحد يعرف كيف في مدينة واحدة في عصر السلطة الدينية، وهي العاصمة الإيرانية طهران. وإذا ذهبنا إلى عمق شبه القارة الإيرانية فسوف نجد حرفياً في كل قرية مزاراً ومرقداً وتفاصيل متعلقة بها.

مرقد شاه عبد العظيم

مرقد عبد العظيم الحسني في الري جنوب طهران، وكان موجوداً قبل قيام الثورة الإسلامية، لكنه كان مرقداً متواضعاً نسبياً أما اليوم فهو مرقد باذخ أنيق فسيح مهيب، بمئذنتين بنيتا على الطراز الصفوي، وقبة مذهبة كبيرة، تجاورها قبة مكسوة بالكاشي (سيراميك) الأزرق. وبات اليوم مؤسسة كبرى ترتبط بها عشرات المدارس والدوائر التابعة لها، ونتيجة تزامم الزائرين على هذا الضريح، تتدفق عائدات ضخمة عليها تتيح توسيعه المستمر منذ سنوات.

ومن المؤسسات المرتبطة به:

*مركز مراقبة السماء والنجوم، لمعرفة مراتب الهلال والقمر خلال كل شهر

*مركز تعليم القرآن الكريم

*الحوزة العلمية المقدسة

*موقع برديس طهران المقدس

*جامعة القرآن والحديث

*مجمع حكمت التعليمي

*دار الكوثر للشفاء

مؤسسة شاه عبد العظيم اليوم، تتحرك بميزانية عملاقة تتوفر لها غالباً من واردات النذور والهدايا التي تصلها، وتحظى بدعم مالي حكومي مستمر. كما أن لها موقعا إلكترونياً كبيراً اسمه شاه عبد العظيم.

كيف يعيش الناس بين إيران الوطن وإيران الدولة

بقايا إمبراطورية تضم أمما شتى، فهي أكثر من دولة وأكبر من مملكة، لكنها تبقى أقل من أمة ! هو وطن يشكو كرده وعربه وبلوشه ظلم القومية، ويشكو سنته ظلم شيعته، ويشكو مسيحيوه ظلم مسلميه، ويشكو زرادشتيوه ظلم إسلامييه، ويفر بهائيوه بأرواحهم هربا من قوانين دولته، وتشكو مدنه تسلط اريافه. ويشكو الجميع سلطة المساجد المعيقة التي يشعرون بها وتكاد تخنقهم.

وضعت الجغرافية إيران في عين عاصفة التاريخ، فتظافر عاملان تخلف دائما عنهما عنصر الحياة - الماء- الشحيح في هذه البلاد. التعدد سمة تميّز أرض فارس التي لا يشكل الفرس سوى 63 بالمائة من مكوناتها، لذا يصبح الحديث عن الشعب الفارسي والحضارة الفارسية وأرض التشيع مصادرة لحقائق التاريخ وابتزازا لحق الجغرافية.

يصرّ الإسلاميون في إيران على تلقين الشعب لقب الدولة الرسمي "الجمهورية الإسلامية في إيران" لكن الشعب يرفض ذلك في الغالب. بل إنّ العالم - وخاصة على مستوى الصحافة والإعلام وأروقة السياسة - يتعامل مع مصطلح إيران كوصف نهائي لكثرة الجغرافية والتاريخ التي حملت الوصف عبر مئات السنين، وهو ما يزعج الكهنة إلى درجة كبيرة، فهم يسعون أن يمحي من الذاكرة اسم أرض فارس، ويحل محله وصف "الجمهورية الإسلامية في إيران".

ولكن، ورغم ضغط الخارج الدولي والإقليمي، علاوة على ضغط قوى الرفض والمعارضة في الداخل، فقد نجح الإسلاميون في أن يبنوا بلدا قويا وصناعة متينة واقتصادا لا ريعي متنوع المصادر وهذه كلها أثبتت فاعليتها حين عجزت 10 سنوات من الحصار الدولي عن ترك أي تأثير على الاقتصاد الإيراني (رغم تدني سعر صرف الريال داخليا وخارجيا بشكل سريع) وقد ممرنا على تفسير ذلك، بجدية الحصار الدولي الذي فرض على إيران قبل تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب منصب الرئاسة، وقبل اعلانه انسحاب بلاده من الاتفاق الدولي النووي، واعلانه فرض حصار أمريكي على اقتصاد إيران.

الأذريون- مع " الجمهورية الإسلامية" دون تراجع

الأذريون هم القوة الخفية في " الجمهورية الإسلامية" ويحملون الورقة الراححة، فمنهم "مرشد الثورة" علي خامنئي (ويلقب على المستوى الرسمي مقام معظم رهبرى) واللقب نفسه يثير اشكالات كبرى وانقسامات داخل المجتمع الإيراني، فكثيرون يرفضون النطق به ويكتفون بالقول خامنئي، أما المتدينون الراضون للقب الإمبراطوري الاسلامي فيقولن باختصار " سيد علي".

الأذريون والتركمان هم العمود الفقري لقوات حرس الثورة "باسدران" وللجيش الإيراني (فمنهم أغلب المتطوعين في صفوف الجيش وبذلك فإن نسبة كبرى من ضباط الصف في الجيش النظامي هم آذريون). كما أن كثيراً من رجال ونساء " الجمهورية الإسلامية" هم آذريون.

هل زور الإسلاميون انتخابات عام 2009؟

رغم أن وسائل الاعلام العربية والدولية بشكل عام تصرّ على القول إن الاسلاميين قد زورا الانتخابات الإيرانية عام 2009، فإن هذا يبقى ادعاء عارياً عن الصحة. حقيقة تلك الانتخابات أن المدن الإيرانية الكبرى لم تصوّت للإسلاميين ونفوذهم، وذهبت لتصوّت للإصلاح الاسلامي السياسي. والتظاهرات الكبرى التي رأيناها في المدن، وواقعة إطلاق النار على المتظاهرين التي ادت الى مقتل طالبة الموسيقى ندا اغا سلطان في شوارع طهران كمثال صارخ ، هي اثباتات اعلامية حقيقة تثبت رفض سكان الحواضر لجمهورية الإسلاميين.

لكن ما لم يره الاعلام غير الإيراني وجمهوره، أنّ الريف برمته صوّت للإسلاميين، وهذا يجعل النسبة بحدود 65% من الشعب مع الاسلاميين (سكان الريف الذين تسميهم ادبيات السياسة الإيرانية "مناطق محروم كشور")، وما تبقى راوح بين انتخاب الاصلاحيين وبين الحنين لاستعادة المجد الشاهنشاهي .

شعب الخارج وشعب الداخل!

هذا الانقسام الحاد تجلى بوضوح في نسيج المجتمع، فبتنا نرى الإيرانيين داخل إيران والإيرانيين خارجها (وهي ازمة عابرة للحدود ناتجة عن اتساع الفجوة بين الدول المتقدمة وبين بلدان العالم النامية). الإيرانيون المهاجرون ينتمون غالباً إلى الطبقة الوسطى والطبقة المرفهة، لكن على المراقب أن يخوض بحذر في هذا الميدان، فالحدود بين هذه الطبقات وألوان نسيجها معقدة.

النساء الإيرانيات المسافرات وحال مغادرة الطائرة أجواء بلادهن يذهبن إلى مرحاض الطائرة ويتخلصن من كل قطعة ملابس تنتمي إلى الحجاب الإسلامي. وهو ما بات الشباب الرجال أيضاً يفعلونه. انتزاع مظهر النظام السياسي الإسلامي هو أول إعلان لطلاق المسافرين مع كل ما ينتمي الى الدخل، وهكذا تنمو الفجوة بين الشعبين ! أهل الخارج يضعون كل أهل الداخل في سلة الولاء للنظام والانصياع له، بالمقابل فإنّ أهل الداخل يضعون كل أهل الخارج في سلة قلة الوطنية والولاء لأمريكا على وجه الخصوص.

المهاجر الإيراني هو الأكثر انسلاخاً

أي مراقب لوضع المهاجرين في الولايات المتحدة والعالم الغربي بوسعه أن يميز بسهولة الإيرانيين عن غيرهم من المسلمين، فهم الأكثر انسلاخا عن منظومة القيم الاخلاقية والمجتمعية الإسلامية في العالم، ولا يجد المرء أيّ إيرانية محجبة خارج إيران باستثناء المحسوبات على السلطة من موظفات السفارات والملحقيات والقنصليات والمراكز ثقافية شبه رسمية في الخارج، كما لا يجد أي إيراني متدين خارج "الجمهورية الإسلامية" وهو ما يختلف جذريا عن وضع المسلمات المهاجرات من العالم العربي والإسلامي. الإيرانيون هم الشعب المسلم الوحيد الذي لا يملك مساجد في الخارج، وإيرانيو الخارج لا علاقة لهم بالإسلام خاصة (وهذا يدعو المتخصصين لدراسة ظاهرة رد فعل الشعوب لضغوط أحزاب الإسلام السياسي في البلدان التي تملك فيها تلك الأحزاب زمام السلطة، ولعل في مصر بعد سنة الإخوان مثال عربي حي على هذه الظاهرة، وفي العراق بعد 15 عاما من سلطة الأحزاب الشيعية والأحزاب السنية مثال آخر).

هذه القطيعة مع النظام السياسي ترافقها بطبيعة الحال غربة عن نسيج المجتمع الإيراني، لذا- ورغم الحديث عن 8 ملايين مهاجر إيراني خلال ما يقرب من أربعة عقود من الزمن- لم ينجح هؤلاء في بناء قاعدة معارضة- حتى فكرية- تهدد الإسلاميين.

السلطة لعبة تغيير ديموغرافيا الشعوب الإيرانية

في مجال شراء المكونات المولية للسلطة عوضا عن الملايين المهاجرة الراضة للإسلام على طريقة الملاي، صادق مجلس الشورى الإيراني خلال شهر نيسان/ابريل 2016 على قانون يتيح للحكومة منح الجنسية لعائلات أجنب قضاوا خلال قتالهم "لمصلحة البلاد" أثناء الحرب العراقية الإيرانية والحروب التي تدور رحاها حاليا في سوريا والعراق. ويعني تعبير "مصلحة البلاد" أنّ القتلى قضاوا في سبيل قضية نشر الاسلام السياسي الملاي.

ويمكن أن يسري هذا القانون على "المتطوعين" الأفغان والباكستانيين الذين قتلوا خلال المعارك إلى جانب القوات السورية، على ما أوردت وكالة "فرانس برس". وتنشر وسائل الاعلام الإيرانية بانتظام تقارير عن مقتل متطوعين أفغان وباكستانيين في سوريا والعراق، ويجري دفن جثثهم في إيران.

الامتيازات لذوي الولاء المحسوم بغض النظر عن أصولهم

وجرى مثل ذلك خلال الحرب العراقية الإيرانية، فقد قاتل ألوف المهجرين العراقيين (الذين هجرهم وعائلاتهم نظام البعث في العراق بتهم التابعة الإيرانية على مدى 3 عقود)، علاوة على ألوف المنتمين لأحزاب الإسلام السياسي الشيعية التي عارضت سلطة صدام حسين، واختارت أن تقف الى جانب "الجمهورية الإسلامية" في حرب السنوات الثمان، وقاتل معهم بضع مئات من المقاتلين الأفغان وهم في الغالب من المهجرين من العراق أيضا، كل هذا الخليط قاتل إلى جانب نظام الجمهورية الإسلامية ضد العراق. كلّ الأحياء من أولئك وكل عائلات من قُتلوا منهم، يتمتعون بحقوق مواطني الدرجة الأولى في إيران، وتسّم منهم البعض مناصب عليا في الدولة .

وتتبنى حكومة "الجمهورية الإسلامية" نفس الموقف من مقاتلي حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله في لبنان، إذ تمنح عائلات قتلاهم امتيازات داخل إيران، تصل إلى مستوى منحهم الجنسية الإيرانية، ومنحهم وحدات سكنية في مشاريع السكن العملاقة التي تقيمها الحكومة والبازار على أطراف المدن فتقوي الاقتصاد، وتحل أزمة السكن وتشترى ولاءات ملايين المنتمين لمشروع "

الجمهورية الإسلامية" التي تمثل إيران أولى حلقاتها بانتظار اكتمال حلقات
السلسلة الأخرى .

إيران - الأطراف غير الصديقة للجمهورية الإسلامية

ما يميز إيران، مساحة شاسعة من تفاوت بين تاريخ متحضر عريق طالما وضع شعوب أرض فارس في حروب اطماع ملوكها الغزاة ضد أمم الجوار، وبين تاريخ أعقب الهزيمة أمام غزو عرب البادية وهم يحملون سيوف ورايات الإسلام ليقهروا بها التحضر الامبراطوري.

أطراف الجمهورية الاسلامية القارية الشاسعة غير صديقة، فالکرد لا يحبون الجمهورية، والعرب يحقدون عليها، والبلوش يرونها ظالمة لهم، هذه الأطراف غير الموالية للسلطة، تثبت حكومة المعممين فيها المساجد والحسينيات في محاولة دؤوبة لجعلها شيعية، ولتفعيل الدور المنبري الشيعي الذي استطاعت من خلاله أن تحكم شبه قارة إيران الشاسعة لعقود. لكنّ الأطراف تقاوم ذلك بتكاييا ومساجد خاصة تقام أحيانا في البيوت، ويصلي ويلتقي فيها أهل السنة عموما، خاصة في مناطق عربستان (خوزستان بالفارسية) ومناطق بلوشستان وأطرافها حيث يغلب السنة على النسيج السكاني.

ومنذ مطلع الألفية الثالثة بدأت المساجد السنية الخاصة تدب في كردستان أيضا، لاسيما أنّ إيران دأبت على دعم الحركات السنية الكردية، جند الاسلام، الملا كريكور، الجماعة الإسلامية في إقليم كردستان العراق لخلخلة الوضع في الإقليم لصالحها.

كأنّ إيران مهد لتفاوت وتباين واختلاف لا ينتهي، ولا يسع المراقب إلا أن يتساءل، كيف بقي هذا النسيج ملتحما كل هذه القرون؟ أبرز علامات التباين السياسي المجتمعي هو صراع المدينة والريف، فالحوضر الكبرى في إيران تشمل 8 مدن مليونية بينها أربع عواصم لأربع ممالك شاسعة. طهران (تهران) العاصمة القاجارية البهلوية الإسلامية يتراوح عدد سكانها بين 10 ملايين نهارا و8 ملايين ليلا، ومن الغريب أنّ الجمهورية الاسلامية التي غيرت كل شيء لم تفكر أن تتخذ لنفسها عاصمة رغم أنّ في البلد مدينتي مشهد وقم المليونيتين وتصلح كل منهما أن تصبح عاصمة الدولة الشيعية.

مشهد النبي لم تصبح عاصمة

إنّها امبراطورية تمتد على مساحة شاسعة بحضن آسيا، تضم أزداد وتناقضات مجتمعية ونسجية و اخلاقية وقيمة قلّ نظيرها، ويتجلى ذلك في أطرافها البعيدة عن المركز الفارسي - الآذري (آزرى) غالبا.

طرفها الشرقي (أستان خراسان) المطلّة حافته على باكستان و افغانستان و تركمانستان، أكبر حواضره مدينة مشهد (الطوس) التي تضم مرقد الإمام علي بن موسى الرضا. ويقترّب عدد سكانها اليوم من 3 ملايين نسمة، تعيش رسميا على السياحة الدينية، وعلى انتاج السجاد، وزراعة القمح لكنها مركز لحواضر مجاورة في ايران وفيما ما حولها وتمثل رأس ممر طريق الحرير القديم، الذي بات اليوم ممرا لتهرب المخدرات وقطع السلاح وكل بضائع آسيا الشرعية وغير الشرعية تقريبا .

أرضها حقول لورد الزعفران، وهو واحد من أغلى المحاصيل (المطيبّة) في العالم. ورغم أن ولاء أهل مشهد (الشيعة غالبا) ينبغي أن يعد محسوما للحكومة الإسلامية، لكن مشكلات المخدرات وما يتفرع عنها من تجارة الأعضاء البشرية وبيع المدمنين لزوجاتهم وبناتهم وأخواتهم تجرح ولاء المدينة للسلطة وتجعلها إحدى المدن النائية (13 ساعة عن طهران بالسيارة) المثيرة للمشاكل.

زاهدن الهاربة من التاريخ إلى حضن الممنوعات

وفي جنوب مشهد إقليم سیتسان وبلوشستان "أستان سيستان و بلوچستان" التي يتحدر من إحدى قراها المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني. أهل سيستان في الغالب شيعة، وأهل بلوشستان في الغالب سنة، لذا ربطت الحكومة المركزية الولايتين في ولاية واحدة لتخفيف الفرق وتغليب المذهب الأكبر.

وتسكن إثنية البلوش في مناطق الحدود مع افغانستان وباكستان ولغاتهم البلوشية و البراهوئية و الرخشانية، وأغلبهم من السنة، وعاصمة هذا الاقليم مدينة زاهدان البالغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة، هم خليط مختلف غريب من أمم تجمعت في مركز واحد يصدرّ ويمرّر ويستورد "الجهاديين"، والراغبين في

الهجرة من الأفغان، وتجار المخدرات من أفغانستان وباكستان، وكل أنواع القراصنة في بحر العرب وجنوبه.

مناطق بلوشستان وزاهدان تضم معاير المخدرات والخادمت والمومسات والعمالة والسلع الرخيصة الآسيوية كافة إلى شواطئ الخليج لتتجه إلى دول الساحل الغربي العربية الغنية أو لتواصل الإبحار إلى أمريكا وأستراليا والعالم العابر للمحيطات، أو أن تلك المهربات المطلوبة في أسواق العالم السفلي تتجه غربا موغلة في السير عبر تركيا ومنها إلى أسواق أوروبا عموما.

إعدام المهربين والمعارضين

هذا لا يعني طبعاً أن الاقتصاد الإيراني الرسمي يعيش على المخدرات وقائمة المهربات الممنوعة، فحكومة الجمهورية الإسلامية تحارب هذه المصالح غير القانونية بشكل شرس، وتشنق المهربين على الرافعات علناً في الشوارع - وتشنق معهم كل المعارضين للجمهورية الإسلامية بتهمة تهريب المخدرات "قاجاق مواد مخدر" - وتتلغ المواد المهربة في حملات علنية تحرق فيها أطنان من المخدرات قيمتها مليارات الدولارات، لكن كميات كبيرة تتخلف عن هذه الأطنان المحروقة، تفلت من المحرقة، وتهرب فتتسرب مواردّها إلى جهات غامضة.

في هذه المناطق تنشط أحزاب سنية دينية، يغلب عليها التوجه السلفي ومنها :

*حزب فرقان، الذي تأسس عام 1996 من قبل الشيخ جليل قنبر شاه بخش، ويعد الحزب من أبرز حركات التيار السلفي.

*حركة جند الله، بزعامة الشيخ عبد المالك ريكي، وقد تأسست عام 2002 وهي حركة سلفية هدفها المعلن "رفع الظلم ونيل حقوق أهل السنة عامة والشعب البلوشي خاصة" .

*حركة الجهاد الإسلامي، بزعامة صلاح الدين البلوشي، وهي أحدث الحركات، وتحاول أن تنشط في بلوشستان.

مازندران - كافييار وفسنق وسجاد

شمال إيران يشغلها إقليم مازندران (استان مازندران) وعاصمته ساري التي يبلغ عدد سكانها نحو ربع مليون نسمة، ويحد الإقليم كل من تركمانستان، وكازاخستان، وروسيا. السائد هنا المذهب الشيعي ولغة الناس هنا هي المازندرانية، والآذرية، ويندر أن تجد اشخاصا يتكلمون الفارسية (باستثناء موظفي الحكومة). عصب الحياة في الإقليم زراعة الفستق والجوز والبلوط ونتاج الخشب. تضم أراضيها اقطاعات شاسعة لزراعة الفستق تشغل ألوف الفلاحين وكان يملك كثيراً منها رجل إيران القومي الثاني، هاشمي رفسنجاني.

كما يقع في الشمال الشرقي إقليم كيلان وعاصمته رشت وعديد نفوسها نحو نصف مليون نسمة. منه تحدر الإمام عبد القادر الكيلاني (الشيخ الصوفي السني) وضريحه في بغداد. تحد أستان كيلان كل من آذربايجان وأرمينيا ويستلقي جزء منه على ساحل بحر الخزر الجنوبي. ثلثا سكانه من أهل السنة الساكنين في أراضٍ مطيرة خصبة لا تشبه الصحارى القاحلة التي تشغل وسط البلاد وجنوبها، ولغتهم "الكيلاكية". اقتصاده يقوم على إنتاج الكافييار (خاويار)، أعلى منتج غذائي بحري في العالم، كما تنتج غاباته أنواعا نادرة ثمينة من الأخشاب. أهل الإقليمين لا يشبهون سائر أهل إيران في كثير من مظاهر الحياة والنسيج الاجتماعي واللغة. ولا يوجد نشاط سياسي معارض في مجمل شمال إيران.

الجنوب العربي الطويل منقسم مذهبيا

جنوب إيران على وجه الخصوص يصعب رسمه جغرافيا، فهو صغير مدبب ينتهي بالحدود الباكستانية على أعالي بحر العرب، لكن تنوع الديموغرافية يمتد صعودا مع سواحل شرق الخليج وصولا إلى البصرة جنوب العراق. جنوب هذه السواحل يتكلم الناس اللغة البلوشية والجدگاليالدرية متأثرين إلى حد كبير بلغات جنوب غرب باكستان، وأغلبهم من المسلمين السنة.

ابتداء من بندر عباس وجزيرة كيش تصبح العربية لغة أهل المنطقة التي تسكنها قبائل عرب الأحواز عموما مختلطة بأقوام أخرى. هؤلاء العرب أغلبهم من السنة

ولا يدينون بالولاء للجمهورية الإسلامية بل يرون فيها نظاماً يصادر عروبتهم ويلغي هويتهم المذهبية، لكن الأغنياء في هذه المناطق لهم مصالح مشتركة عبر الخليج وفي البازار الموالي للحكومة المركزية، وتتحرك رؤوس أموالهم العملاقة عبر المياه الدافئة إلى كل العالم.

وصولاً إلى مناطق حدود العراق، تكون العشائر الساكنة على طرفي الحدود) كعب، مالك، السواعد، طرفة، بني لام، الزرقان، السود، البيض، بني تميم، زبيد، وقبائل أخرى كثيرة) في الغالب شيعية، وهنا أيضاً انقسام سياسي قومي، فقد نجح صدام حسين في استمالة بعض هذه العشائر فسأحها وزجها في الحرب ضد إيران، وبعد انتهاء الحرب عام 1988 اسكنها مناطق غرب العراق (الرمادي والخالدية) وكان يخطط لحشدها ضد إيران).

بعد اسقاط صدام، ارتبكت أوضاعهم وهاجر كثير منهم إلى بلدان عربية وأوروبية ومن بقي منهم احتشد مع بعض عشائر المنطقة التي بايعت تنظيم الدولة الإسلامية. مواقف عرب إيران الداعمة لسياسات صدام حسين، وتاريخهم المرتبك في إقليم المحمرة، خلق لدى عرب الخليج الذين عانوا من سياسات صدام حسين، حالة حذر من هؤلاء العرب، فامتنعوا بشكل قاطع عن دعم حركاتهم، ولم يدعموا بضع مشاريع إعلامية أراد الأحوازيون إقامتها فوق أراضي دول الخليج العربية.

السياسة في المناطق العربية (خوزستان)

اليوم، لدى عرب الأحواز أحزاب سياسية سرية تعارض النظام لكن أغلبها ينشط خارج إيران، ومنها :

*حزب التضامن الديمقراطي الاحوازي – فدرالي يحظى بتأييد واسع بين نخب الأحواز غير العشائرية. غير ديني وله اتصالات بالأحزاب الإيرانية المعارضة التي تطالب بحقوق الشعوب غير الفارسية.

*التيار القومي الوطني الاحوازي – فدرالي وينشط في الداخل بشكل سري، يرفض العنف ويدعو إلى النضال السلمي ينطلق هذا التنظيم من الواقع الداخلي.

*الجبهة العربية لتحرير الاحواز - وهي تنظيم انفصالي وتحالف مع النظام العراقي السابق خلال الحرب العراقية الايرانية دخل في تحالف مع مجموعة حزم ثم انفصل عنها. هذا التنظيم لا يحظى بدعم عربي، وبقياء فصائله المسلحة ما زالت تقيم غرب العراق.

* تنظيمات صغيرة أخرى بينها حركة النضال العربي لتحرير الأحواز وهي الحركة المتهمه بتفجيرات عام 2005 في الاحواز. كما تبنت الهجوم الذي استهدف عرضاً عسكرياً، في 22 أيلول/ سبتمبر 2018، في مدينة الأحواز بجنوب غرب إيران.

وقال المتحدث باسم الحركة يعقوب حر التستري، لوكالة "رويترز": "إن منظمة المقاومة الوطنية الأحوازية، التي تضم عدداً من الفصائل المسلحة، هي المسؤولة عن الهجوم" دون مزيد من التفاصيل.

في رد فعل سريع غير مدروس، إتهم الجيش الإيراني اتهم دولتين خليجيتين من بين 4 دول (لم يسمّها)، بالوقوف وراء الهجوم المسلح الذي استهدف عرضاً عسكرياً بمدينة الأحواز. هذا الاتهام جاء على خلفية تصريحات رسمية خليجية كثيرة بنقل المعركة إلى داخل العمق الإيراني.

أعلنت وسائل إعلام إيرانية أنّ عدد قتلى الهجوم بمدينة الأحواز جنوب غربي البلاد، بلغ 29 شخصاً بينهم عسكريون ومدنيون.

وأوضح مسؤول إيراني أنّ الهجوم "نُفذ من قبل 4 مسلحين سبق أن خبأوا أسلحتهم، وهي رشاشات (بنادق) كلاشنكوف، قرب مكان تنظيم العرض"، مؤكداً القضاء عليهم جميعاً.

وتضاربت الأنباء حول تبني الهجوم؛ إذ أعلن تنظيم داعش "الدولة الاسلامية" مسؤوليته، في حين قالت "جماعة الأحواز" إنها تقف وراء التفجير.

كأجراء مضاد لهذه التوجهات التي باتت تتسم بعنف كبير، نجحت السلطات في إعداد وتجنيد كثير من وجوه قبائل عرب الاحواز - " أهواز " بالفارسية واللفظان

في جوهر الخلاف الحكومي مع أهل المنطقة- وجعلتهم في مناصب قيادية حاسمة، ولعل أشهرهم هو الأميرال علي شمخاني أمين مجلس الأمن الإيراني.

اللر والكرد تنازع الولاء للمذهب وللقومية

حيث تنتهي المناطق العربية في إيران تبدأ مناطق اللر، على جانبي الحدود مع العراق وهم يسكنون محافظتي عيلام وكرمانشاه وهم كرد لغتهم اللرية تختلف عن لغات الكرد الأخرى. ما يميز هؤلاء عن سائر الكرد أنّهم شيعة، وهم يعانون بسبب ذلك من تنازع الانتماء إلى المذهب أو إلى الإثنية. ولاؤهم في الغالب محسوم للسلطة، ويشغل عدد كبير من اللر مناصب حاسمة في إقليم كردستان إيران، فتوظف الحكومة المركزية انتماءهم القومي مستفيدة من ولائهم المذهبي.

أعلى ذلك تبدأ مناطق كردستان إيران وفيها محافظة سنندج و ارومية وصولاً إلى مثلث أرمينيا تركيا ومركزه "خوي" المتحدر منها المرجع الشيعي الراحل الخوئي . اللغة السائدة هنا الكردية، والمذهب السائد هو السني، وقد شهدت هذه المنطقة إقامة جمهورية مهاباد الكردية عام 1946 التي أسسها الملا مصطفى بارزاني مع القاضي محمد بدعم سوفيتي. الأكراد في إيران عموماً ضد السلطة ولهم قضيتهم على مدى التاريخ. هم ضد السلطة أولاً لأنها ترفضهم كقومية (كما الحال في تركيا) وضدها مرة أخرى لأنها تخالفهم المذهب ويرون أنّها تمنعهم عن عباداتهم، ولكنهم عموماً ليسوا متمسكين بالعقيدة الدينية قدر تمسكهم بقضيتهم القومية، ولم تنجح الحركات السلفية التي نشطت في الشريط الحدودي المقابل في العراق (وادي بياره وطويله، ووادي بنجوين) في أن تجد لنفسها موطناً قدم بينهم. إيران اللر والكرد سماها البعض قديماً "عراق العجم" طمساً لتاريخ الكرد، وتمييزاً لها عن العراق الذي ضم المدائن وما تحتها وما فوقها وصولاً إلى ميدان بأعلى وادي حران في ديار بكر بالعراق وسموه "عراق العرب".

سياسة كردستان إيران وكردستان العراق

في كردستان إيران 15 حزب ومنظمة، أهمها: الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، الحزب الديمقراطي الكردستاني، حزب كومه كردستان إيران، حزب "پژاک" . هذه الأحزاب تمتلك فصائل مسلحة، وهي مصدر قلق دائم لحكومة الجمهورية المضطربة لوضع أكثر من 4 فرق عسكرية مفتوحة بشكل دائم في مناطق كردستان. وتقوم مفارز مسلحة من بعض هذه الأحزاب بهجمات منظمة

على القوافل والمخافر والنقاط الجبلية الحكومية وتكبتها خسائر ملحوظة، لكن الإعلام الرسمي لا يمر على ذكر ذلك.

مريوان - فردوس الممنوعات والدولارات

أعاد إمام جمعة مسجد مريوان ماموستا مصطفى شيرازي في خطبة الجمعة (يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2018) إلى الأذهان تفاصيل اغتيال ابنه واثنين من أصحابه قبل 9 سنوات. جاء ذلك عشية تنفيذ حكم الإعدام بالقتلة وهم من عناصر بي جاك الحركة الماركسية الكردية التي تقلق النظام بهذه المدينة.

مريوان المدينة الواقعة على ضفاف بحيرة زربيار وتملك حدودا مشتركة مع إقليم كردستان العراق بطول 100 كيلومتر وتطل على حوض بنجوين التابع لمدينة السليمانية. هذه المدينة تضم مركز استخبارات كبير مرتبط بفيلق القدس، ينظم عمليات مرور وانتقال الإيرانيين والعراقيين من وإلى كردستان العراق.

الإيرانيون المولدون في إقليم كردستان إيران (طبقا لبطاقات هوياتهم شناسنامه) يحق لهم زيارة إقليم كردستان العراق بدون تأشيرة دخول ونفس الأمر يصدق على الكرد المولودين في إقليم كردستان العراق طبقا لبطقاتهم الشخصية. هذا التسهيل الإداري في ظاهره يسهل إلى حد كبير تمرير العمليات اللوجستية والاستخبارية، وتهريب النفط من الإقليم إلى إيران.

ولهذا السبب تتحرك رؤوس المال الإيرانية والكردية العراقية بحرية في مدينة مريوان التي تعد نحو 195 ألف نسمة. وباتت أغلب الفنادق والمطاعم والمقاهي فيها مراكز لتنظيم عمليات تهريب البضائع من إيران إلى العراق، وتهريب النفط والمشروبات الكحولية من العراق إلى إيران.

وعلى المعابر الحدودية المشتركة ومنها معبر باشماق، تصطف حوضيات تحمل لوحات عراقية وهي تعبر إلى إيران محملة بالنفط المهرب بشكل مستمر. سياسيا، ينشط عناصر المعارضة الإيرانية من حزب بيجاك (حزب حياة آزاد كردستان)، والكومله بشدة في مريوان وما حولها، ويستهدفون بعملياتهم عناصر قيادية من الحرس الثوري الإيراني تعمل تحت غطاء في المنطقة.

في الثاني والعشرين من شهر تموز/ يوليو 2018، نفذ عناصر بيجاك الذين تربطهم روابط عقائدية وتنظيمية بحزب العمال الكردستاني التركي (بي كا كا

(عملية نوعية كبرى بقرية دري الحدودية استهدفت قوة من مركز مخابرات الحمزة " قراركاه حمزه"، واسفر الهجوم الذي جرى بقنابر الهاون عن مقتل 11 عنصراً من عناصر السباه (حرس الثورة)، واصابة 8 بينهم جنود.

وسارعت الجهات المسؤولة عن القوات الكردية العراقية (بيشمركة، اسايش) إلى نفي وجود أي علاقة لعناصرها بما جرى، فيما هددت السلطات الإيرانية في إقليم سنندج الإيراني الذي ترتبط به مريوان إدارياً بعقاب وخيم سيصيب عناصر الحركة الكردية في المنطقة.

لكن هذه ليست كل القصة في مريوان، فهذه المدينة باتت ملاذا للنساء الإيرانيات الهاربات من بيوتهن، حيث يسكنن في بيوت مؤقتة (غرف مؤجرة من بيوت سكان المدينة وقراها)، ويعملن في مهن ترتبط بالدعارة والغناء وجلسات الكيف (تداول الأفيون) في المنطقة، لاسيما أن عدد الفنادق والكازينوهات تكاثر بشكل ملفت للنظر في المنطقة.

عدد كبير من هؤلاء النسوة، يغامرن بالانتقال مع المهربين عبر الحدود مع إقليم كردستان العراق، ليعملن بشكل (مسكوت عنه) في كابريهات وفنادق أربيل والسليمانية ودهوك في كردستان العراق، ويعدن لذويهن بدخول عالٍ بسبب فروق العملة بين البلدين.

وتصاعدت وتيرة حركة النساء، وحركة بيع المشروبات الكحولية بين مريوان وكردستان العراق، مع اشتداد الحصار الأمريكي الدولي على الاقتصاد الإيراني منذ مطلع عام 2018 طبقاً لقرارات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

عناصر وقيادات أجهزة الأمن الإيرانية تحاول أن تغض الطرف عن هذه الظاهرة، مقابل خدمات أخرى تعرضها تلك النسوة بشكل خاص لهم. لكن عناصر من "كميته أمر به معروف ونهي أز منكر" المتشددة، تطارد الفتيات والنسوة بشكل وحشي، بل وتعتمد إلى قتلهن أحياناً رغم الحماية غير المعلنة من قبل عناصر الأمن والإدارة المحلية لمنطقة كردستان إيران لهن.

محلياً، تتميز نساء مريوان بقوتهن، وارانتهن الصلبة، وفي منتصف عام 2016، شنت النساء حملة منظمة لاستخدام الدراجات الهوائية بشكل يومي، وهو أمر ممنوع على النساء في إيران، ما شكل تحدٍ صارخ للسلطة في هذه المنطقة. وسلط

إمام جمعة مريوان الأنظار مراراً على أنّ استخدام النساء للدراجة الهوائية "حرام" ! لكن السلطات لا تستطيع أن تفرض المنع الفعال بشكل مستمر. كما بات الحال في طهران، حيث تستخدم آلاف النسوة الدراجات الهوائية والنارية للتنقل في العاصمة المختنقة بالسكان والتلوث.

على صعيد آخر، حذر محمد شفيعي عمدة مدينة مريوان في منتصف شهر ايلول/ سبتمبر 2018 من مستوى شراء العراقيين المنتظم للمواد الغذائية والسلع بشكل يومي بوتيرة عالية من أسواق مريوان ما أدى إلى ارتفاع أسعارها بشكل جنوني على الإيرانيين.

وكشف المسؤول الإيراني أن نحو 1100 شخص يعبرون يومياً عبر معابر بنجوين الرسمية لشراء المواد الغذائية والسلع التجارية بالجملة من الأسواق الإيرانية ونقلها إلى العراق محققين بذلك أرباحاً كبيرة بسبب انهيار التومان الإيراني أمام الدينار العراقي في هذه المرحلة. ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن المهربين بدورهم ينقلون كميات كبيرة من البضائع الإيرانية إلى العراق، كما ينقلون كميات كبيرة من المشروبات الكحولية غير الممنوعة في العراق إلى السوق الإيراني حيث الطلب عليها مرتفع للغاية.

يشار إلى أنّ حجم اقبال العراقيين على الشراء من الأسواق الإيرانية عبر الحدود الكردية شمالاً والعربية جنوباً بين البلدين ارتفع خلال النصف الأول من عام 2018 بنسبة تصل إلى 90 % مما كان عليه عام 2017 ، بسبب انهيار العملة الإيرانية.

الأخطر من كل هذا، وما لا يتكلم عنه إعلام الحكومة الإيرانية ولا إعلام كردستان العراق، هو عمليات تهريب وبيع المشتقات النفطية المدعومة بشكل جنوني إلى العراق عبر المعابر الحدودية لمدينة مريوان، لكنّ مصادر محلية في معبر باشماق، أكدت عبر الهاتف، أنّ حوضيات النفط العراقية التي تُهرب النفط الخام العراقي إلى إيران مباعاً بأسعار زهيدة مقارنة بأسعار النفط الدولية الرسمية، تحمل في رحلة عودتها مشتقات مصنعة، وخاصة البنزين والديزل من السوق الإيراني وتعود لبيعها في إقليم كردستان العراق بأسعار تنافسية خارقة.

ماذا يجري في الأحواز العطشى المغبرة ؟

أحواز أرض العرب جنوب غربي إيران تعيش أوضاعا صعبة وتجتاحتها تظاهرات بسبب البطالة وانقطاع مياه الشرب وانقطاع التيار الكهربائي. المصادر الرسمية تتحدث عن تداعيات نقل مياه المنطقة وتغيير مجرى نهر الكارون ما تسبب في التصحر وعواصف غبار ورمال عطّلت كل مفاصل الحياة.

تدهورُ الأوضاع في الجزء العربي من إيران أجبر وسائل الإعلام الرسمية على تسليط الضوء عليها، وقد نشرت وكالة أنباء الطلاب "إيسنا" في الحادي عشر من شباط/ فبراير 2017 تفاصيل ما يجري مشيرة بالقول "ممثل منطقة الأحواز في مجلس الشورى علي ساري كشف أنّ انقطاع مياه الشرب والتيار الكهربائي المتسبب عن العواصف الترابية والرملية قد جاء نتيجة توقف محطة الطاقة الكهربائية في إقليم خوزستان عن العمل، ومجمل هذه الظاهرة ناجم عن نقل مياه الأحواز (بالفارسية خوزستان) إلى الصحراء الكبرى (فلات مركزي) وسط إيران، ويبدو أنّ صرخات سكان المنطقة لا تصل الى أسماع أحد".

لكن المشهد يبدو متداخلا، فهناك تظاهرات تجري في عدة مدن في الإقليم، وتعرضت مصانع عدة للغلق، كما أنّ سلطات الأمن جلبت تعزيزات من مدن عدة ، وخاصة من إقليم فارس تحسبا لتطور الموقف.

الناشط الأحوازي في حقوق الإنسان عبد الكريم خلف تحدث حصريا لنا كاشفا عن تفاصيل المشهد بقوله "ما يجري في الأحواز يجري في ثلاثة محاور، الأول هو التلوث البيئي والانقطاع المتكرر للكهرباء والماء، والمحور الثاني يخص الاعتصامات في بعض الشركات ومنها شركة الفولاذ، وشركة البتروكيماويات والاحتجاجات في دوائر البلديات. فوق ذلك وهو المحور الثالث هناك جو متشنج أمنيا بسبب اغتيال أحد الشباب في مدينة الفلاحية".

انقطاعات الكهرباء والغاز المتكررة

ويبدو أنّ أزمة الكهرباء والغاز تتفاقم في مناطق عدة من إيران، حيث أنّ إقليم همدان ومدنه ومناطق مهاباد، سنندج ومدنها في إقليم كردستان إيران، علاوة على

مناطق إقليم الأحواز، تشهد قطعاً منظماً للغاز المسال، وقطعاً غير منظم للتيار الكهربائي، وقد أعلنت بيانات رسمية أنّ انقطاع التيار الكهربائي في أحواز ومدنها سببه توقف محطة توليد الطاقة الحرارية بسبب العواصف الرملية والغبار. وبهذا الخصوص كشف الناشط عبد الكريم خلف " منذ يوم 11 فبراير حتى اليوم هناك انقطاع متكرر للكهرباء وتحول الى أزمة، بل يمكن القول إنّ الحياة معدومة، لأنّ أغلب الدوائر الرسمية والمدارس والجامعات مغلقة بسبب العواصف الترابية والتلوث، ونحن نتكلم هنا عن 11 مدينة تعرضت للأزمة، علاوة على قرى وقصبات كثيرة في أطراف المدن تعاني من التلوث والغبار، وقد وصلني اليوم أنّه قد تم نقل 218 شخصاً الى المستشفيات بسبب مشكلات في التنفس".

أسباب الكارثة طبيعية أم صناعية؟

عضو في كتلة المعارضة " أميد" في مجلس الشورى الإيراني أعلن من جانبه "أزمة خوزستان سببها تغيير مجاري الأنهر ونقل المياه الى الصحراء المركزية، ويبدو أن لا أحد يلتفت لمعاناة الناس هناك. انقطاع التيار الكهربائي سببه العواصف الترابية والرملية الناشئة عن تغيير مسار نهر الكارون وتفرعاته لإيصال الماء لمناطق مركزية في إيران".

وفيما قاله النائب المعارض ردّاً على بعض التبريرات التي تتردد في أروقة الحكومة والبرلمان بأنّ سبب الأزمة خارجي وطبيعي لا علاقة له بتقصير حكومي. وبهذا الخصوص يقول الناشط الحقوقي عبد الكريم خلف " حتى في أوج الحرب العراقية الإيرانية لم تشهد الأحواز مشكلات تلوث بهذا الحجم، وهو ما أكدّه حتى النائب في مجلس الشورى "الكعبي"، الحقيقة هي أنّ النظام الإيراني قام ببناء سدود، وانشاء مزارع قصب السكر، علاوة على مشاريع بترولية عديدة أدت الى تجفيف الأنهر، وتجفيف الأهوار وخاصة هور الحويزة، بل أنّ بعض الخبراء الإيرانيين ، اثبتوا مؤخراً أنّ منشأ العواصف داخلي وليس خارجي".

سد الكرخة قاتل العرب "عرب كوشه"

سد عرب كوشه، سد بهشت زهراء، سد الكوثر، هي مشاريع ري أقامها النظام لغرض نقل مياه نهر الكرخة والكارون إلى أصفهان وقم ويزد، لغرض تعزيز موارد مياه الشرب كما أعلن، لكنّ بعض المسؤولين في مشاريع ري الأحواز،

كشفوا أنّ كميات الماء الذي ينقل الى الهضبة الوسطى في إيران هي أكثر بكثير مما أعلن وهذا أدى الى تجفيف الأنهر والأراضي، والمزارعون يعانون كثيراً من سياسة ترشيد موارد المياه. وأضاف خلف بهذا الخصوص "نشاط شركات النفط أيضاً في منطقة دست ميسان، أي هور العظيم في الأحواز ومدن البسيتين والخفاجية والحويزة أدى الى تفاقم الأزمة، فقد أُجبر النظام على تجفيف مسطحاتها المائية لسحب النفط منها، أضف الى ذلك مشروع قصب السكر وهو المشروع المحصور بين مدنية الاحواز والمحمرة، وقد صودرت الأراضي من أصحابها على مساحة تصل الى 120 كيلومترا مربعا واقامت عليها مشاريع قصب السكر التي رفعت ملوحة الأرض وأدت الى جفاف نهر الكارون الذي باتت مياهه غير صالحة حتى لشرب الحيوانات".

السياسة تظل برأسها "جفت ضمائرکم كما جف شريان وطني كارون"

وتنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي صور لتظاهرات ولافقات يرفعها محتجون تعلن بلا خوف احتجاجات الأحوازيين، بعضها قرأت "جفت ضمائرکم كما جف شريان وطني كارون"، ولافقة رفعها طفل يحمله أبوه كتب عليها "مواندنا باتت خالية، أعطونا حقوقنا"، فيما رفعت مجموعة نسوة مقنعات لافقة كتب عليها "انتبهوا إلى مطالب المجتمع المدني في الأحواز"، كما تنتشر صور لشبان عاطلين يفتشون الأرض ويعرضون شهاداتهم رغم الحضور الأمني المكثف مطالبين بتوظيفهم، وصور أخرى لعمال وموظفين شركات البترول العملاقة وهم مضربون عن العمل احتجاجا على فساد قيادات الشركات الحكومية التي تشغلهم. وإلى ذلك أشار الناشط الأحوازي عبد الكريم خلف بالقول "لا يخفى أنّ 70 بالمائة من المسؤولين الموجودين في مؤسسات الأحواز هم ممن يُطلق عليهم "المدراء الطيارون" بمعنى أنهم لا يسكنون المنطقة بل يزورونها بالطائرة، فهم يأتوا من طهران أو أصفهان، ويقضوا عملهم، ليعودوا غالباً في نفس اليوم من حيث أتوا، وهذا سبب نوعا من عدم العناية بما يحدث حيث يسود المنطقة الفقر، إذ أن 50 بالمائة من أهل عبادان عاطلون عن العمل، وفي الحويزة يصل الرقم الى 70 بالمائة، بل أنّ السلطات نقلت من المنطقة أكبر شركة لتكرير النفط، الى منطقة آراك (الاقليم المركزي)، ما فاقم نسب البطالة بسبب طرد أغلب العاملين في هذه الشركة، ونحن الناشطون نعتقد أنّ هذه الأزمات المفتعلة في الأحواز يراد منها تطهير عرقي وتهميش لسكان المنطقة العرب".

سياسة تفريس بقوة الرصاص و الهراوات !

وشهدت مناطق الأحواز في البداية تظاهرات شارك فيها ألوف الاحوازيين بسبب تلاحق الأزمات في المنطقة، لكن بعد التهديدات التي أطلقها النظام، وبعد قيامه بجلب تعزيزات أمنية من مناطق أخرى تضم عناصر أمن يركبون في الغالب دراجات نارية ومسلحون بالمسدسات والهراوات والسكاكين، تقلص عدد المتظاهرين وبات لا يتجاوز المئات يجتمعون ويرددون شعارات وهوسات عربية ، ثم يتفرقون كما يؤكد الناشط خلف مضيافا " بل تصل التظاهرات إلى صدامات في بعض المدن، ومنها الفلاحية حيث جاء النظام بجيش من محافظة فارس بسبب وجود صدامات، وقبل يومين قُتل رئيس الأمن الجنائي في مدينة الخلفي بسبب عنصريته".

يشار الى أنّ كلمة خوزستان وفدت الى الأحواز عام 1936 وكان يقصد منها تفريس المنطقة كما تشير مصادر عربية، فقد سُميت مدينة المحمرة "خرم شهر" و سميت مدينة عبادان "أبادان" فيما أطلق على مدينة الخفاجية "سوسنكرد" والصالحية "أنديمشك"، أما وصف خوزستان فأريد منه تغيير هوية المنطقة بالكامل، فالكلمة تعني حرفيا " أرض قوم الخوز " وهؤلاء لم يسكنوا هذه المنطقة قط، بل إنّ موطنهم هو مدينة قم وما حولها.

طهران - قصص من جيش القمامة

في طهران التي تنتج 9 آلاف طن من القمامة يومياً، يقوم جيش غالبية من الأطفال بجمع وتقسيم وبيع وتدوير زباله العاصمة التي تعد عشرة ملايين نسمة. قصصهم الغريبة الموجهة تكشف عن مافيات كبرى تدير العمل الذي يدر أرباحاً غير مرئية يحصدها المقاولون المتعاقدون مع الأقسام البلدية للعاصمة مترامية الأطراف. هذا الجيش الحزين، لا يلتفت للمساجد والحسينيات، حيث منعت السلطات نوم الأطفال المشردون (أواركان) من المبيت فيها.

لو تجولت في شوارع طهران المكتظة فلا بد أن يصادفك صبية يحملون بالات ثقيلة، يضعونها على ظهورهم ويمضون بها سِراعا الى مكبات القمامة. إنهم جيش القمامة الذي لا يعرف أحد عدده بالضبط. هم يجمعون القمامة، ثم يقسمونها إلى قمامة ناشفة وتشمل: ورق وكرتون، بلاستيك، خشب، حديد، زجاج، وتأتي سيارات المقاولين لتأخذ المحصول المصنّف إلى مصانع تدوير القمامة. أما القمامة الرطبة فهي الأصعب، وتشمل مخلفات الطعام عموماً، مضافاً إليها المواد التي لا هوية لها، نشافات صحية، مناشف الأطفال الملوثة بفضلاتهم، مناشف النساء المدماة، مناشف وضامادات المشافي والمراكز الطبية، الحقن الطبية، وبضع أشياء أخرى لا هوية لها. هذه الزباله لا يريد لها أحد وتسبب أمراضاً لا حصر لها، كما أنّ التخلص منها يتطلب نقلها إلى مكبات القمامة على أطراف جنوب العاصمة غير المرئية، فتكدس هناك وتحرق بشكل عشوائي. جمع وتصنيف واتلاف وتدوير الزباله يدر أكثر من مليار تومان يومياً.

بيروقراطية الفساد تحمي المقاولين

هؤلاء الأطفال تفتك بهم الأمراض، وهم في الغالب ضحايا الاغتصاب الجنسي، ويتداول بعضهم المخدرات، بل أنّ الدولة لا تستطيع أن تحميهم لأسباب بيروقراطية تسعى غالباً إلى التستر على الفساد. أغلب من التقيناهم أكدوا أن القانون لا يبيح وجود شيء اسمه مقاول القمامة، فبالبلديات هي التي تتكفل بذلك. لكنّ البلديات، بكادرها القليل جداً لا تستطيع قطعاً أن تصنف القمامة وأن تجمعها وتدورها، لذا تترك الأمر لاتفاق غامض غير معلن حول تدوير القمامة. فالقانون

يجيز للبلديات أن تصرف أموالاً لتصنيف وتدوير القمامة، وهي تفعل ذلك ضمن صفقات مع مقاولين ووسطاء، لكنها تشترط عليهم أن يقوموا هم بجمع القمامة، وهكذا تتلمص البلديات الرسمية من واجباتها، وتوكل كل شيء للوسطاء.

وفقاً لدراسة صدرت عن "جمعية الأمام علي للإغاثة الطلابية - الشعبية"، فإنّ كل صبي يجمع خلال اليوم 60 كيلوغرام في المعدل، وهم يعيشون في ورش تفريق وتصنيف القمامة.

حاولتُ عبثاً الوصول إلى الورش المشار إليها، لكنّ العاملين صغاراً وكباراً، رفضوا أن يقودوني إلى إحداها، وضحك أحدهم وهو في العشرين من عمره وهو يقول "هذا سر المهنة".

وهكذا كان علي أن اكتفي بالمشاهد التي عرضت علي في الشوارع والأزقة. وبدأت رحلتي معهم بناءً على نصيحة من الساعة السادسة مساءً، حيث رافقتهم في شوارع وأزقة مناطق ولي عصر، ميدان ونك، شارع ونك، شارع برزويل، شارع ملا صدرا، وصولاً إلى بعض مساحات تكديس القمامة، وعددها 30 مساحة، زرت منها مساحة "نوآوران سبز شايسته".

رئيسة مجلس شوري طهران، إلهام فخاري وكما نقل عنها موقع مخبر، وصفت وضع جيش القمامة بالقول "أغلبهم مصابون بأمراض عدة، لكنّ هذا لا يتصدر قائمة مشكلاتهم التي تضم فيما تضم الاستغلال الجنسي".

وطيلة ساعات جولتي، حاولت مراراً أن انفراد ببعض جنود جيش القمامة لأحاورهم، لكن وجود مراقبي العمل المستمر منعني من الحصول على أي حديث منهم، وهكذا تحتم عليّ الانتظار حتى ينتهون من عملهم.

الناشط في الدفاع عن حقوق الأطفال مظفر الوندي، تحدث إلى موقع "بهداشت نيوز" بخصوص أطفال القمامة ومعاناتهم، هناك متابعة حثيثة ومستمرة في محاولة لإخراجهم من محنتهم". ومضى إلى القول "جمع القمامة مشكلة متعددة الجوانب، البلديات لا تؤيد بشكل رسمي وجود هذه المشكلة، أما الواقع فهو أن هؤلاء الأطفال واقعون تحت رحمة المقاولين المتعاقدين مع البلديات، والذين يقومون بجمع وتصنيف القمامة ثم تدويرها في المقالع على أطراف طهران الجنوبية، لاسيما أن هؤلاء الأطفال يسكنون في تلك المقالع".

الفقر يدفعهم لسلوك طريق القمامة!

لكن كل هذا لم يحل مشكلة الفقر المدقع الذي يهرب منه سكان الريف، ليجدوا في ازقة العاصمة واحزمتها الفقيرة ومدن الصفيح جنوبها مكان لجمع رزقهم ومسكننا لهم.

بقيت انتقل في شوارع العاصمة، وحيثما شاهدت أطفال القمامة، حاولت أن أحاورهم، لكن حتى بغياب مراقبي العمل، وجدتهم يرفضون الحديث ويخافون وسائل الاعلام. وهكذا مضى شوط كبير من الليل، ليفاجئني منظر رجل قد تجاوز الخمسين، وهو يحاول بمقشته أن يجمع كل ما خلفه المارة على رصيف ميدان ونك. رياح الخريف الباردة تطير بمعطفه العسكري البالي، فتظهر ملابسه الرثة، هو ليس البالغ الوحيد بين جيوش صبيان القمامة في طهران، لكنه بدا لي وقورا بشكل ملفت للنظر.

انصرفت عنه مؤقتا لأتجول في المنطقة وأزقتها، والتقطت صوراً لجيش الصبيان وهم يجمعون القمامة من أرصفة العاصمة العملاقة، وفي نفسي ألف سؤال منها، أحقا هؤلاء هم صبيان العاصمة العملاقة، وأين يذهبون بعد انتهاء العمل مع انتصاف الليل؟

بعد انتصاف الليل بنحو أربعين دقيقة، تجمع الصبيان والبالغين، في نقطة متفق عليها، وجاءت سيارات صغيرة وكبيرة وشاحنات مكشوفة وحتى عربات تسحبها جرارات زراعية فأقلتهم - وأنا معهم- إلى بارك قريب، حيث تجمعوا في ظهر باحة مسجد كبير يطل على البارك.

وصل شخص متوسط العمر بسيارة أنيقة، ترجل منها وبيده حقيبة، وبدأ يقرأ أسماءهم، ويعطي كلا أجره. متوسط الأجر هو 10 آلاف تومان (نحو 3 دولارات وقت كتابة هذا التحقيق).

الكهل الذي لفت نظري و اسمه (أ. ع) منحه الشخص المسؤول 8 آلاف تومان، وهو يقول "نحن نراعيك أيها الحاج لكبر سنك، ونرجو أن تتفهم موقفنا، فأجرك لا يمكن أن يكون مثل أجور الباقين، لأنك تعمل ببطء".

بعد انتهاء مراسم توزيع الأجور، استقل الجيش الجرار نفس وسائط النقل التي أوصلته إلى المكان، لتبدأ رحلة العودة إلى حيث ينام جند القمامة المجهولون.

بيوت الكرتون والصفيح والمشمع!

ترجلنا أمام مبنى مهجور، يعيش كل الجمع في أرجائها. في الليل يبدو المكان ثكنة تضجّ بالحركة. مشيت مع الحاج أ.ع ، لأصل معه إلى حيث يعيش. فوجدتها بقايا ثكنة مهجورة، تهدمت جدرانها، وقد بنى الحاج من علب الصفيح جدارا وسقفا لها، غلفه من الخارج ببقايا قطع النايلون الضخمة المستخدمة في تغليف أطوال القماش وأطوال الورق وأطوال الشمع الكبيرة المنتشرة على أرضيات أسواق الجملة، فيما رقم الداخل بالكرتون للتقليل من تساقط أتربة السقف والجدران الرطبة.

جلس الحاج أ. على صندوق عتيق، ودعاني إلى التمتع بالجلوس على أريكة خشبية ينام عليها ليلا مفترشا لحافا رثا، وملتحفا ببضع بطانيات سوداء وكاكية بالية. ما إن جلسنا حتى أوقد لفافة تبغ، وبدأ يتحدث بلوعة مبررا وجوده في هذا المكان: "أعرف أنّ هذا العمل لا يليق بي، فأنا أحمل شهادتين، في الزراعة وفي تلقيح المزروعات، من جامعتي بهشتي في طهران، وآزادي آراك، لكن بعد خروجي من السجن، لم يقبل أحد أن يشغلني، فكان علي أن أرضى بأي عمل حتى تستقر الأوضاع".

فاجأتني صراحته، فسألته "متى غادرت السجن، ولماذا دخلته أصلا؟"

قال وهو يبتسم بمرارة، " غادرت السجن قبل شهرين، لفقوا لي تهمة لأنني لا أشاركهم في مناسباتهم الدينية ولا أحضر صلواتهم في المشتل الذي كنت أعمل فيه، ولا أطلق لحيتي، وهكذا اتفقوا ولفقوا لي تهمة سرقة سموم مكافحة الحشرات العائدة للدولة وبيعها لحسابي. حقيقة الأمر غير ذلك، لكنّ الحال هو هكذا في الجمهورية الإسلامية، الموظف الحكومي مطالب بالحفاظ على مظاهر الاسلام بدقة، لكنهم سرقوا الوظيفة، وألغوا عقد العمل الذي أعيش عليه منذ 15 سنة، وتركوني عاطلا على الرصيف".

وعدت أسأله: " كم قضيت في السجن؟"

قال حُكمت بخمس سنوات سجن، قضيت منها سنتين ونصف وشملني عفو المرشد لمن قرأوا وحفظوا القرآن في السجن فخرجت بنصف مدة الحبس".

فاجأني ما قاله، فسألته مرة أخرى "هل يُعفى من يحفظ القرآن من السجن؟"

ضحك وهو يجيب "نعم يعفى عما تبقى من مدة الحبس، وذلك يتعلق بنوع حفظه، اذ تجرى مسابقة يتلوا فيها السجناء ما حفظوه فتقر لجنة المسابقة حجم استحقاقهم بمستوى وكمية ما حفظوا".

وقبل أن افارقه سألته: "لماذا لم تعد الى أسرتك؟"

تأملني بعين خلت من التعبير وهو يقول "زوجتي طلقنتني وأنا في السجن، ثم هاجرت الى أمريكا، وليس لدينا أبناء، فبقيت وحدي".

وعدت إلى الهدف الذي جئت لأجله، جيش صبيان القمامة، فسألته كيف لي أن التقى بصبيان القمامة الذين جاءوا معنا، فضحك، وقال سادعو بعضهم إلى هنا اذا شئت؟

لم أشأ أن ازعجه وأؤخر منامه بعد يوم شاق، فشكرته سائلاً: ألا يوجد سبيل آخر للحديث معهم حيث ينامون، فأنا أريد أن أصور المكان وأن أرى مسكنهم؟

نهض خارجاً ونادى أحدهم، ثم قال له أن يأخذني إلى أحسن غرفهم لأجري معهم حواراً صحفياً.

أحلام بالجواهر والذهب والدولارات وقطع السلاح!

رافقت الصبي الباسم، واسمه ع. ومشينا بضع مئات الامتار، ثم تسلقنا سلماً قذراً، ودلفنا الى غرفة كاملة البنيان مغلقة بالكرتون والصور، وتشغل أرضيتها أربع أسرة صُفت إلى الجدران، على الأسرة جلس ست أو سبع صبيان .

ع. بدا متلهفاً للحوار، فبادرته للسؤال: هل أنت من سكان العاصمة؟"

"أنا من كركان، والدي فلاح، وقد اعياه المرض، فهاجرنا نحن نبحث عن عمل، انا وأخي هنا في طهران، وأخي الثالث في خلخال، واختي تزوجت من عربي وذهبت تعيش معه في أهواز، ولم يبق سوى شقيقي الأكبر وزوجته يعيشان مع أبي وأمي في الريف".

منذ متى أنت تعمل هنا؟

صار لي تقريبا سنتين...

كم عمرك اليوم؟

عمري 13 سنة.

يعني كنت في الحادية عشرة حين جئت هنا، هل تذهب لرؤية أهلك؟

أحيانا، في الأعياد خاصة. الرحلة إلى كركان مكلفة.

وكيف توصل النقود لأهلك؟

هناك شخص يسكن في المدينة، أضع نقودا في حسابه البنكي هنا، فيتصل بأهلي ويأتي إليه أحدهم ويعطيه المبلغ الذي حوّلته.

هل أنت راضٍ عن حياتك؟

ماذا أفعل، علي أن أعمل لاعيش. وأعرف أناساً باتوا بسبب الزبالة مليونيرات، الحاج قهاري الذي كان يعمل في طفولته هنا، يملك اليوم إحدى أكبر ورش فرز وتدوير الزبالة في جنوب طهران.. سيارته بنز ويغيرها كل سنة.

وهل تعتقد أنك يمكن أن تكون مثله، فتصير مليونيراً من الزبالة؟

كل إنسان يأخذ المقسوم له، فإذا كان المقسوم لي أن أصير مليونيراً سأصير.

ولكن الأطفال لا يعملون، بل يدرسون ويتعلمون؟

كنت دائما بطيء الفهم في المدرسة، ولا أطيق فنطزة المعلمين، لذا تركتها، وبدأت العمل في الحقل مع أبي منذ كنت في التاسعة.

يتدخل في الحوار ب. مؤيداً ما ذهب إليه ع. وهو يهمس بصوت لا يسمعه سواي: لقد جمعت من العمل في الزبالة 3 مليون تومان، إنها مهر خطيبتي التي تنتظرني في زنجان.

أبادره بالسؤال: كم عمرك؟

عمري 15 سنة، وبعد ثلاثة اشهر أصبح 16 سنة، فاذهب لأشتري نيشان الخطوبة

هل أنت راضٍ عن العمل هنا؟

" الحمد لله، رزق على كل حال، ولكنّ هذا تقدير إلهي، الله يريدني أن أكّد، وأنا اطيعه، فأعمل ليل نهار .

هل ترسل نقوداً لأهلك ؟

أكيد، كل واحد هنا يرسل نقوداً لأهله ثم قال هامساً، هناك أشياء نعثر عليها في الزبالة لا تقدر بثمن. مصوغات ذهبية، قطع ألماس، مبالغ نقدية، مرة عثرت على ورقة 100 دولار، ولم أكن أعرف ما هي، وحين سألت قالوا لي إنّ قيمتها ربع مليون تومان، فذهبت وبعته، وحولت نصف المبلغ لأبي. صديقي علي زفر، عثر على مسدس حقيقي، محشو بالرصاص، وقد باعه بأكثر من مليوني تومان. قد أعتز في يوم ما على كنز كبير يعينني من هذه الحياة الصعبة.

اغتصاب بمتعة، فيصبح موسماً مذكراً

بين كل هذه الأحلام شعرت أنني أفقد قياد حوار، فهم يحلمون أن يصنعوا مستقبلاً من القمامة. نظرت إلى أكبرهم سنّاً وبدا لي في الثامنة أو السابعة عشرة، سألته عن اسمه وعمره، فأجاب أنّه ف. وفي العشرين.

هل تفكر أنت أيضاً في كنز ينفذك من هذه الحياة؟

ابتسم بطريقة متميعة، ثم قال أنا لا أعمل في القمامة، لكني أبيت هنا مع أصدقائي أحياناً.

وماذا تعمل في طهران إذا؟

اشتغل في التجارة، تجارة المواد الصغيرة.

كيف، تجارة؟

نعم ، اشتري قمصاناً مهربة من العراق مثلاً، وابعدها بربح وفير على أرصفة طهران، وهكذا.

وخطر لي أن أسأله السؤال الممنوع الذي يلح على خاطري فقلت له: سمعت أن كثيراً من الصبيان هنا يتعرضون لإستغلال جنسي، فيتحولون إلى مهنة الدعارة، ويبيعون أجسادهم مقابل مبالغ معينة، هل تعرف شيئاً عن هذا؟

أقترب مني وهو يهمس: يمكن القول إنّ هذا شائع جداً هنا، لكنه لا يشمل الجميع بالطبع، قالها وهو ينظر للصبية الجالسين حولنا كأنه يعتذر منهم. ثم مضى يشرح معنى ما قاله: يبدأ الأمر باغتصاب ولكنه غالباً اغتصاب برضا الطرفين، يعني الصغير يكون موافقاً ولكنه خائف، ثم يتطور الأمر إلى علاقة بينهما، قد تستمر سنوات، ثم يتعلم الصبي أن يوظف مفاتنه ليعمل بائع هوى. أعرف كثيرين، ممن تغلب عليهم الوسامة، وتعلو وجوههم ملاححة تقترب بهم من ملاححة المؤنث، غادروا هذا المكان، ويعيشون في طهران الكبرى، ويشتغلون في مطاعم وفنادق بعنوان شاب مومس، وعليهم طلب كبير لدرجة أنّ مداخلهم تكفيهم للعيش. أعرف آخرين يرافقون بعض الأثرياء ويعيشون معهم بشكل دائم بعنوان سكرتير أو مرافق شخصي. نظر إليّ نظرة ذات معنى، ثم أضاف: بالنسبة لهم هي مهنة وتسلية في نفس الوقت، وهذا نادر في حالات العمل.

وانتهت إلى أنّ حديثنا الهامس لم يثر استغراب الصبيان الجالسين معنا، فاستنتجت أنّهم شهدوا مراراً حالات من هذا النوع لدرجة بات تداول الموضوع عندهم شبه يومي وعادي.

ليلة في مبيت المسجد

جاوزت الساعة الثانية ليلاً، فجمعت حاجاتي وقررت العودة إلى العاصمة، فقال ف. لن تجد وسيلة نقل إلى العاصمة الآن، عليك الانتظار حتى الساعة السادسة فتأخذ تاكسي إلى ترمينال جنوب للمترو، ومن هناك تأخذ قطار الأنفاق إلى حيث شئت. وبات الأمر مشكلة، فسألته أين يمكن أن اقضي الليلة في هذا المكان، فتشاور قليلاً مع زملائه، وقال، يوجد غرفة استراحة تابعة للمسجد المجاور، اعتقد يمكن أن يؤجرها الحارس لك لبضع ساعات، هل أكلمه؟

ورجوته أن يفعل ذلك، فكانت الغرفة المفروشة بالسجاد والتي مدت حشوات النوم والوسائد على طولها، والملحق بها حمام ومرافق صحية نظيفة نسبياً مكاناً لنومي

مقابل 10 آلاف تومان سلمتها ل ف. وتولى هو ترتيب كل شيء. نمت ليوطني صوت غليظ يسألني ماذا أفعل في هذا المكان؟

نظرت إلى الساعة فكانت تشير إلى السابعة صباحاً، جلست لأفهم ماذا جرى، فبدأ المتحدث يسألني بغلظة تدل على أنه من رجال الأمن، وقد سألته عن صفته التي تجيز له سؤالني بهذه الطريقة، قال لي إنه من أمن العاصمة "اطلاعات" ويريد أن يعرف ما غايتي من سؤال الصبية والمبيت في هذا المكان؟

ثمان المبيت سبعمائة دولار !

اشتد غضبي منه، فسألته بصوت عال أن يُظهر لي بطاقته لأتأكد أنه من جهة رسمية، وكان فعلاً من جهاز الأمن "إداره اطلاعات تهران بزرك جنوب"، ثم طلب مني أن أريه الصور التي التقطتها، فعرضت عليه هاتفي المحمول، وبدأ يتصفحها، وهو يهز رأسه، وقال لي " يجب أن تذهب معي إلى دائرة الأمن، أنت لا تملك إذناً بممارسة الصحافة في إيران، أنت صحفي أجنبي". وسال عرق بارد على ظهري وبت اتخيل أسوأ النتائج. ، ثم قال لي أرتد ملابسك وأنا انتظرك في الخارج.

غسلت وجهي، وبدأت أرتدي ملابسني، فدخل ف. الذي جاء بي إلى هذا المكان، وسألني عما جرى مع مفوض الأمن، ورويت له الأمر، فقال يمكن أن نتدارك الأمر ببعض النقود، هات 50 ألف تومان، وسأكلمه ليصرف النظر عنك"

ولكني أريد هاتفي المحمول، فيه كل حياتي وأرقامني الخاصة.

سارى ما يمكن وأعود لك.

بعد 10 دقائق عاد ف. ليخبرني أن الأمر جرت تسويته، لكن المأمور "يرفض إعادة الهاتف المحمول، لأنه يحتوي على معلومات تجسسية خطيرة!"

اسقط في يدي، وفهمت الرسالة، أما أن اتخلى عن هاتفي المحمول الذكي وقيمتة 700 دولار، أو سيلفق لي تهمة تجسس، وهذه أسوأ وأسهل تهمة تطلقها السلطات الإيرانية على كل من لا تحبه. فاتخذت قرارني بأن لا أسلك طريق المجازفة، وقلت له " لا بأس، فهو مأمور فقير ويحتاج إلى هاتف مثل هذا، لا بأس، هل لي أن اغادر الآن؟"

وذهب فـ مرة أخرى ليسأله، وعاد باسمأ وهو يقول "يمكنك الذهاب على
الرحب والسعة، سأوصلك بدراجتي النارية إلى المحطة القريبة".

و حين غادرنا المكان، أوصلني فـ إلى المحطة، وودعني معذرا، وفي عينيهِ
وميض غامض لم أفهمه للوهلة الأولى. ركبت أول سيارة أجرة وصلت المكان،
لأغادر إيران برمتها بعد أسبوع وقد عقدت العزم أن لا أعود إليها.

المندائيون من الإبادة الى تغييب الهوية

قد يكون الصابئة المندائيون أصغر مكّون في إيران اليوم. محنتهم مع الدولة الدينية أنّهم ليسوا مسلمين وليسوا عربا وديانتهم غير معترف بها. أحاول هنا رفع الستار عن وقائع يومية تجسد مكّون صغير آخر يتآكل ويختفي من ديموغرافيا المنطقة.

في مناسبات تاريخية غير معلومة، ولأسباب مختلفة حدثت هجرات مندائية كبرى من أرض الرافدين الوطن الأصلي للصابئة ، فعبر كثير منهم الى المناطق المتاخمة لحدود العراق في إيران، وهي ممالك عيلام وميسان وقد باتت بعد الهجرة دولاً مندائية مستقلة عن الممالك الإيرانية المتعاقبة ، والحديث هنا يجري عن تاريخ سحيق القدم. وهكذا استقروا هناك وعمّروا مدنهم.

المندائيون هم شعب الماء الذي عاش على ضفاف أهوار السهل الرسوبي الجنوبي من العراق، حيث عايشوا السومريين الذين بنوا حضارتهم على ضفاف الأهوار أيضا. كتابهم كنزاربه ينص على أن "النبي آدم خلقنا على ضفاف الفرات في الديوانية في منطقة كان اسمها سيلان".

أشهر حرفهم كانت النجارة، وهي مهنة متوارثة في صناعة الزوارق المحلية التي تسمى "مشاحيف" ونقلوها معهم من وادي الرافدين الى أراضي إيران. وبسبب التصحر وجفاف مياه الأهوار اتجه الصابئة الى صياغة الذهب والفضة والنقش عليها والخراطة، فاحترفوها وباتت مصدر ثرائهم، حتى أنّ أغلب صاغة الذهب والفضة في العراق وإيران خلال مقطع تاريخي طويل أمسوا من الصابئة حصرا. " كنزاربه" هو كتابهم المقدس ينص على أنّ "النبي آدم خلقنا على ضفاف الفرات في منطقة كان اسمها "سيلان".

المندائية أقدم لغة وهي أم اللغات؟

لغتهم هي أول لغة بشرية حسب عقيدتهم، ويقول الناشط المندائي الإيراني ومدرّس اللغة المندائية الملقب "أبو دانيال" وهو باحث وكاتب له ثلاث مؤلفات في هذا السياق إنه قد استطاع " من خلال بحث استمر 10 سنوات اثبات أصالة هذه اللغة باعتبارها اللغة الأم التي سبقت الآرامية والعربية" ، (وكما تشير بعض كتب

التاريخ الديني القديمة فإن البشرية كانت تتكلم الآرامية، ومنهم ظهرت باقي اللغات). لغتهم تتألف من 23 حرفاً، وتكتب من اليمين الى اليسار، تبدأ أبجديتهم بحرف ألف، وتختتم بحرف ألف، لأن لكلٍ نهايةً بدايةً، وتدور الأمور في حلقة دائرية، وهكذا فإن الألف المندائية تُرسم بشكل دائرة، وكل العالم والأفلاك والكواكب والحياة تدور في 360 درجة، وحين يموت الإنسان تبدأ روحه في حياة ثانية في مكان آخر.

الناشط المندائي أكد في حديثه أنّ هذا المكوّن الصغير لا يملك حق تسمية ابنائه وفق ديانته ولغته في إيران، وشرح ذلك بالقول:

"لا يحق للمندائيين وضع أسماء مندائية لأبنائهم، وهذا تقليد نشأ بعد قيام الجمهورية الإسلامية وبات قانوناً. أسماء المندائيين هي على سبيل المثال هيبين، أنس، رخمات، مرياي، صابا، سلمى، شوم، وغيرها يمنع استخدامها. الولادة تتم في المستشفى الذي يزود (الوالد) بشهادة ميلاد موجهة الى دائرة تسجيل الولادات، فيسألونه أن يأتيتهم بشهادة تأييد من الكنيسة اذا كان مسيحياً أو من الكنيس اذا كان يهودياً أو من المعبد اذا كان زرادشتياً، وهذه الشهادات تتيح له أن يختار إسماً من قوائم الأسماء المخصصة للطوائف. أما الصابئة المندائيون فلا يمنح لهم هذا الحق.

ويتناقص عديد هذا المكون القديم العريق باضطراد في كل من العراق وإيران، حيث هاجر أغلبهم الى أوروبا وأستراليا وكندا، وفي هذا السياق يشير أبو دانيال " عدد المندائيين في إيران حسب إحصائية أجريت قبل 22 سنة وكنت عضواً في مجلس شؤون مندائيي إيران حينها بلغ 25 ألف مندائي. بعد هجوم الولايات المتحدة على نظام صدام حسين في العراق وما أعقبه من اضطرابات، أصاب المندائيين خوف شديد من قيام (إدارة الرئيس جورج دبليو بوش الأب) بهجوم على إيران، يعقبه وضع يشبه الوضع العراقي، فتهجم الجموع على المندائيين طمعا في ممتلكاتهم، فهاجروا بكثافة من إيران.

الباقون اليوم في إيران لا يزيد عددهم عن خمسة آلاف. أغلبهم يسكن مدن الاحواز والخفاجية والمحمرة والحميدية وشادكان جنوب إيران وسربندر وكرج وشيراز. معابد الصابئة علنية وتسمى "مندي" أحدها اليوم في الناصرية بمدينة الاحواز، والآخر في الحميدية والثالث في قرية مزرعة تبعد عن الاحواز 80

كيلومتر. ويمارس المندائيون منذ عهد الشاه ولحد الآن طقوسهم ولم يمنعوا قط عن ممارستها".

موسم هجرة المكونات الصغرى

أما أسباب الهجرة القانونية فجرت كما يلي: دستور الجمهورية الإسلامية لم ينص على وجود المندائيين، بل اقتصر على الزرادشتيين، والمسيحيين واليهود ويسمون "كليمي"، وهو سبب مشكلات كثيرة للمندائيين. واحدة من أهم المشكلات تتجسد في عدم تعيين أي مندائي في أي دائرة أو مؤسسة رسمية، فهم ممنوعون من العمل في دوائر الدولة، ويعانون من انكار تام لهويتهم.

البطاقة الشخصية الإيرانية تخلو من حقل الديانة، لكن، وطبقا لما ذهب اليه الناشط المندائي، فإنّ تقاليد الدولة العميقة هي من تتحكم في المشهد، والى ذلك يشير أبو دانيال " هناك فورم يجب أن يملأه كل من يتقدم الى وظيفة، وبعد أن يقدم الفورم مكتوبا، تقوم السلطات الأمنية بالتحقق فيما جاء فيه، من منطقة سكناه، واذا كانت معلوماته في الفورم كاذبة فسيكون عرضة لمشكلة كبيرة."

ويبدو أن هذا " الفورم " موجود في كل مكان حسب الناشط المندائي فحين يزور أي مريض مستشفى، لابد أن يملأ فورم المستشفى الذي فيه حقل الديانة، ويحدث مثل هذا لمن يروم دخول جامعة، حيث يوجد في الفورم حقول تنص على " مسلم، سني، شيعي، زرادشتي، مسيحي، كليمي (بمعنى يهودي)، ولا يوجد في الفورم تسمية مندائي".

الدولة العميقة تطاردهم وتلغي هويتهم

ويكشف أبو دانيال عن تطور جرى في عهد الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي، حيث وصلتته شكوى المندائيين من تغييبهم في الأوراق الرسمية، فظهرت بناء على ايعازه فورمات أخرى كتب فيها بعد تسمية الكليمي (اليهودي) ، تسمية " سائر الديانات" دون إشارة صريحة الى المندائيين.

ويواجه الطلبة المندائيون مشكلة من نوع خاص، اذ يتحتم على التلاميذ والطلبة أن يدرسوا مادة الدين الإجبارية والكلام ما زال للناشط المندائي ، ومطلوب من المندائيين حصرا أن يؤدّوا في الامتحان مادة الدين، وللمرحلة النهائية " كونكور"

لابد لهم أن يحققوا معدلات عالية في المادة لأنها ضمن المواد المقررة لدخول الطالب الى الجامعة.

رئيس الطائفة المندائية في كل العالم هو الكنزبره ستار جبار حلو الزهيري ومقره في العراق ويعيش الآن في استراليا، وممثلاه في إيران، هما الكنزبره طالب الدراجي، والكنزبره نجاح الكحيلي.

العالم المسيحي اعتبر المندائيين أتباع القديس يوحنا المعمدان، وهم يسمون أنفسهم في العراق وإيران أتباع النبي يحيى . قيل إنهم نزحوا من الناصرة والجليل ويهوذا والسامرة الى السهل الرسوبي في حدود بابل وسومر جنوب العراق "ميزوبوتاميا" القديم، هرباً من اضطهاد الرومان بعد مقتل يوحنا المعمدان . بعض المخطوطات الكنسية القديمة اعتبرتهم المسيحيين الاوائل .

ارتبطت عبادتهم بالتعميد بالماء واسموه "الصباعة" وهذا ما يفسر تمسكهم بالسكن على ضفاف الأنهار. هم شعب مسالم تمنع دساتيره الدينية المسجلة أفراده من الانتقام حتى ممن يقتلون عائلتهم وقبيلتهم.

في إيران، يتاح لهم أن يرتدوا أزياءهم الخاصة البيضاء، كما يسمح لكهنتهم ارتداء الزي الخاص بهم مع اطلاق لحاهم وشعورهم ، وهذا تقليد سومري وبابلي قديم لا علاقة له بالدين ، فيما يرى الباحث المندائي عضيد جواد الخميسي في بحث قصير نشره على صحيفة الحوار المتمدن في(9 كانون الأول/ ديسمبر 2014) " أنّ القوانين الرسمية الإيرانية تفرض على الكهنة المندائيين عدم ارتداء الزي الابيض الديني الخاص بهم والتجول في المرافق العامة ، لذا فالكهنة يرتدون زيهم الخاص مع العباءات والعمائم الاسلامية الشيعية ليبدو الكاهن المندائي شخصية مألوفا في الثقافة الاسلامية الإيرانية".

حملات الابادة التي تعرض لها المندائيون في إيران:

يفصّل الباحث والناشط المندائي أبو دانيال تفاصيل حملات الإبادة التي طالت المندائيين منذ القرن الخامس عشر، حيث شنت الحملة الأولى في عهد آل مشعشع وهم من العرب السادة شيوخ قبائل عربية حكمت المنطقة ، وقد كانوا مستقلين عن الدولة الصفوية وسلطتهم نافذة على الأحواز والبصرة والمحمرة (خرم شهر اليوم) وصولاً الى العمارة كما مدوّن في التاريخ المندائي، نحن نتكلم عن العصر

الصفوي، وقد ذهب ضحية تلك الحملة 30 ألف مندائي هذا غير السبايا والرقيق، وجرت الحملة في إمارة سكران، في مدينة البسيتين وهي تسمى اليوم كوت سكران.

وهناك مجزرة "راما" المعروفة ب" رام هرmez " اليوم ونتيجة المجزرة ظهور عشائر آل خميس الذين قتل رجال العشائر العربية رجالهم وأجبروا نساءهم وأطفالهم على اعتناق الإسلام.

المجزرة الثانية في شوستر وديزفول وورد ذكرها في مكاتبات أمير كبير رئيس وزراء ناصر الدين شاه القاجاري، وبلغ عدد ضحاياها 20 ألف مندائي ومقبرتهم ما زالت موجودة في شوستر، ويسمونها أهالي المنطقة قبور الصابئة. " وهناك جسر على نهر الكارون قرب هذا المكان، فيه دكة تعرف باسم "صابي كشون" وتعني بالعربية "موقع قتل الصابئة"، حيث كانوا يضربون رقابهم بالسيوف على هذه الدكة ويلقون بجثثهم في الكارون. هذا الجسر ظل قائما على نهر الكارون حتى ابتداء الدورة الثانية للرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد، الذي أمر هو شخصيا بإزالته عام 2010 معتبرا أنه سيشكل في المستقبل دليل إدانة ضد دولة إيران.

هذا الجسر كان مسجلا على لائحة الميراث الثقافي الإيراني التي تحمي الآثار عادة، وقد تدارك مجلس المحافظة على الميراث الثقافي الإيراني هذا الأمر، فاستطاع إنقاذ جزء منه من الهدم، وهذا الجزء الباقي هو دكة "صابي كشون" تحديدا لحسن الحظ والكلام بمجمله نقلا عن أبي دانيال.

المجزرة الثالثة جرت في مدينة الخليفة قبل نحو 120 سنة في العهد القاجاري.

المجزرة الرابعة التي جرت في مطلع الحكم البهلوي، في عهد الشيخ خزعل أمير المحمرة الشهير، في مدينة شادكان، وقد تأمر شيوخ بني كعب على المندائيين وقتلوا بعضهم وسلبوا أموالهم، وهناك كثير من العشائر المقيم هناك أصولها كانت مندائية وقد أجبروا على اعتناق الإسلام.

الحل حسب رؤية آية الله خميني

نقل الباحث المندائي عضيد جواد الخميسي في البحث المشار إليه أعلاه، "من المحاولات اليائسة التي قام بها اتباع الطائفة المندائية، أن وفدا يتألف من رجال الدين وبعض الشخصيات المندائية، تمكّن من مقابلة الإمام الخميني في مدينة قم

لعرض مشاكلهم ، ومنها موقفهم القانوني في الدستور الإسلامي الإيراني . استمع الإمام لوجهة نظرهم، ووعدهم بأن يجد لهم الحل بعد أيام معدودة. وبعد انقضاء المدة المحددة ، عاد الوفد مجددا الى قم ليعرف ما هو الرد، واذا بالصدمة الكبيرة غير المتوقعة ، حيث كان رد الأمام لهم عند أحد مساعديه بالحرف الواحد "ليعتنق هؤلاء المندائيون الإسلام. وبذلك تنتهي كل مشاكلهم، الحل بسيط جدا " .

خوزستان أم عربستان؟ عرب إيران والبحث عن الهوية

يبدأ خلاف عرب إيران مع السلطة من تسمية إقليمهم نفسه ففيما يسمونه عربستان، تسميه الحكومة خوزستان. ويتسع الخلاف لدرجة أنهم باتوا يحاولون التنصل من مذهبهم نكاية بالحكومة الشيعية. مقابل ذلك يرى القوميون أن العرب يحكمون إيران

خوزستان أو عربستان، إقليم جنوب غرب إيران عاصمته الأحواز، والإيرانيون يلفظونها (أهواز) ويسمون الحاء "هاء حَسَنِي"، لأنهم لا يتقنون إخراج صوت الحاء من حناجرهم فيعرفونه باسم "حَسَنِي" لبيان الفرق في اللفظ والكتابة.

وفيما يعتقد كثيرون أنّ إيران "بلد العجم" بمعنى أنها بلد غالبية سكانه من الفرس، فإن الحقيقة غير ذلك، فإيران دولة تضم مكونات عدة أكبرها المكوّن الفارسي، ويشكّل العرب - على سبيل المثال - غالبية سكان إقليم خوزستان، وتنشط فيه معارضة عربية تتهم الحكومة الإيرانية بطمس هوية السكان القومية. وتتعدّد مشكلة هويات الشعوب المكوّنة لدولة إيران بعدم إشارة بطاقة الأحوال الشخصية الإيرانية إلى قومية حامل البطاقة، وبذلك تتعدّد الاجتهادات.

السلطات تقول إنها تتعمد إغفال الانتماء القومي، لأنّ إيران دولة تضم مكونات قومية عديدة، والإشارة لقومية أيّ مكون في وثيقة مدنية يمكن أن تثير مشكلات غير منظورة، فيما يدّعي آخرون -من عرب وكردي إيران تحديداً- أنّ إغفال ذكر القومية يهدف إلى طمس هوية المكونات غير الفارسية.

تبلغ مساحة إقليم خوزستان حوالي 64 ألف كم مربع، وتعداد ساكنيه هو جزء من المشكلة بين عرب الإقليم وبين دولة إيران، ويؤكد الناشط السياسي محمد مجيد الأحوازي، المقيم في السويد أنّ عدد العرب في إيران عموماً يصل إلى 11 مليون نسمة، مقرراً بعدم وجود إحصائية لإجمالي عددهم في إقليم خوزستان تحديداً.

لكن الخبير الاستراتيجي في الشأن الإيراني حميد غل شريف يشير في حديثه من لندن إلى أن عدد ساكني الإقليم يقترّب من 4.5 مليون نسمة، هم خليط من العرب

والفرس والزر والبختاريين، مستبعداً أن يصل عدد العرب في عموم إيران إلى الرقم الذي أشار إليه الناشط الأحوازي.

"تغليب العنصر العربي وطمس الهوية الفارسية"

في مقابل هذا الجدل، يتهم العلمانيون والديمقراطيون والموالون لسلطة الشاه الأخير (محمد رضا بهلوي) حكومة رجال الدين في إيران بأنها تغلب العنصر العربي واللغة العربية على ثقافة الإيرانيين، مستدلين على ذلك بأنّ تدريس اللغة العربية يبدأ مبكراً في السنة الدراسية الخامسة للتلاميذ، كما يعززون اتهاماتهم بأن "مرشد الثورة" السيد الخامنئي وقبله "قائد الثورة" السيد الخميني ينتسبان إلى السلالة الهاشمية، وينحدران بنسبهما من النبي، وهكذا فإنّ أصولهما عربية، ويصحّ هذا على كل من ينسب نفسه إلى "السادة الأشراف".

كما أن السلطة تبني دولة ولاية الفقيه على القرآن الكريم وروايات آل البيت وكلها بالعربية. وبهذا يقول المعترضون: "سياسة رجال الدين قائمة على تغليب العنصر العربي واللغة العربية مقابل طمس وتغييب اللغة الفارسية، ما يجعل إيران تفقد هويتها الفارسية وتصبح كياناً قريباً جداً من الثقافة والتكوين العربي"، وهذا ما كشفت عنه الناشطة الحقوقية الإيرانية المقيمة في ألمانيا هُما أمانبور في حديثها.

القوات الإيرانية احتلت الأحواز سنة 1925

لكن الناشط السياسي محمد مجيد الأحوازي أعاد المشهد إلى تاريخ حديث مشيراً إلى أن "القوات الإيرانية احتلت الأحواز في نيسان سنة 1925، ولم يكن اسم إيران موجوداً أصلاً، بل كانت تسمى بلاد فارس أو الدولة القاجارية، وقد دخلت قوات رضا شاه إلى الأحواز واعتقلت أميرها الشيخ خزعل بن جابر بن مرداو الكعبي". وفي معرض حديثه عن التاريخ القديم لإيران أشار الناشط الأحوازي إلى أن خوزستان (عربستان) بمجملها "كانت تحت سيادة الدولة العيلامية وعاصمتها السوس (الشوش على الحدود مع جنوب وسط العراق)، والدولة العيلامية كانت دولة عربية لا علاقة لها بفارس".

من جانبه يعتبر شريقي أن هناك عشرات الكتب ومئات المقالات عن خوزستان تؤيد وتحدث عن الإقليم كجزء من إيران، ومضى مبيناً أن الفترة التي لمع فيها نجم الشيخ خزعل في سنة 1897 إلى نهاية حكمه في سنة 1925 كانت متزامنة

مع حوادث دولية هامة، كما أنّ وثائق كثيرة تشير إلى دفع الضرائب والتفاوض حول دفعها من جانب الشيخ خزعل مع رئيس الوزراء الإيراني آنذاك.

ولفت غل شريفى الأنظار إلى دور بريطانيا فى هذه المسألة مبيناً "أنّ من يحاولون إعطاء صورة مستقلة لخوزستان لا يشيرون إلى الخلافات الجذرية بين طهران وبين لندن آنذاك على العوائد النفطية".

"حق التعليم باللغة العربية"

يتحدث بعض المعارضين من عربستان (خوزستان) عن تهميش وتمييز فى الوظائف تجاه العرب، فيما تجدر الإشارة فى هذا السياق إلى أن الأدميرال علي شمخاني (وهو عربي من سكان الأحواز) قد تولى منصب وزير الدفاع فى حكومة رفسنجاني الأولى وحكومة خاتمي الثانية، وهو اليوم شخصية مقربة جداً من الرئيس الإيراني حسن روحاني.

ويقول المعارضون إن خيرات منطقتهم هي مصدر الدخل الرئيس لدولة إيران ولكنها لا تفيض خيراً عليهم وهم محرومون منها، ويعانون من البطالة بشكل واسع، وهو ما ذهب إليه محمد الاحوازي. لكن الخبير الإيراني حميد غل شريفى رد على هذا بالقول إن "البطالة الموجودة اليوم فى إيران لا تنحصر بخوزستان، ومصادر الدخل البلد لا تنحصر بمنطقة واحدة"، كاشفاً أنّ الميزانية يقرها البرلمان ويشترك فى إقرارها نواب المحافظات المختلفة ومنها خوزستان.

الناشط الإيراني محمد الاحوازي طالب بفرص تعليم عادلة بالقول إن "من حق عرب الأحواز أن يتعلموا ويدرسوا باللغة العربية، ومن حقنا كشعب عربي أن نمتلك مؤسساتنا الثقافية والعلمية وأحزابنا التي تمثلنا". وأعتبر الاحوازي أنّ سياسيات حكومة إيران الإسلامية القائمة على التمييز العرقي بين العرب وبين الفرس "قادت إلى أن يترك عرب إيران المذهب الشيعي ويتحولوا إلى مذهب أهل السنة بأعداد كبيرة".

امتحان جامعي عام لكل الإيرانيين

وفى معرض رده على عدم حصول الأحوازيين على فرص تعليم أسوة بغيرهم من الشعوب الإيرانية أشار غل شريفى إلى وجود ثلاث جامعات فى خوزستان، وهي جندى شابور وجران ورامين، علاوة على عشرات الفروع لجامعة (آزادي) فى

مدن كثيرة في خوزستان. ويبيّن غل شريفى أنّ "هناك امتحاناً عاماً يجري في جميع أنحاء البلد سنوياً للالتحاق بالجامعات (كونكور) وأنّ من يحرز أعلى درجات في هذا الامتحان يستحقّ الدخول إلى الجامعة في عموم إيران دون تمييز".

التاريخ السياسي لعرب إيران شهد حراكاً واضطراباً في فترة الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988)، فقد انقسموا بين مؤيد لسياسات حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران، وبين معارض لها ومؤيد لسياسات الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين، حتى وصل الأمر إلى انضمام آلاف الأحوازيين إلى الجانب العراقي في تلك الحرب، وانتهى بهم المطاف مقيمين في مجمع سكني جنوب قضاء الخالدية بالأنبار غرب العراق حتى يومنا هذا.

"عليّ وعلى أعدائي": خيارات دولة المومنين لمواجهة الحظر الدولي؟

بعد يوم من تطبيق أوروبا لحظر استيراد النفط الإيراني عام 2012 هددت إيران من جديد بغلق مضيق هرمز، الممر الدولي لعبور 17 مليون برميل نفط يوميا. وتصاعدت مرة أخرى لغة الخطاب التهديدي فوق منابر آلاف المساجد والحسينيات والمارقد، لتحشيد الراي العام، وتهيئة الأذهان من خلال المنابر المقدسة لأزمة أخرى ستشغل الناس وترفع مستوى همومهم. وفيما تطلق إيران صواريخ تجريبية استعراضية، عززت الولايات المتحدة قواتها في الخليج.

تعتمد إيران في أي أزمة علاقات أو خلال أي تهديد تتعرض له إلى إطلاق التهديدات بإغلاق مضيق هرمز وتعطيل صادرات النفط إلى العالم. وخلال سنوات حربها الثمان مع العراق حاولت طهران بالفعل غلق المضيق. وبين عامي 1986 – 1988 دخل صراعها مع العراق مرحلة خطيرة بانتشار ما كان يعرف بحرب الناقلات. لكن المواجهات العسكرية آنذاك لم تؤد إلى غلق المضيق، وإن عرقلت بعض الشيء الملاحة ودمرت بعض الناقلات وألحقت أضرارا محدودة بالبيئة.

وتفاقت حدة التهديدات الإيرانية بدخول قرار أوروبا بحظر استيراد النفط الإيراني حيز التنفيذ في الأول من تموز سنة 2012. التطور الأخطر جاء على لسان النائب إبراهيم أغا محمدي، عضو لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية بالبرلمان الإيراني أمس (الاثنين 02 تموز/ يوليو 2012) حين قال "إن اللجنة وضعت مشروع قانون يدعو إيران إلى منع مرور شحنات النفط الخام من مضيق هرمز إلى الدول التي تدعم العقوبات المفروضة عليها". وأعقبت ذلك مناورات عسكرية أجرتها إيران بعد يوم وفيها اختبارات صاروخية.

قدرة إيران على غلق مضيق هرمز؟

هذه التطورات تدفع المراقبين إلى التساؤل عن مدى قدرة إيران على غلق مضيق هرمز في الوقت الحاضر. د. مصطفى العاني مدير قسم الدراسات الأمنية والدفاعية في مركز الخليج للأبحاث أكد في حديثه على مساعي إيران ومحاولاتها إغلاق المضيق خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية، ثم أشار إلى أنّ "التهديد

قائم، ولكن يجب عدم التسليم بقدرة إيران على إغلاق المضيق، فقدرتها تدخلية أكثر منها قدرة على إغلاق المضيق نفسه ."

وفي ظل وجود شبه إجماع دولي وإقليمي على معارضة البرنامج النووي الإيراني، يصبح المناخ ملائماً لحشد إجماع مشابه لمنع إيران من تنفيذ تهديداتها بإغلاق المضيق، ولكن د. العاني يعيد هذا الافتراض إلى السؤال الأهم في تقديره، وهو مدى قدرة إيران عملياً على تنفيذ تهديداتها؟ ومضى إلى القول "وجود القوات الأمريكية والخليجية بشكل مكثف في الخليج سيمنع إيران من تنفيذ تهديداتها"، أما بخصوص الحق القانوني لإغلاق المضيق، فأكد العاني "أنّ إيران لا يحق لها قانونياً أن تغلق المضيق لأن قانون البحار الدولي لعام 1908 قد صنف مضيق هرمز باعتباره مضيقاً دولياً، أسوة بمضيق دوفر ومضيق جبل طارق، وبالتالي فإن الدول المتشاطئة على هذا المضيق لا تملك حق إغلاقه."

الخيار الإيراني الأخير: " عليّ وعلى أعدائي "

محاصرة صادرات النفط الإيراني قد تقطع شريان حياة الاقتصاد الإيراني، وهذا قد يدفع بها إلى محاولة قطع ممر صادرات النفط الدولي لإيقاع أكبر قدر من الضرر بأوروبا ودول الخليج، المعارضة للسياسة الإيرانية. ولكن مثل هذا الخيار قد يضع إيران في مواجهة حلفائها، و إلى ذلك أشار د. العاني بالقول "في حالة إغلاق إيران لمضيق جبل طارق ستواجه الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة وهو تهديد الأمن والاستقرار الدولي. كما أن حلفاء إيران ومن ضمنهم روسيا والصين سيكونون مجبرين على التدخل ضد طهران لانتهاكها القوانين الدولية. "

إيران قد تلجأ إلى خيار شمشون (عليّ وعلى أعدائي) في حال توقفت صادراتها النفطية، لأنها لن تملك شيئاً تخسره في تلك الحالة، وهذا يمثل خطراً استراتيجياً قائماً وقد استبق مسؤول بارز في البنتاغون تفاقم الأوضاع إلى هذه المرحلة بتصريحات نشرتها صحيفة نيويورك تايمز الصادرة اليوم حيث قال مهدداً: "الرسالة إلى إيران هي: لا تفكري حتى في هذا الأمر... لا تفكري حتى في إغلاق المضيق. سنقوم بإزالة الألغام. لا تفكري حتى في إرسال قواربك السريعة للتحرش بسفننا الحربية أو التجارية.. سنسقطها في قاع الخليج. "

من جانبه أشار الخبير في شؤون الدفاع د. مصطفى العاني إلى أن "إيران لن تلجأ لمحاولة غلق المضيق إلا إذا تعرضت لخطر يهدد وجودها، وهذا الخطر يتمثل في منعها من تصدير النفط وحرمانها من إيراداته، ما قد يدفعها إلى محاولة حرمان الآخرين (العراق ودول الخليج العربية) من الاستفادة من إيراداتهم النفطية ما مادامت هي محرومة منها".

هل تحتجز إيران أسرى حرب عراقيين حتى عام 2018

أورق الأمل في نفوس ذوي الأسرى والمفقودين العراقيين بعد توارد أنباء عن وجود أسرى ما زالت تحتجزهم السلطات الإيرانية. إيران نفت ذلك وتساءلت عن المصلحة المتحققة في اعتقالهم كل هذا الوقت، لكن مبادرة مسيحية تسعى لفك الطلمس. أسرى العراق يجبرهم النظام في اقصاهم المظلمة على زيادة المساجد، ويجبرهم على الصلاة، ويجبرهم على التشيع وقراءة الدعاء والطم الحسيني.

تاريخ حروب العراق يمتد إلى عشرات السنين، ومعها يمتد تاريخ الألم وتستمر مأس وأحزان في بيوت من قتلوا أو أسروا أو فقدوا أو أصيبوا بعاهاات مستديمة.

لكن هناك حديثا يتعالى مرة أخرى اليوم عن وجود أعداد غير معلومة من الأسرى والمعتقلين في إيران. فقد أطلقت لجنة المجلس الشعبي العراقي الكلداني السرياني الآشوري (وهي منظمة مجتمع مدني مقرها الدانمارك) حملة للبحث عن 600 أسير ومفقود في الحرب العراقية الإيرانية تعتقد اللجنة أنهم ما زالوا في سجون إيران.

وهناك حديث مؤكد عن طيارين عراقيين لجأوا بأمر رسمي من صدام حسين مع طائراتهم إلى إيران عقب غزو الكويت عام 1990 ، ثم اعتقلوا وبقوا في السجن حتى اليوم، وليس بوسع المرء إلا أن يسأل: لماذا يبقى العراقيون سجناء في إيران، رغم وجود تقارب سياسي حاليا بين البلدين؟

الإيرانيون يقولون من جانبهم أنهم سلموا كل الأسرى للعراق، ويتساءلون ماذا عساها أن تفعل إيران بالأسرى في هذا الوقت؟

فيما يرد خصوم إيران بشواهد وأمثلة يقولون إنها تدل على وجود أسرى لدى إيران، مستعينين بأدلة ومعطيات وروايات نقلت شفاها عبر أجيال من الأسرى أطلق سراحهم بشكل دفعات على مدى عقد الثمانينات (تبادل الأسرى المعاقين)، والتسعينات (عقب غزو العراق للكويت)، والعقد الأول من الألفية الثالثة.

من مآسي الأسرى العراقيين: " 21 سنة اعتقال لأسير معاقب "

د.نزار السامرائي الباحث في المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية ، كان نفسه أسيرا لنحو 21 عاما في أقفاص أسر متباعدة نائية متعددة بإيران، وقد روى قصة العقدين وعام التي قضاها في الأسر مبينا أنه لم يكن الوحيد الذي قضى هذه المدة، ومؤكدا أن مئات من الأسرى المعاقبين قضاوا مددا مماثلة "لست وحدي من بقي في المعسكرات الإيرانية المعاقبة، فقد توقف التبادل يوم 15 سبتمبر/ أيلول 1990، وقد جرى خلال هذا الشهر تبادل نحو 36 ألف أسير من كل جانب."

وكشف السامرائي، أن العدد المذكور مثل كل الأسرى الذين كان العراق يحتجزهم فيما " احتفظت إيران بألوف من الأسرى العراقيين " المعاقبين " بتهم مختلفة والمحتجزين في معسكرات متباعدة لم يزرها الصليب الأحمر في الغالب، مصررة على أن العراق يحتفظ بأسرى إيرانيين ولا يعترف بوجودهم، وأنهم يجب أن يعودوا . "

ونقل السامرائي تقديرات إيرانية عن عدد الأسرى العراقيين لديها بأنه (75- 85 ألف أسير) وهذا يعني أن بين أربعين إلى 50 ألف أسير، بقوا في أقفاص الأسر بعد إنهاء التبادل الرسمي عام 1991 ، لكنه استدرك بالقول "إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر لا تعطي هذه الأرقام نفس المصادقية."

مبادرة مسيحية للبحث عن المفقودين

الناشطة تيريزا ايشو رئيس لجنة المجلس الشعبي العراقي الكلداني السرياني الآشوري أطلقت مبادرة إنسانية تتوخى إعادة أسرى مسيحيين مفقودين إلى ذويهم، ثم غيرت فحوى المبادرة وجعلتها مبادرة عراقية للبحث عن كل أسرى الحرب العراقية الإيرانية ومن تبقى منهم في إيران. وقد كشفت في حديثها أنها قد اتصلت بالسفارة الإيرانية في كوبنهاغن، ثم نظمت رحلة إلى طهران في شهر آب/ أغسطس 2013 في مسعى للبحث عن أسرى قيد الاعتقال "وقد زرنا مكتب منظمة الصليب الأحمر الدولي بطهران ، البرلمان الإيراني، وزارة حقوق الإنسان، وزارة الخارجية، رئاسة الجمهورية الإسلامية ، ومكتب المجلس الإسلامي الأعلى ولكن كل الجهات أكدت عدم وجود أسرى عراقيين، فيما طلب مكتب الصليب الأحمر الدولي تخويلا من ذوي الأسرى يجيز لنا البحث عنهم والحصول على معلومات بشأنهم."

واستندت المبادرة الجديدة إلى كتب صادرة عن الوحدات العسكرية للمفقودين تعلم ذويهم بأن المشار إليهم قد فقدوا في المعارك وتشير إلى تاريخ الحدث ومكانه، إضافة إلى ما نقل شفهيًا عنهم من خلال أسرى عائدين التقوا بالمشار إليهم في معسكرات الأسر" أو ربما كانوا قد تحدثوا في إذاعة إيرانية (كانت تجري لقاءات مع الأسرى، ليبلغوا أهلهم بأنهم أحياء)، وكانت هذه مجمل المعطيات التي استندنا عليها."

"النظامان لم يكونا بمستوى الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان"

الحقوقي حسن شعبان رئيس منظمة حقوق الإنسان والديمقراطية ومقرها بغداد شارك برأيه في حديث معنا مبدئياً شكوكه في فرضية وجود أسرى، ومتسائلاً عن مصلحة إيران في احتجاز جنود عراقيين، وعن مبررات مثل هذا الافتراض "ما الفائدة من ذلك، النظام السابق قد انتهى ويقوم في العراق نظام جديد، والأسرى هم أناس بسطاء أجبروا على الحرب مع إيران وذهبوا عنوة إلى القتال".

وذهب الحقوقي شعبان إلى أنه لا يريد أن يدافع عن صدقية إيران، لكنه اعتبر أنه لا يجد مبررات موضوعية مقنعة تسمح للسلطات الإيرانية بإخفاء بعض الأسرى. واستدرك الحقوقي العراقي بالقول "لكني لا أستطيع أن أنفي بالكامل، لأن السلطات العراقية والسلطات الإيرانية إبان الحرب دأبت على الكذب على بعضها"، بمعنى أن النظامين لم يكشفوا عن الحقائق كاملة كما ينبغي.

وأعرب شعبان عن اعتقاده أن أغلب هؤلاء المفقودين قد قتلوا في ساحات الحرب ولم يستطع الصليب الأحمر تسجيلهم، مشيراً إلى أن هناك أزمة ثقة بين النظامين كما أن "هذين النظامين لم يكونا بمستوى الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان"، وخلص رئيس منظمة حقوق الإنسان والديمقراطية إلى القول "طبيعة الأوضاع في الوقت الحاضر لا تسمح بأسدال الستار على هؤلاء".

"خيبات الأمل المتكررة قتلت بعض الأسرى"

وقد تمكنت من الحديث هاتفياً إلى الأسير السابق اوديشو ديكو المقيم في الدانمارك وسألته عن تفاصيل ومدة الأسر وما تعرض له فبيّن انه قد أمضى ثماني سنوات في الأسر منتقلاً بين معسكرات عدة، وكشف أن المسيحيين يتعرضون عموماً إلى ضغوط لحملهم على تغيير ديانتهم إلى الإسلام، كما أنهم يتعرضون لإغراءات من

نوع "سيجري تزويجك بامرأتين، أحدهما عراقية من المهجرات إلى إيران، والأخرى إيرانية تائبة " على حد تعبير ديكو.

وأكد الأسير السابق أيشو ان "الأسرى ذوي الدرجات الحزبية العالية كانوا ينقلون من معسكرات الأسر العادية إلى معسكرات خاصة حيث يجري احتجازهم تحديداً في معسكر قزوين" ، مؤكداً أن أسرى عمليات بنجوين و حلبجة لم يسجلوا في الصليب الأحمر.

ومن مفارقات عمليات تبادل الأسرى بين البلدين، كشف الأسير السابق اوديشو ديكو، أن مجموعات كثيرة من الأسرى كانت تنقل إلى الحدود بحافلات لغرض إجراء التبادل مع الجانب العراقي، ثم يعاد هؤلاء إلى أقفاص الأسر بحجة أن الجانب العراقي قد أخلّ بالاتفاق "مع أننا كنا نرى من جانبنا في معبر خسروي بقصر شيرين الحافلات العراقية وهي تنتظر في معبر المنذرية."

مثل هذه الهزات العنيفة كانت تؤثر على أسرى كثيرين إلى درجة تؤدي إلى انهيار بعضهم عصبياً، فيما " مات أحد من ذهبوا معي إلى الحدود بسكتة قلبية في المرة الرابعة التي جرى نقله إلى الحدود بقصد إطلاق سراحه ثم إعادته إلى أقفاص الأسر " بمعنى أنه توفي بسبب خيبات الأمل المتعاقبة.

العراقيون في إيران - طبقات متفاوتة بحكم اختلاط النسب

بين العراق وإيران اختلاط أنساب كبير ومتداخل منذ قرون، لكن سياسة دولة المساجد العميقة القائمة على جعل المساجد والحسينيات منابر سياسية لنشر ايديولوجيا الإسلام السياسي وتغيب الهويات الأخرى، اثبتت أنها طريقة ناجحة في إيران، والعراق إلى حد كبير. وحيث تقوم أضرحة أئمة الشيعة وأقاربهم وأتباعهم من القادة، يتبدى بوضوح جلي هذا التداخل الدموي.

يحاول العراقيون في إيران أن يشرعنوا وجودهم، ومثلهم حاول الإيرانيون ذلك في العراق، حتى قضت عليهم سلطة البعث وصدرتهم (هجرتهم بالقوة) إلى إيران، ليبقى بعضهم تائهاً حتى اليوم بلا هوية. ويجب الحذر تماماً في وصف الشخص بأنه عراقي إيراني أو إيراني عراقي، أو الاثنين، فكثيرون ولدوا في مشهد أو قم، وكبروا في إيران ولا يتقنون من العربية سوى العراقية الدارجة، لكنهم يعرفون أنفسهم بأنهم عراقيون، والعكس صحيح. والحقيقة هي أن تداخل الانساب طبيعي بين الأمم، وخاصة في المناطق الدينية الشيعية، حيث تمثل المدن مناطق تجمع سكاني شيعي تنسحق فيه كل الخصائص والهويات غير الشيعية. وإذا ذهبت إلى مدينة مشهد أو قم، أو النجف أو كربلاء، ففي الغالب لن يهتم الناس إلى كونك إيراني أو عراقي. وقد تعزز هذا الشعور بالوحدة الشيعية إذا صح الوصف بعد اسقاط نظام صدام حسين في العراق، فبات الباب مفتوحاً على سعته لعودة المسفرين (ويسمون بالفارسية معاود)، ولا أحد يعرف أعدادهم بالضبط، لكنهم حتماً مئات الألوف.

واقام كثير من العراقيين في إيران مختلطين مع الإيرانيين ذوي الأصول العراقية. إحصاءات غير رسمية إيرانية قدرت أعدادهم بأكثر من 200 ألف شخص في عام 2001.

وتتفق مع هذا الرقم تقديرات المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، لكنّ اختلاط الأنساب لم يشر له أحد، فالعراقيون في إيران ما برحوا يفضلون الزواج من عراقيات، ولكن بقي هذا الأمر محصوراً في سكان مخيمات اللجوء المنتشرة على طول غرب إيران، وحدت من هذه الظاهرة إلى حد كبير

قضية ارتفاع مهور العربيات العراقيات التي بلغت أرقاماً لم يكن بمقدور أغلب العراقيين المهاجرين الفقراء في إيران توفيرها، فلجأوا إلى الزواج بالإيرانيات من سكان القرى، أو المطلقات من مدينة مشهد خاصة.

في مخيمات اللاجئين العراقيين هناك قوتان، قوة المسجد (الطبقة الدينية السياسية) وقوة العشيرة (القبيلة وكبارها)، وقد تحالفت بشكل آلي مع المسجد. العراقيون يراقبون بعضهم في مساجد المخيمات، ويتناقلون أخبار بعضهم ويختبرون أيمان بعضهم ويشكّون في ولاء البعض ويخونون البعض بموجب قوانين المسجد، وبقي هذا نافذاً إلى حد كبير حتى عام 2003، حيث أسقط الأمريكيون سلطة صدام حسين، وخرجوا بالعراق من المعادلة العربية القديمة، ليضعوا البلد في مهب رياح المعادلة الإسلامية، فبات نهياً لتجاذبات وصراعات إيران وتركيا والسعودية. ولم تقلح الولايات المتحدة في صناعة طبقة تدين لها بالولاء، لأن أغلب من دعموا الولايات المتحدة الأمريكية في عمليات "تحرير العراق" عام 2003 وما بعدها، قد هاجروا مع انسحاب القوات الأمريكية من العراق عام 2011، واستقروا في الولايات المتحدة كأصدقاء لها، لكنهم لم ينجحوا قط في أن يكونوا طبقة متكاملة الخواص.

خلاف ذلك، فإن إيران بالذات نجحت في أن تصنع طبقة موالية لها، تركزت بين سكان مخيمات اللاجئين الفقراء فظهرت منهم أسماء قبلية. أما بين سكان المدن الإيرانية فتكونت طبقة العراقيين الشيعة الأغنياء، ومنهم تكونت طبقة يمكن أن نصفها بأنها "الصف الأول من طبقة المتدينين من سكان المدن" وبينهم أغنياء ونافذون في البلدين على حد سواء، ولا تعرف حتى الحكومة الإيرانية أو العراقية إن كانوا عراقيين أم إيرانيين، ولذلك أمثلة كثيرة، منها:

آل زنكنة ومنهم صباح زنكنة، الناقد في وزارة الخارجية الإيرانية.

آل الشهرستاني، ومنهم حسين شهرستاني وزير النفط العراقي وعالم الفيزياء النووية الشهير الذي تحدى صداماً فقضى في السجن 11 عاماً.

النعمان بن ثابت، المرجع السني المعروف بالإمام الأعظم أبو حنيفة

الأمير حسين بن روح نوبختي

الشاعر البصري، بشار بن برد

رجل الدين الشيعي مرعشي نجفي

علي لاريجاني رئيس مجلس الشورى الإيراني وكبير المفاوضين في البرنامج النووي الإيراني.

محمود الهاشمي شاهرودي رئيس السلطة القضائية.

علي أكبر صالحى رئيس الوكالة الإيرانية النووية.

محسن عراقي الأمين العام للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

محمد رضا نقدي قائد قوات الباسيج .

السياسي الإيراني المعروف، على لاريجاني

علاء الدين بروجردى

رجل الدين البارز محسن اراكى

صادق لاريجاني

السياسي يحيى النوري

محمد حسيني شيرازي

المرجع المعروف الخوئي

المرجع المعروف السيستاني

اللغوي المعروف سيبويه (من كبار النحويين العرب)

المرجع المعروف السبزاوري

آل الحكيم

آل الصدر بفروعهم

آل الجواهري

آل الراضي

مرتضى العسكري

عماد الدين التبريزي

مهدي شيرازي

عبدالرحمن الكيلاني أول رئيس وزراء عراقي

رشيد عالي الكيلاني السياسي العراقي / الإيراني المعروف الذي تحالف مع هتلر
حين بات رئيساً لوزراء العراق

الشاعر جميل صدقي الزهاوي

وهذا مجرد غيض من فيض كبير جداً، فالأنساب متداخلة إلى حد كبير، وهذا
بالتأكيد ليس عيباً، بل هو عنصر اندماج وتآلف مثمر.

وفي العادة، يقيم العراقيون في دولة آباد الضاحية الجنوبية من العاصمة طهران
وهم موجودون في شارع (كوجه) مروفي في وسط العاصمة وأغلب سكانها من
الفقراء المسافرين من الكرد الفيلية ومن سمتهم سلطات البعث ب"التبعية
الایرانية"، وليس بينهم مهاجرون التحقوا في ثمانينات وتسعينات القرن العشرين
إلا نذراً يسيراً. ولهم حسينيات ومساجد تلمهم، لكنّ منهم كثيرون سكنوا مناطق
مدينة کرمانشاه (باختران) حيث كان مقر فيلق بدر التابع للمجلس الاسلامي
الأعلى في منطقة تنكة، وكذلك معسكر تدريبه الرئيسي في قرية قمام. قيادات
حزب الدعوة، وحزب الله اللبناني، وزوجاتهم يقطنون المنطقة الشمالية من طهران
مع الأثرياء الإيرانيين.

في مدينة قم، يتجمع العراقيون الفقراء بمنطقة "نيروكاه" الحزام الجنوبي الغربي
الفقير، ولهم مساجد وتكايا وحسينيات، أشهرها النجفية، وحسينية فاطمة الزهراء،
وحسينية سيدون. فيما يسكن الأغنياء منهم مناطق قم الجنوبية الغنية، ومناطق
شمال قم حيث الأحياء العصرية.

أما زقاق "كزرخان" في قلب قم مقابل ضريح معصومة فهو ملتقى العراقيين من
كل الطبقات، وهو سوق صغير فيه بضائع عراقية وشبه عراقية وإيرانية وشبه

إيرانية. وتسمع فيه اللهجات والأصوات من نتاج الحضارتين، وتميز أهل النجف من أهل كربلاء من أهل الجنوب من أهل الكاظمية. ويكاد يكون النجفيون الطبقة الأقوى بين عراقيي مدينة قم. فيما تنتشر على أطراف كزرخان محلات صيرفة غير قانونية تضح ملايين الدولارات من الخارج إلى إيران ومنها إلى الخارج.

وفي مدينتي قم ومشهد خاصة، تقوى سلطة المساجد، وتصبح سبيلا لمراقبة العراقيين ومعرفة مستويات تقواهم وتعبدهم، حيث يتبارى الجميع في إظهار حب آل البيت والتشيع.

وفي منطقة بنورد الواقعة شرق إيران، يقيم فرع من قبيلة خزاعة العربية، لا يُعلم بالضبط تاريخ هجرتهم إلى هناك، وهم يتحدثون العربية والفارسية، ويشكلون مجتمعاً مغلقاً على نفسه تماماً.

بعض العراقيين سكنوا مدينة مشهد (الطوس) حيث مرقد الإمام الرضا، لكن بعد المدينة الواقعة في أقصى شرق إيران، قرب الحدود الافغانية، قلل دائما من ظهور الهوية العراقية فيها. وعلى العموم، فإنّ مدينة مشهد، شهدت إقامة عدد من المسافرين الأوائل في سبعينات وثمانينات القرن العشرين، وتجمّع أغلبهم في منطقة "ثامن" الفقيرة التي تشهد مخالفات وجرائم عدة.

كردستان إيران يسكنه في العادة أكراد العراق حين يهاجرون إلى إيران، وأغلبهم من الفلاحين الذين لا يملكون سوى قوت يومهم، ولا يملكون أوراقاً ثبوتية عراقية، فهم تائهون بين جبال البلدين بلا وطن. ويستقرون عادة في الأطراف البعيدة من مدينة مريوان الحدودية، مركز عمليات التهريب والمهربين بين إيران والعراق كما مر في الفصل الخاص بالمدينة الحدودية الغارقة بالدولارات والمتع. وفي أقصى قرى كردستان إيران، يلتقي المرء عراقيين من مختلف الطبقات. وغرب دزلي التي بات مخيم اللاجئين فيها مركزا للجماعة الاسلامية، ولهم فيه قاعدة لوجستية، واداعة موجهة إلى حوض بنجوين وطويلة، عناصر الجماعة الإسلامية تدعمهم أمن (إطلاعات) مريوان، يديرون المخيم من خلال المسجد القائم الذي يحرك أو هام أولئك الفقراء. وبلغ الجهل بسكان المخيم مبلغا لم يعودوا يعرفون فيه ملامح العالم المتحضر، وحين يمرض أحدهم يذهبون به إلى إمام المسجد ليقرأ عليه الدعاء!

التقيت في قرية غاب اسمها عني غرب المخيم المشؤوم في دزلي، بمدّسة عراقية عربية أصلها من بعقوبة، غادرت العراق عام 1977، وسكنت في طابق علوي من بناء أسفله دكاكين، وحيدة في قرية نائية تجتر هموم الغربية المرعبة، ولا أنيس لها، سوى صانع الحلويات البغدادي الأصيل علي. ص الذي فتح محل حلوى قريب إلى بيتها وسكن في طابقه الأعلى مع عائلته، حيث أمسوا جسر ارتباط يتيم لهذه المسكينة بالعالم الخارجي.

وفي مدن عبادان وإقليم الأحواز وعيلام، توجد أعداد من العراقيين، أغلبهم من اللر أو الكرد الفيلية المسافرين، وقليل منهم من العراقيين الذين هاجروا إلى إيران في تسعينيات القرن الماضي بعد انتفاضة عام 1991 التي عمت العراق.

العراقيون في إيران، هم طبقة مسحوقة فقيرة في المجتمع، ولكن يتقدم عليهم في البؤس المهاجرون الأفغان، وتفق أعدادهم مليوني مهاجر غير قانوني.

تاريخ العلاقات العراقية الإيرانية التركية

علاقة العراق بجاراتيه الكبيرتين غير العربيتين ظلت مؤثرة فيه على مدى الزمان، وفي القرن العشرين خرج العراق من النفوذ التركي الرسمي ودخل في حرب طويلة مكلفة مع إيران. بعد 2003 يبدو أن العراق يسعى لتوثيق علاقته بالدولتين.

العراق- إيران

ارتبطت (مملكة الحيرة) في العراق قبل الإسلام بإيران كما ارتبطت مملكة الغساسنة بإمبراطورية بيزنطة. وبعد انتشار الإسلام، قامت الخلافة العباسية على جهود عناصر فارسية في طليعتهم أبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني. كما أن أغلب أمهات خلفاء بني العباس كنّ من الجوارى غير العربيات (والخيزران أم الرشيد كانت فارسية). وهكذا فقد شهد البلاط العباسي في بغداد نفوذاً فارسياً متعاضداً. ونقل الخليفة المعتصم عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء رغبة منه في التقرب إلى الأتراك (وهم أخواله من أمه)، ميلاً منه إلى الابتعاد عن النفوذ الفارسي الذي كان يهيمن على قصر الخلافة (الخلد) في بغداد .

بعد سقوط الدولة العباسية، قامت دول عديدة ضمت العراق وإيران في نظام سياسي واحد من أشهرها الدولة البويهية والدولة الصفوية .

شهدت العلاقة بين البلدين في القرن العشرين مداً وجزراً، وشكّلت الحرب العراقية الإيرانية التي نشبت بين آذار/ مارس 1980 وأب/ أغسطس 1988 أوج التصعيد والتوتر بين البلدين، وخلفت مئات ألوف القتلى وملايين المصابين وعشرات ألوف الأسرى .

دعمت دول الخليج وكل الدول العربية - باستثناء سوريا- العراق في هذه الحرب الأمر الذي دفع إيران لمهاجمة ناقلات النفط الخليجية وتهديد المصالح النفطية، فيما عكّر هذا الدعم العلاقات الإيرانية الخليجية وسممها إلى يومنا هذا .

بعد أن أسقط التحالف الدولي نظام صدام حسين تزايد النفوذ الإيراني في العراق إلى حد كبير وشمل مجالات الاقتصاد والسياحة علاوة على النفوذ السياسي الواضح .

العراق- تركيا

خضع العراق لسلطة الدولة العثمانية لمدة خمسة قرون، وفي مطلع القرن العشرين ومع انهيار الدولة العثمانية إثر خسارتها في الحرب العالمية الأولى ومع قيام الثورة العربية الكبرى، خرج العراق من سلطة العثمانيين ليسقط تحت الانتداب البريطاني .

أثر الأتراك في تنظيم الدولة العراقية بشكل كبير جدا، فقد كان أغلب الساسة وكبار الضباط العراقيين الذين تولوا مناصب مهمة في العراق الجديد بعد عشرينات القرن الماضي من خريجي الجامعات والمدارس التركية. كما أن تنظيم المؤسسات العراقية حاكى إلى حد كبير تنظيم المؤسسات العثمانية وارتباطها بالباب العالي بالأستانة آنذاك. وما زالت كثير من الدوائر والمؤسسات العراقية ترتبط بالمركز إلى حد كبير حتى يومنا هذا، وهو أمر يكرس تركيز السلطات في المركز ويخلق للحكومات العراقية المتعاقبة مشكلات كبرى .

ويرتبط كثير من العراقيين والإيرانيين والأتراك بروابط دم ونسب بقيت إلى يومنا هذا، وقد شكلت هذه الروابط في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي مشكلة كبرى حين عمدت حكومة صدام حسين إلى ترحيل عشرات ألوف العراقيين إلى إيران بتهمة التبعية الإيرانية، وما زالت أعداد كبيرة منهم حتى يومنا هذا دون هوية .

وتعززت العلاقات التركية العراقية في الألفية الثانية في ظل حكومة الرئيس الإسلامي رجب طيب أردوغان. وشهدت علاقة تركيا بإقليم كردستان العراق على وجه الخصوص نموا ملحوظا، لاسيما أن الإقليم دُنب على بيع نفطه المسروق من أنابيب العراق ومن آبار مكتشفة حديثا في مناطق الإقليم إلى تركيا. ويتحدث مسؤولون في الإقليم وفي تركيا، عن 13 مليار دولار كقيمة لمستوى التداول التجاري بين المنطقتين. فيما تشهد المدن الكردية العراقية باستمرار إقامة معارض تجارية تركية تسهل التعامل بين تجار البلدين.

وبعد اندلاع ما عرف بظاهرة " الربيع العربي " في المنطقة، وانتقالها إلى سوريا نهاية عام 2011، تعمق التدخل التركي في العراق وسوريا إلى درجة كبيرة،

وباتت فنادق مدينة زاخو، ومدينة دهوك في إقليم كردستان العراق مراكز تشهد باستمرار صفقات سياسية وأمنية وتجارية بين تركيا والإقليم.

كما باتت المناطق السورية المتاخمة لتركيا، أرضا خصبة لتمير الجماعات المسلحة الإسلامية، ومنها جبهة النصرة وجند الشام، وعناصر القاعدة والدولة الإسلامية.

وبمرور السنين، وتعدّ الأزمة السورية بالتدخل التركي القطري الأمريكي من جانب، والإيراني المدعوم من روسيا المتحالف مع بشار الأسد من جانب آخر، تدفق ملايين السوريين هاربين من مناطق القتال في بلدهم، ما أدى إلى تغير ديموغرافي كبير في مناطق شمال وشمال غرب سوريا. وبلغ عدد السوريين المهاجرين أو المهجرين من بلدهم والمستقرين في مخيمات اللجوء بتركيا وحدها أكثر من 3 ملايين شخص. بقاء هؤلاء لفترات طويلة في المهجر التركي، سيخلق طبقة سورية- تركية الثقافة سوف ترتبط بشكل ما في المستقبل بالأترك وتتنبى توجهاتهم السياسية، كما حصل مع التداخل الإيراني العراقي.

الملاحظ أن الإسلام السياسي يسيطر عقائديا على أغلب تلك الملايين، وهكذا ستصبح رأس حربة لنفوذ الإسلام الاردوغاني في سوريا، كلما تأخر بقاء هؤلاء في المخيمات التركية، تعمقت روابطهم بالمجتمع التركي. فأولاد هؤلاء غالبا، يجيدون التحدث بالتركية أكثر من إجادتهم اللغة العربية. أنهم مشاريع تحول ديموغرافي سياسي ثقافي مخيف سوف تشهده سوريا على وجه الخصوص حال انتهاء جحيم " الربيع العربي".

إيران النووية يقتلها العطش !

ما لا يعرفه كثيرون عن إيران هو أزمة المياه الخطيرة التي تضربها، والتي أجبرت خمسين بالمائة من سكان الأرياف على الهجرة إلى المدن الكبرى. هذا الخطر مسكوت عنه في الإعلام العربي والإعلام الإيراني للتغطية على مخاطر المشاريع النووية التي تسعى إيران لتطويرها على حساب موارد البلد.

أزمة المياه وتلوث المياه الجوفية في إيران تفرع منذ سنوات ناقوس الخطر، لكنّ الوضع تفاقم إلى حد كبير في عام 2018. طهران العاصمة التي تأوي بين 8 إلى 10 ملايين نسمة تستهلك من المياه ما يزيد عن ثلثي المستوى العالمي المقبول لاستهلاك الفرد الواحد. الأخطر من ذلك، أن فضلات المياه الناتجة عن الأنشطة الصناعية تعود لتصب في الجداول والأنهار ما يفاقم الخطر بشكل كبير.

تعتمد طهران على المياه السطحية بنسبة 70 بالمائة من احتياجاتها في موسم الشتاء، أما في الصيف والفصول الأكثر دفئاً وفي أعوام شح المطر، فتعتمد المدينة العملاقة على المياه الجوفية بنسبة خمسين بالمائة من احتياجاتها، وهذا بحد ذاته يفاقم أخطار التلوث وتسمم المياه إلى حد كبير نظراً لأنّ دورة حياة الماء بين المستهلك والمنابع تصبح قصيرة جداً.

محطات توليد الطاقة الكهربائية تستهلك المياه الجوفية

الخطر الذي لا يلتفت إليه أحد، والذي تتعمد وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية التكتّم عنه، هو أن محطات توليد الطاقة الكهربائية، الحرارية والتي تستخدم الوقود، والمفاعلات النووية، تمتص مياه المناطق المحيطة بها بشكل أدى إلى تصحّر أغلب المناطق المحيطة بها.

وفي هذا السياق لا بد من القول إنّ إيران تملك 91 محطة تركيبيّة أو حرارية لتوليد الكهرباء، منتشرة في أرجاء البلد، وتقضي بشكل مستمر على منابع المياه الجوفية، حيث تستخدم مياهها لتبريد وحدات التوليد الحرارية بشكل متزايد، ما يؤدي إلى تبخر نسبة عالية من المياه المستخدمة، وتلوث المتبقي منها بعد عمليات التبريد. ويصدق هذا على كل المحطات، لكنّ المطلّعين على أوضاع إيران يرون

أن نيروكاه (محطة) "دماوند" التركيبية الواقعة شمالي طهران هي إحدى الأسباب الرئيسية لأزمة المياه الجوفية في العاصمة، لاسيما أنها تعد الأكبر في الشرق الأوسط، ورغم أن بعض مراحلها ما زالت قيد الانشاء، فإن حزام المدن والقرى المحيطة بها بدأ يتآكل بالتدريج بسبب جفاف منابع المياه فيه. ونفس الأمر يصدق على محطة "رود شور" في محيط منطقة ساوه، فقد حوّل نشاطها المستمر المنطقة المحيطة بها إلى صحارى جافة، هجرها الفلاحون.

محطة "شهيد مفتّح" الحرارية العملاقة الواقعة في سهل فامنين بفاصلة قدرها 45 كيلومترا عن همدان، على الخط السريع الواصل بين همدان وطهران، قضت خلال 10 سنوات من عمرها على رصيد المياه الجوفية بعمق 40 كيلومترا في كل الاتجاهات الأربع حولها، وهكذا تآكلت المدن والقرى المحيطة بها وهلك جزء كبير من أراضيها الزراعية إلى أبد، وهجرها أهلها بشكل متزايد إلى طهران.

الملفت للنظر، أنّ أغلب سكان المناطق المحيطة بنيروكاه شهيد مفتّح الذين هاجروا احترافوا مهنة حفر الآبار لاستخراج المياه الجوفية. المفارقة هنا هي أنها مهنة أفرزتها حاجة الناس الآنية إلى المياه، ما يجعلهم يتفوقون في مناطق سكنية محددة على فتح آبار جوفية تقضي بسرعة على رصيد المياه الجوفية، ويدفعون لتحقيق ذلك مزيداً من الأموال، حيث تتسارع قيمة حفر البئر الارتوازي بالصعود بسبب ارتفاع الطلب، ومحاربة السلطات لهذه العملية باعتبارها وسيلة تقضي على خزير المياه الجوفية الهام في البلد، وبات هناك جيش من محترفي حفر الآبار غير المجازين، الذين يعملون غالباً في ساعات الليل لتجنب عيون السلطات. ولهم قصص مؤلمة، حيث تطاردهم السلطات، وتحتجر ماكنات الحفر التي يستخدمونها وقد طوروها محلياً، وحملوها على شاحنات كبيرة. ثم تبتزهم بغرامات فاحشة لممارستهم مهنة ممنوعة. ويلعب الفساد الإداري والرشاوى دوراً كبيراً في الحد من تنمر السلطات الإيرانية على هذه الطبقة المسحوقة، لاسيما مع اشتداد الأزمة الاقتصادية في إيران ابتداء من عام 2018 إثر الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة في عهد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

المفاعلات النووية تلوث المياه وتقضي على المخزونات الجوفية

الأخطر من المحطات الحرارية هو المفاعلات النووية التي بدأت تتكاثر في أرجاء إيران الشاسعة رغم الحظر الدولي والجدل حولها.

المعلن من المفاعلات والمحطات النووية هو:

* مفاعل بوشهر باعتباره محطة لتوليد الكهرباء بالطاقة النووية، وقد قضى بشكل مضطرد على مصادر المياه الجوفية، بل إن نفايات التبريد النووية، تساق إلى نهر الكارون وتتحدّر إلى شط العرب لتذهب تلقائياً إلى مياه الخليج. وقد ماتت المدن والقرى الواقعة على الجزء الجنوب من نهر الكارون، ومن يمر بالمناطق التي يجري فيها النهر جنوب المفاعل، يتنشق بسهولة غازات وأبخرة محملة بالروائح الكيماوية الخطيرة، وليست أزمة البصرة في جنوب العراق، والتي باتت مياهها وردية اللون عالية الملوحة إلا جزءاً من هذا الخطر الداهم.

* واحد من المفاعلات المهمة المعلنّة في إيران هو مفاعل أصفهان الذي يتعامل مع اليورانيوم فيحوّله إلى ثلاثة منتجات خطيرة منها غاز سادس فلوريد اليورانيوم المستخدم في أنشطة تخصيب اليورانيوم الجارية في مفاعل نطنز. ويلوث بشكل متزايد المياه السطحية والجوفية حول المفاعل.

كما تنتج محطات الماء الثقيل فيه بشكل متزايد أوكسيد اليورانيوم الذي يستخدم في معامل الوقود وهو منتج فرعي كيماوي لا تستطيع أن تستخدمه إيران لتوليد الطاقة لافتقارها التقنيات اللازمة، وفي الغالب يستخدم مع مادة البلوتونيوم الناتجة عن التخصيب النووي. هذا الغاز هو الذي يتحلل في الماء الثقيل، ويلوث المياه التي حول المفاعل بشكل متزايد ويومي حسب المختصين في الماء الثقيل.

* أما مفاعل نطنز المثير للجدل حتى داخل إيران والذي يسميه البعض مفاعل قم، فيقوم على تغذية اليورانيوم باستخدام طريقة الطرد المركزي وطريقة الفصل الليزري في مكان يقع على بعد 260 كلم جنوب طهران. لتبريد هذا المفاعل النشط، عمدت السلطات الإيرانية على فتح قناة مائية قصيرة، تمر بمدينة قم المحرومة من الماء عام 2005. واستبشر الناس حينها خيراً بأنّ المشروع سيوفر المياه لمدينة قم الصحراوية التي دأبت على استيراد المياه من مدن أخرى، ويشرب أهلها وزوارها الكثر الماء من عبوات مقابل نقود منذ سنوات طويلة. لكنّ المياه الجارية في جدول قم، لم ولن تكن صالحة للشرب، ويحذر المسؤولون من استخدامها، مدّعين أنّها مالحة لا تصلح للشرب والغسل، والحقيقة أنّها مياه مختلطة بالماء الثقيل، والسلطات لا تستطيع السيطرة على الماء الراجع من مياه مفاعل نطنز الثقيلة، فبات يختلط بمياه الجدول المذكور.

بل إن تقريراً تسرب عن الوكالة الدولية للطاقة في عام 2003، كشف عن العثور على آثار يورانيوم مخصَّب في عينات الطعام والعشب والمياه في المدن والقرى المحيطة بمنطقة نطنز بعمق 20 كيلومترا حول جهاته الأربع، وهذا ما يفسر هروب السكان من هذه المنطقة وهجرتهم المضطردة إلى طهران وغيرها.

وبسبب فضيحة التلوث ومخاطرها، علّقت إيران العمل بمفاعل نطنز عام 2003، لكنها أعادت العمل به لاحقا. مفاعل نطنز الواقع جزء كبير منه تحت الأرض يضم عشرات الألوف من أنابيب نقل الغاز التي تقضي على كل ما حولها.

*مفاعل أراك الواقع على بعد 30 كيلومترا عن مدينة أراك (استان مركزي) الذي بدأ بناؤه عام 1996 ويختص بإنتاج الماء الثقيل. نشاطه قائم على سحب المياه الجوفية وتحويلها إلى ماء ثقيل، وقد كشفت عنه مصادر المعارضة الإيرانية عام 2002، واضطرت السلطات الإيرانية إلى الاعتراف به عام 2006 .

هذا المشروع العملاق وحسب اعتراف إيران ينتج 17 طنا سنويا من الماء الثقيل بدرجة نقاء 15% وثمانين طنا بدرجة نقاء تقترب من 80%. ثم انشأت إيران مفاعلا أصغر قريبا منه لنفس الغرض، وخالصة الموضوع أن القرى والمدن الواقعة في مدى 20 كيلومترا باتجاه الجهات الأربع قد تحولت إلى أراضٍ قاحلة، بعد أن تسممت مياهها الجوفية، فهجرها أهلها. بل أن مستويات التلوث العليا أصابت مناطق تصل إلى مدينة ملاير. لكن الإعلام الإيراني لا يسلط الضوء على هذا الموضوع نهائيا، واكتفى بإظهار وجود أزمة تلوث في قرية صغيرة اسمها "كمرآب" واقعة على بعد نحو 18 كيلومترا عن المفاعل، وتداولت وسائل الاعلام هذا الموضوع باعتباره حدثاً صغيراً هو ليس أكثر من تفصيل صغير في أزمة المياه الكبرى المعروفة لدى الجميع.

*وعلى بعد نحو 90 كيلومترا جنوب طهران، في العمق الشرقي، أقيم مفاعل فوردو، الذي يسمى محليا بمنشأة فوردو ويقوم بتخصيب اليورانيوم حتى درجة نقاء انشطارية نسبتها 20%، لاستخدامه كوقود لمفاعل أبحاث طبي يجري انشائه في طهران لإنتاج النظائر المشعة لعلاج المصابين بالسرطان. هذه المنشأة تستهلك نحو 2000 طناً من المياه يوميا، لتبريد أجزائها ولتخصيب اليورانيوم، وتستخرج كل المياه الجوفية من منطقة عميقة قريبة بدأت مخزونات المياه فيها تتراجع إلى مستويات خطيرة.

المهندس م. م المختص بتقيس مناسيب المياه الجوفية والسيطرة النوعية على استهلاك الماء، وهي مؤسسة مرتبطة بوزارة "الماء والطاقة" الإيرانية، كشف في مكالمة هاتفية مفصلة مع إحدى المؤسسات الإعلامية الدولية (نشرت لفترة قصيرة باللغة الفارسية، ثم جرى إزالتها بناء على طلب المهندس المذكور خشية على وظيفته وسلامته) أنّ مناسيب المياه الجوفية المخزونة قد انخفضت بنسبة تصل إلى 40 بالمائة، ما جعل استخراج المياه في الصيف خاصة عسيراً جداً.

إضافة الى المفاعلات المذكورة المعلنه، فهناك عشرات المنشآت والمشاريع العاملة في هذا المجال والتي ترتبط بالنشاط النووي الصناعي، أو بصناعات السلاح التقليدية الثقيلة، وكلها تقضي على مخزونات المياه الجوفية في إيران بشكل متزايد.

الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي التفتت إلى عمق أزمة المياه في إيران هي إسرائيل، وقد أعلن رئيس وزرائها بنيامين نتانياهو عبر شبكات التواصل الاجتماعي عزم بلاده على مساعدة شعب إيران على تجاوز أزمة المياه الخانقة، و أعلن أن المختصين الاسرائيليين يعملون على اقامة موقع الكتروني، وعبر شبكة تليغرام يخدم هذا الغرض.

ونشر موقع DW فارسي في (11 حزيران/ يونيو 2018) تفاصيل الخبر، مع الفيديو الذي انتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، وفيه أكد نتانياهو باللغة الإنكليزية وظهرت ترجمته بالفارسية أسفل الشاشة "لديّ اليوم اقتراح لإيران لا سابقة له مرتبط بهذه الأزمة" ومضى إلى القول " شعب إيران هو ضحية نظام مستبد ظالم يبدد مصادر المياه التي يحتاجها الناس، لذا تقف إسرائيل إلى جانب شعب إيران، واسعى شخصيا لإنقاذ أرواح ملايين الإيرانيين " الذين يعانون من نقص المياه وتلوثها القاتل بسبب المشاريع غير المدروسة.

https://www.youtube.com/watch?v=P_6RCeYm65A

وكشف نتانياهو أنّ هيئة الأنواء الجوية الإيرانية نفسها أعلنت أن 92 بالمائة من أراضي البلاد تتصحّر بدرجات متفاوتة، ونسب القول الى عيسى كلانثري وزير الزراعة الإيراني الأسبق بأنّ 50 مليون إيراني سوف يتركون مناطقهم

ويهاجرون إلى المدن الكبرى بسبب دمار البيئة وتلوث المياه، وجفاف منابع المياه الجوفية.

وأكد رئيس الحكومة الإسرائيلية نتانياهو " لدى إسرائيل المعرفة اللازمة لتفادي ظهور كارثة بيئية في إيران، وأنا اسعى شخصياً أن أضع هذه المعرفة في خدمة احتياجات شعب إيران".

وكشف رئيس الوزراء الاسرائيلي عن قيام بلده بأنشاء موقع إلكتروني باللغة الفارسية يعرض مشاريع مفصلة تعلم الإيرانيين الاستفادة من فضلات المياه الخارجة من المنازل، عن طريق تصفيتها واعادة تعقيمها لتأهيلها للاستخدام المنزلي. ومضى إلى القول "سنعرض للفلاحين الإيرانيين كيف يمكنهم أن ينفذوا محاصيلهم، وكيف يمكنهم أن يستمروا في الزراعة لتأمين موارد أسرهم، وموارد غذاء البلد".

ولا يخفى هنا أنّ مبادرة المسؤول الإسرائيلي فيها أيضاً نوعٌ من البروباغندا السياسية في الحرب الناعمة ضد إيران التي ما برحت تهدد وفي كل يوم جمعة بإعادة إسرائيل عبر الهتاف القومي الذي يتردد في مساجد إيران "مرك بر إسرائيل" بمعنى الموت لإسرائيل.

إثر ظهور هذا الفيديو، سارع المتحدث الرسمي باسم الحكومة الإيرانية محمد باقر نوبخت عبر شاشات التلفزة المحلية إلى الإعلان عن إطلاق الدولة تخصيصات مالية عملاقة لتدارك الأزمة.

أسو بروان الإيرانية الألمانية النائمة!

المسجد الإيراني غالباً مسجد شيعي، لكنّ سياسة الاحتواء الإسلامي للسلطة شملت حركات سياسية سنية ومتشددة، بل ومضادة فكرياً للتوجه الشيعي الإيراني. والقصة التالية تظهر التناقض الأيدلوجي العميق الذي تروج له دولة ولي الفقيه، والذي يصنع مأس منسية في كل مكان.

أسو الكردية الإيرانية أبعد ما تكون عن الأسلمة، فقد هاجرت من إيران بعد أن تعرفت على رجل ألماني في بلدها، سارع الى عقد قرانه عليها (في السفارة الألمانية بطهران) وجاء بها إلى بلده. تبدو القصة عادية الى هنا، لكنّ الشرطة عثرت على أسو شبه قتيلة ذات خريف على ساحل الراين، وهي قصة أخرى.

في العاشرة من ليلة الأحد، رنّ جرس الباب، فتساءل أهل بيتي، من يزورنا في هذه الساعة. الأسر متعددة الأطفال تنام بين التاسعة والعشرة ليلاً في ألمانيا، ولا أحد يرن جرس الباب إلا في أقصى حالات الطوارئ. فتحت الباب بحذر، فطالعتني وجه جاري الذي يسكن في طابق يعلو شقتي، وفيه ملامح قلق لم أعهدها. وحال أن سألته عن سبب قدومه، تدفق يقول إنه بحاجة الى شخص يساعده، حيث لا يعرف أحداً في هذه المدينة سوى أخيه المتواري عن الأنظار لأسباب مجهولة، وبالتالي فهو مضطر لطلب المساعدة مني بسبب حرجة الوضع. وبعد أن طمأنته إلى امكانية أن أمد له يد المساعدة (بنخوة الشرق الأوسط المعهودة)، قال لي إنه قد تلقى مكالمة من الشرطة تفيد بأنهم قد عثروا على جسد سيدة فاقدة للوعي، ويشتبهون أنّ له علاقة بها بسبب عثورهم على رقم هاتفه في هاتفها المحمول! وهنا تحرك في داخلي هاجس المؤامرة الشرقية، فقد تكون في القضية جريمة قتل، هل اراجع وأرفض المساعدة؟ لكنّ روح الشرق الأوسط غلبتني، فمضيت قدماً وسألته:

وما المطلوب مني تحديداً في هذه الحكاية؟

-أنا لا أعرف أحدا في هذه المدينة سوى أخي وزوجته، ولا أدري أين هو،
وزوجته شرق أوسطية، وفكرت أنك قد تكون عوناً لنا في هذا، لاسيما أنّها
عراقية؟

- زوجة أخيك عراقية؟

- نعم إنّها كردية عراقية، ولهذا فكرت أن تكون معي فقد يمكنك مساعدتنا لو طلبت
شيئاً ولم أفهمه.

وبلا تردد، غيرت ملابسني واخذته بسيارتي إلى حيث ترقد السيدة زوجة أخيه،
وهناك كان المشهد درامياً حقاً، فقد نجحت الشرطة في الإتصال بجيران السيدة،
فجاءوا إلى المشفى ومعهم نجلاها (بنت في الرابعة عشرة، وصبي في الثانية
عشرة).

وهكذا وجدت نفسي وسط مشهد يراوح بين الفكاهة وبين الألم، فالسيدة لم تكن
عراقية ، بل كردية إيرانية، ولأنّ أغلب الغربيين لا يميزون العراقيين ومن
الإيرانيين (كما لا نميز نحن بين أوروغواي وبارغواي، لتشابه الاسم والشعوب
واللغة) فقد توهم حموها الذي طلب مساعدتي بأنّها عراقية.

بعد أخذ ورد ومتابعة، شاهدتُ السيدة من خلف الزجاج مستلقية على سرير في
غرفة العناية المركزة، وعلى وجهها شحوب الموتى. تلك الليلة انتهى المشهد عند
هذا الحد بالنسبة لي، فالسيدة لم تكن تستطيع الكلام، ونجلاها قد حضرا إلى
المكان، فلا فائدة تترجى من حضوري، وهكذا غادرت إلى البيت لأكمل نومتي
التي سكنتها الكوابيس الكئيبة.

بعد 3 أشهر التقيتُ جاري إياه على سلم العمارة، فأكمل القصة وسد الفراغات التي
علقت بالمشهد بالنسبة لي. فالسيدة، قد هاجرت من إيران بعد أن تعرّفت على
شقيقه في بلدها، وسارع إلى عقد قرانه عليها (في السفارة الألمانية بطهران) وجاء
بها إلى بلده لتحمل اسم عائلته كما هو رسم الزواج في هذا البلد، فباتت أسو
براون.

لكنّ التفاصيل الخفية كشفت أنّ السيد براون، كان مقاتلاً إلى جانب نظام طالبان
الإرهابي في افغانستان، وعندما اسقطت الولايات المتحدة الأمريكية نظامهم في

عام 2001 وما بعده، هرب إلى إيران، وفتح مدرسة لتعليم الصلاة، واللغة الألمانية! في محافظة زاهدان (أهلها من البلوش السنة وتقع على الحدود الأفغانية) بإيران. وفي عام 2004 تعرف على آسو، وتزوج بها وجاء بها إلى ألمانيا.

لكنه عاد إلى تكوينه السلفي المتشدد بسبب مناخ التسامح في ألمانيا، وحاول أن يفرض على زوجته الإسلام على الطريقة الطالبانية! فطلب منها الانتقاب والصوم والصلاة، وسجل أبناءه في مساجد المدينة ليتعلموا ويحفظوا القرآن، وفرض الحجاب على ابنته، والجلباب على ابنه، وهو ما رفضته السيدة الأنيقة الجميلة وقاومته بشدة. وتصاعدت الخلافات بينهما وامتدت سنوات لصعوبة الطلاق في ألمانيا (إجراءات الطلاق هنا بالغة الصعوبة و تتعلق بالتزامات مالية بين الجانبين، وهذا بحد ذاته من أهم أسباب عزوف الألمان عن الزواج).

ثم انتهى المشهد بأن أقدم ج. براون على خنق زوجته آسو، ثم وضع جسدها الناحل الصغير في صندوق سيارته، وألقى به على شاطئ نهر الراين على أمل أن يبتلعه النهر ليلاً، وتوارى عن المشهد إلى مكان مجهول، ويُرجَّح أنه قد التحق بما يوصف في الإعلام الألماني والفرنسي بـ"الجهاديين" في سوريا أو العراق، لتنتهي القضية. لكن ج. براون الإسلامي الطالباني الآري الجرمانى نسي أن يأخذ من زوجته هاتفها المحمول وقد كان في جيب سروالها الجينز الضيق الملتصق بجسدها، وهو ما حمى الهاتف وساعد الشرطة في تعقب أثرها وكشف الجريمة، وعاشت آسو الكردية الإيرانية لتروي قصة أخرى من حكايا جنون الأسلمة.

*الأسماء الواردة في الموضوع ليست أسماء الشخصيات الحقيقية.

سلام من إيران قد ينسف علاقة العراق بأمريكا

قبيل أن يسيطر تنظيم داعش باسم "الدولة الإسلامية" على ثلثي مساحة العراق في حزيران 2014 ، عقدت حكومة نوري المالكي اتفاقا مع إيران لاستيراد اسلحة منها، وهو اتفاق يخادم مصالح جهات معينة في ائتلاف دولة القانون. وسبق هذا الاتفاق اتفاق غامض مع روسيا لاستيراد اسلحة بقيمة 4 مليارات دولار، علما أن العراق قد غادر ترسانة الاسلحة الروسية منذ التغيير التاريخي عام 2003. توجه حكومة نوري المالكي في العراق مطلع عام 2014 إلى إيران لشراء السلاح تجاهل حالة العداء التي تعيشها هذه الدولة مع حليف العراق "الاستراتيجي" الولايات المتحدة. هذا التطور يخترق الحظر الدولي في التعامل مع إيران ويضع علاقة العراق بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تحت السؤال.

أثارت أخبار شراء العراق لأسلحة إيرانية بقيمة 195 مليون دولاراً، ردود فعل أمريكية رافضة للصفقة. وكانت وكالة أنباء رويترز قد تحدثت عن اطلاعها على عقدين مع شركة الصناعات الإلكترونية الإيرانية لتزويد العراق بمعدات واعتدة عسكرية من بينها نظارات للرؤية الليلية ومعدات اتصالات وأجهزة توجيه قذائف المورتر.

تصريحات المسؤولين العراقيين جاءت متناقضة بشأن الصفقة، ففيما نفت وزارة الدفاع وجود أي صفقة من هذا النوع، قال النائب حسن السنيد، رئيس لجنة الأمن والدفاع في البرلمان لصحيفة "المدى" اليومية المستقلة في عددها الصادر يوم الأربعاء 26 شباط /فبراير 2014 إن "صفقة السلاح الإيرانية العراقية مازالت قيد التفاوض بين الجانبين ولم نصل إلى مرحلة إبرام عقد تسليحي بين الدولتين ولازال الجانبان في إطار الحوار."

من جانبه، قال السفير الإيراني لدى بغداد حسن داناوي فر إنه "إذا احتاج العراقيون مساعدة عسكرية وإذا طلبوها، فإننا سننظر في ذلك"، مشدداً على أنه "لم يتم توقيع أي عقد أسلحة بين العراق وإيران."

ولكن ماذا اذا جرت الصفقة فعلا، وغيّر العراق اتجاه البوصلة صوب إيران، ليضع خلف ظهره الولايات المتحدة الأمريكية راعية التغيير التاريخي في العراق؟ كيف يمكن للولايات المتحدة التعامل مع مثل هذا الواقع المحتمل؟

ليس بوسع المراقب في هذه الحالة إلا أن يرى الموضوع ضمن تفاصيل المشهد الدولي، دور الولايات المتحدة في عهد إدارة الرئيس الأمريكي اوباما في العراق بإزاء دور إيران المتنامي في البلد وأثره في سياسته الحالية والمستقبلية. هل قرر العراق أن يدير ظهره لأمريكا في سبيل علاقة أوثق مع إيران؟

السؤال الذي يبحث عن إجابة عاجلة هو: هل قرر العراق أن يدير ظهره لأمريكا في سبيل علاقة أوثق مع إيران؟

الخبير والكاتب السياسي ومستشار الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك د. كاظم حبيب لدى سؤاله أعتبر أن العراق يحاول أن ينمّي علاقته بإيران على حساب علاقته بأمريكا، مشيرا إلى أن العراق غير قادر أن يمضي في الشوط الى نهايته.

د. حبيب مضى إلى القول "إن الولايات المتحدة بعد انسحابها من العراق فقدت كثيرا من تأثيرها وضعف دورها فيه لصالح إيران التي اصبحت هي المتحكمة في السياسة العراقية وأضحت الفاعل الأول في التأثير على رئيس الوزراء نوري المالكي."

وتحدث د. حبيب عن جانبين في قضية الأسلحة مع إيران، الأول هو الحصول على أسلحة" وهذا إن لم يتم علنا، فيمكن أن يجري باتفاق سري، والثاني، هو الضغط على الولايات المتحدة لحثها على الإسراع في تصدير الأسلحة المتفق عليها الى العراق."

وبوسع المراقب أن ينتظر رد فعل عملي أمريكي حيال تنامي علاقات العراق العسكرية بإيران. لكن إدارة الرئيس الأمريكي اوباما لا تبدو مهتمة برعاية مصالح عسكرية خاصة مع العراق بعد أن أتمت انسحابها منه عام 2011 وبعد أن رفض العراق توقيع اتفاقية صوفا الأمنية معها. من هنا قد لا يثير الامر إلا اعتراضها من ناحية خرق العراق "حليفها المفترض" لبنود الحظر الدولي الخاص بتصدير واستيراد الأسلحة الى ومن إيران.

ونبه د. حبيب إلى أنّ الولايات المتحدة لم تعترض على قيام العراق بشراء أسلحة روسية في صفقة بلغت 4 مليارات دولار، وقد بدأت الأسلحة تصل فعلا الى العراق، ولكن "شراء العراق أسلحة من إيران (عدوة الولايات المتحدة) يمثل تحدياً للأخيرة ويناقض بنود الاتفاقية الاستراتيجية الموقعة بين البلدين."

"استمرار نوري المالكي في السلطة هو نتيجة توافق أمريكي إيراني"

المحلل السياسي صلاح التكمجي مدير شبكة المرصد العراقي، لم يتفق تماما مع هذه المعطيات، لكنه بين أنّ العراق يرتبط باتفاقية تعاون استراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية ملزمة للطرفين، ومشيرا الى أن جزءا من بنود هذه الاتفاقية ينص على حماية العراق في حربه ضد الإرهاب. واستعرض التكمجي جملة من الوقائع تكشف عن تعاون عسكري بين الجانبين، كان آخرها " ضربات جوية على مواقع الإرهابيين في الأنبار نفذت بالتعاون مع الاستخبارات الجوية الأمريكية". ثم استبعد التكمجي احتمال أن تؤثر العلاقة مع إيران على علاقة العراق بالولايات المتحدة.

محاولة العراق التحالف مع دولتين متعاديتين، تضع إمكان التوفيق دبلوماسيا بينهما موضع سؤال، لاسيما أنّ الغرب عموماً وإسرائيل، تتخذ مواقف عدائية من إيران التي تهتف منذ 35 عاما بعدائية علنا في كل صلاة جمعة "مرك بر أمريكا، مرك بر إسرائيل" (الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل)، وهو أمر سيضع العراق بين خيارين صعبين.

التكمجي ذكّر بهذا الخصوص أنّ العراق في كثير من القضايا لعب دور وسيط بين البلدين ، كما أشار الى أنّ استمرار نوري المالكي في السلطة هو نتيجة توافق أمريكي إيراني . كما لفت الأنظار الى أنّ علاقات أمريكا والغرب بإيران قد شهدت دفئا بعد تقدم المفاوضات حول ملف إيران النووي. وخلص إلى القول " أمريكا مستفيدة من العراق في حل مشكلاتها مع إيران". كما استبعد أن يستبدل العراق إيران بالولايات المتحدة، لعدم امتلاك إيران قدرات على مده بالسلح بشكل متواصل فعال.

هل تشهد المنطقة حرباً مباشرة بين السعودية وإيران؟

ضمن حروب المساجد السنية والشيعية، اعتبرت البلدان الخليجية السنية تنفيذ السعودية لحكم الاعدام بحق 47 معارضاً بينهم رجل الدين الشيعي المتمرد نمر النمر خطوة في الاتجاه الصحيح في محاربة الإرهاب، بينما أدانت إيران وحلفاؤها من الشيعة العرب عملية الإعدام معتبرينها جزءاً من الحرب على الطائفة الشيعية. أمّا في أوروبا فتعالت اصوات يسارية تعلن بأنّ النمر قائد معارض سلمي تمّ اعتقاله وإعدامه ظلماً كما كشف تقرير صدر عن مركز المسبار الخليجي(ومقره دبي) المتخصص بالشؤون الشيعية. ولا بد من الإشارة هنا، إلى أنّ أغلب مراكز الأبحاث والصحف ومنافذ الإعلام الخليجية التي تنفق مليارات الدولارات على أبحاث ودراسات وبرامج تلفزة ومواقع إلكترونية وهمية شغلها الاساسي هو شتم إيران، متجنبين عن جهل الخوض في حروب الحقائق. وأغلب من يسمى بـ "الخبراء" الذين تشغلهم هذه المنافذ لم يروا إيران حتى في سفرة سياحية، بل إن كثيراً منهم لم يلتقوا طيلة حياتهم العملية برجل سياسة أو اقتصاد إيراني، باستثناء افراد متاجر السيارات والسجاد في بلدان الخليج العربية المتحدرين من أصول إيرانية وهم كثرة، ولكنهم في النهاية يعرفون أنفسهم بأنهم خليجيون من أصول إيرانية.

ونشر مركز المسبار لأغراض التوضيح، بعض البيانات من مصادر سعودية أعتبرها ذات مصداقية، بما فيها أشخاص احتفظوا بصداقة مع نمر النمر، وهذه البيانات تحاكي السياق الذي تمّ فيه اتخاذ قرار الإعدام بحقه.

في ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن الماضي، كان نمر النمر شخصاً قيادياً في حركة "حزب الله الحجاز"، وهي جماعة خمينية مسلحة تأسست في المحافظة الشرقية للسعودية، ونشطت في المملكة والكويت والبحرين. وقد أعلن نمر في خطبه الدينية وفي تصريحات رسمية عدّة بأنّ الأسر السعودية الثلاث الحاكمة هي غير شرعية، وطالب بالمواجهة المسلحة ضد حكوماتها. كانت هناك فترة من المواجهة المسلحة غير المتكافئة بين نشطاء الحركة وقوات الأمن السعودية أوقعت قتلى من الجانبين. هرب العديد من أعضاء حزب الله الحجاز إلى إيران، ومن بينهم نمر النمر.

أعلنت الرياض عام 1992 عن هدنة من حزب الله الحجاز ومنحت عفواً لأعضاء

الحركة الذين تخلوا عن الحركة، وأقسموا على قطع العلاقات مع إيران، وأعلنوا الولاء للسعودية. من بين العائدين من إيران كان نمر النمر: رفض شروط العفو، ولكن هـ خف هـ ف م ن ح دة خطاب هـ.

مع حلول عام 2009، عاد لدعم "الخيار العسكري"، مطالباً بالانفصال عن السعودية في إحدى خطبه. وقد تبع خطبته مواجهة بين متظاهرين شيعة والشرطة السعودية في مقبرة البقيع في المدينة المنورة. وقد توارى نمر النمر عن الأنظار بعد إلقاء هـ للخطبة.

عاد للظهور في عام 2011 في المحافظة الشرقية خلال مظاهرات ما عرف بالربيع العربي. وفي الوقت الذي دعا فيه العديد من قادة الشيعة في المنطقة إلى المظاهرات السلمية، دعا معسكر آخر بحمل السلاح ضد الحكومة، واختار نمر النمر المعسكر الأخير. شوهد النمر برفقة شبان كانوا يرمون قنابل مولوتوف على قوات الأمن. الحدث الأخير الذي جذب الانتباه أثناء المواجهة المسلحة التي استمرت، هو أنه شوهد في سيارة برفقة شباب أثناء استهدافهم للشرطة السعودية بـ النيران.

تؤكد الحكومة السعودية بأن نمر النمر عمل خلال سنوات كناشط يحرض على أعمال عنف وله دور في تنظيم ذلك. من وجهة نظر وزارة الداخلية، إن نمر النمر هو المكافئ الشيعي للسنة المنتمين إلى تنظيم القاعدة أو داعش ممن تلوثت أيديهم بالدماء، وعدد منهم لقوا مصير الإعدام بنفس الوجبة. ولعل هذا العامل هو من جملة ما ساعد على أن تقر موجة الغضب والتحريض ضد المملكة العربية السعودية. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النفوذ المتنامي للأمير محمد بن سلمان، وإقدامه على سحب سلطة الضبط الجنائي من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي جوهر الشرطة الدينية بالمملكة، وتوليه لمنصب وزير الدفاع، ثم استحداث منصب ولي ولي العهد العجيب الغريب، كل ذلك، عجل في قرارات الإعدام المعطلة، وتم الإعدام بحق تنفيذاً لتوجهات الأمير الشاب الحريص على تغيير أساليب الحكم العتيقة في المملكة شديدة المحافظة. وتشير دراسة موقع المسبار إلى أن وزارة الداخلية طبقت تجاه عائلة النمر نفس السياسية المتبعة مع أقارب الجهاديين السنة: الاعتناء باحتياجات أسرهم خلال فترة الاعتقال. فقد قامت الحكومة السعودية بإرسال زوجة النمر، المصابة بالسرطان، إلى مستشفى بنيويورك والذي تلقت فيه العلاج لمدة تسعة أشهر على نفقة

الحكومة. وكل هذا بموجب تحليل الدراسة جاء "في سياق الثقافة السياسية السعودية، بمعنى أنه مسعى لإيقاف دائرة الانتقام، وتطمين المعتقل بأن لا أحد ينوي إلحاق الأذى بأحبائه، وإعادة اكتساب أفراد الأسرة كمواطنين أوفياء:.

وأشار تثقير المركز إلى رفض أبناء نمر زيارة والدهم أثناء فترة اعتقاله، ولا يمكن التأكد من صحة المعلومة. هذا التوجه السعودية عمق القطيعة بين السعودية وإيران بما قد ينقل العلاقات بينهما من حروب النيابة إلى مواجهة مباشرة، حسب ما يخشى البعض. لاسيما أن السعودية مستاءة من مواقف إدارة الرئيس الأمريكي أوباما في المنطقة.

ويبدو المشهد وكأنه يسير باتجاه تكريس الانقسام الطائفي بين السنة والشيعة في منطقة الشرق الأوسط؛ بعد إعدام السعودية لرجل الدين الشيعي نمر النمر، وما تلاه من ردود فعل إيرانية غير رسمية، في ظاهرها، طالت المؤسسات الدبلوماسية السعودية في طهران ومشهد. لكن الباحث الألماني في شؤون السلام يوخن هبلر يرى أن الصراع بين البلدين ليس ناشئاً بسبب خلافات دينية ومذهبية، ويؤكد "أن شعبي البلدين لو كانا مسيحيين أو بوذيين فإنّ الصراع سيبقى قائماً، لأنه يتعلق أساساً بتقسيم القوة والمصالح الجيوسياسية في منطقة الخليج"، وهي ما تسعى إلى التحكم فيها إيران والسعودية على السواء.

استبعاد وقوع حرب مباشرة

ويرى المراقبون أنّ القوى التي هاجمت السفارة السعودية في طهران والقنصلية السعودية في مشهد لا يمكن أن تعمل دون موافقة سلطة ولاية الفقيه القوية. وهو ما يفسّر إقدام السعودية والبحرين والسودان على قطع علاقاتها الرسمية مع إيران.

وفي المقابل فإنّ مراقبين أكثر قرباً من المشهد يرون أنّ التصعيد لن يصل إلى مستوى حرب بين جيشي البلدين، بل سيبقى عند حدود حروب النيابة. فقد استبعد الصحفي الإيراني علي قنبري احتمال الحرب، وذهب أبعد من ذلك مؤكداً أنّ "حكومة حسن روحاني والمؤسسة الدبلوماسية الإيرانية، تسعى بشكل مثابر للسيطرة على الوضع وخفض مستوى التوترات بين البلدين".

وفي معرض تقييمه للموقف الشعبي الإيراني من احتمال تطور المشهد إلى حرب على الأرض بين الجارتين القويتين، وأكد قنبري أنّ "حرباً كهذه لن تعود بالنفع

قط على إيران، كما أنّ شعب إيران يعارض تماما أي حرب ويعارض سياسة تصعيد التوتر مع دول الجوار، والأجنحة والقوى المختلفة في المشهد السياسي الإيراني الرسمي تدرك تماما هذا الموقف".

"التقارب الإيراني الغربي خسارة للسعودية"

وبالنسبة للسعودية فقد أيدّ مجلس الشورى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الرياض وطهران. ويرى الباحث والمعارض السعودي د. فؤاد إبراهيم أنّ "من الواضح أنّ السعودية على استعداد لأن تذهب إلى أقصى خياراتها خصوصا مع فقدان العقل الاستراتيجي في هذا البلد".

وأكد إبراهيم المقيم في لندن أنّ "حكّماء السياسة في هذا البلد يراهنون على الدخول في حروب مع إيران أو أي دولة أخرى، لقد قالوها لبعض الدبلوماسيين الغربيين." وتابع المعارض السعودي: "هم في الواقع قد يدفعون المنطقة برمتها إلى كارثة؛ إذا قرروا الدخول في هذه المغامرات".

الموقف السعودي جرّ البحرين إلى إعلان قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران الاثنين (الرابع من كانون الثاني/يناير 2016). كما طلبت من الدبلوماسيين الإيرانيين مغادرة المنامة خلال 48 ساعة. وسرعان ما أعلنت حكومة السودان أيضا عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع طهران.

وقد يرى البعض في كل ذلك جزءا من تداعيات السياسة الأمريكية في المنطقة، لاسيما أنّ إدارة الرئيس أوباما تقاربت مواقفها مع الحكومة الإيرانية بشأن الملف النووي الإيراني. وقاد ذلك إلى رفع الحظر الدولي عن إيران، وهو أمر لا يمكن أنّ يرضي السعوديين. والى ذلك، أشار الباحث السعودي فؤاد إبراهيم مبينا أنّ "السعودية تعتبر نفسها خاسرة في أي تقارب إيراني غربي وهي التي راهنت على حرب أمريكية على إيران بمشاركة إسرائيلية، وكانت على استعداد أن تدفع فاتورة تلك الحرب. وهي تحاول استدراج الغرب لصراعاتها." ومضى المعارض السعودي إلى القول "لكنني أعتقد أنّ الغرب ممثلا بالولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية لديه من المشاكل الاقتصادية والأمنية ما يكفي وبما يجعله ينأى بنفسه عن مثل هذه الصراعات".

عداء وحروب بالوكالة في تاريخ العلاقات السعودية الإيرانية

قطعت السعودية الأحد 3 يناير/ كانون الثاني 2016 علاقاتها الدبلوماسية مع إيران رداً على الهجوم على بعثاتها الدبلوماسية فيها وعلى الموقف الإيراني المنتقد بشدة لإقدام الرياض على إعدام رجل الدين السعودي الشيعي نمر النمر. وليست هذه هي الأزمة الدبلوماسية الأولى بين البلدين.

من جانبها نقلت وكالة رويترز عن مصدر، قالت إنه على دراية بفكر الحكومة السعودية "أن الحكومة السعودية ليست مستاءة من إيران فحسب وإنما من الولايات المتحدة أيضاً لإخفاقها المتصور في الرد على ما تعتبره الرياض تدخل إيران في كل أنحاء المنطقة"، حسب المصدر، الذي تحدث شريطة عدم الكشف عن اسمه. وأضاف المصدر "لقد طُفح الكيل مرة أخرى، إيران تبدو عدم اكتراثها بالغرب، وهي تواصل رعاية الإرهاب وإطلاق الصواريخ الباليستية ولا أحد يحرك ساكناً إزاء ذلك. في كل مرة يفعل فيها الإيرانيون شيئاً تتراجع الولايات المتحدة".

هذا التصور (من جانب الرياض) تزامن مع قيام الولايات المتحدة بالدعوة للتشجيع على التواصل الدبلوماسي وحث القادة في المنطقة على اتخاذ "خطوات جادة لتخفيف حدة التوتر"، كما نقلت وكالة رويترز عن مسؤول بإدارة الرئيس الأمريكي أوباما.

بينما نقل موقع انترناشيونال بزنس تايمز لقاءً مع جيمس جيفري، نائب مستشارة الأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش قوله: "لا يوجد تبرير واضح لإعدام النمر، وهو عمل سيعرض علاقاتنا لأزمة... النمر لم يكن إرهابياً".

وفيما تتحدث مراكز الدراسات الاستراتيجية ومعاهد البحوث عن تغيير الولايات المتحدة لسياساتها في الشرق الأوسط، يتساءل كثير من المراقبين عن جدوى التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية، في ظل إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، التي لم تفعل شيئاً لكل الملفات المشتعلة في المنطقة.

قطر تغازل إيران فيصلها وباء الإرهاب - هل ثمة رابط؟

وضمن تبدل السياسات، وتغيير بوصلة المساجد، فإن قطر التي طالما كانت راعية للحركات السلفية المعادية للشيعة، غيرت بوصلتها اضطرار وع اشتداد أزمتهام مع الدول العربية، فسارعت الإمارة الى الجارين الاقليميين تركيا وإيران، وهي التي طالما اعتبرت إيران صفوية عبر "الجزيرة". الغريب أنّ الغزل المبتذل مع إيران رافقته هجمات إرهابية طالت برلمان (مجلس) إيران ومرقد الخميني. كلّ هذا يثير أسئلة.

فجأة باتت إيران هدفا معلنا لهجمات مسلحة، وهي الدولة- النظام التي تتكتم على كل الهجمات التي تنفذها فصائل كردية وعربية وبلوشية في أطراف الدولة شبه القارية منذ عقود.

فجأة يدلف مسلحون التقطوا أسلحتهم من مقبرة الزهراء (قرب مرقد الخميني على بعد 20 كيلومترا جنوب طهران) إلى مرقد الخميني وإلى مقر البرلمان الإيراني، ويفتحون النار على من كانوا فيه، ويحتجزون رهائن. الهجوم يثير أسئلة حساسة خطيرة:

*المسلحون هم حتما إيرانيون، فهل هم فصيل معارض، أم عناصر تنظيم داعش بفرعه الإيراني بعد أن قررت إيران التعاون مع قطر؟

*الدخول بحقيبة إلى البرلمان أو الى مرقد الخميني ممنوع بتاتا، فكيف دخلوا بأسلحتهم المخفية في حقائب كبيرة كما كشفت أفلام الفيديو التي بثت من مقر البرلمان ومن مرقد خميني؟

*المعارضون الإيرانيون العرب على وجه الخصوص، يرددون أنّ الهجوم مدبر من خطوط في الساقاما (الأمن والمخابرات الإيرانية) لأسباب تتعلق بفشل أحمدى نجاد وصديقه المرشح المشبوه حميد بقائي في الفوز بالانتخابات.

*نفس الأصوات المعارضة تعتبر الهجومين مقدمة لانشقاقات مسلحة في أوساط النخبة السياسية الإيرانية، وهو أمر يعيد الى الأذهان التفجيرات والهجمات المسلحة التي رافقت قيام "الجمهورية الإسلامية" وأشهرها الهجوم بقنبلة وضعت

في ميكروفون كان خامنئي (رئيس الجمهورية الإسلامية عام 1981) يخطب من خلاله، ففقد بسبب العبوة الصغيرة، عينه اليمنى وشلت ذراعه اليمنى وأصيبت بسقوط دائم.

* تنظيم داعش " الدولة الإسلامية" تبنى الهجومين حسب ما ذكرت وكالة "أعماق" التابعة للتنظيم عبر تطبيق تلغرام" و"انستغرام" واسعي الانتشار في داخل إيران حيث يمنع واتس أب وفيسبوك ويوتيوب منعاً باتاً. هذا الاعتراف يثير أسئلة عن حقيقة ما جرى لاسيما أن القاعدة وداعش والتنظيمات الإرهابية الشبيهة بها رغم عدائها المعلن الصريح للشيعة (التي تصر على وصفهم بالروافض الصفويين) لم تنفذ قط هجمات داخل إيران.

*تزامن هذا الهجوم مع التحالف القطري الإيراني الحذر يثير أسئلة أخرى، فهل زحفت العناصر الإرهابية متسللة من جعبة قطر، أم أن الدولة العميقة في إيران تحترب مع بعضها بسبب التحالف مع قطر؟

*المهاجمون ينتمون إلى أقاليم في أطراف إيران؛ حسبما أعلنت السلطات الرسمية الإيرانية. فهل يعني هذا أن الأقلية السنية في إيران والتي تتراوح نسبتها بين 8 إلى 10 في المائة من مجموع السكان وغالبيتها تسكن في المناطق الحدودية مع العراق وكردستان العراق وتركمانيستان وأفغانستان وباكستان قد بدأت تتحرك ضد دولة الولي الفقيه، واختارت لذلك التحالف مع التنظيمات الارهابية لتكرر نفس الخطأ الذي جرى في سوريا وليبيا والعراق؟

*لماذا في هذه المرحلة التفت داعش الى إيران، عن هذا السؤال أجابت الصحفية فريدريكة بوغه من صحيفة فرانكفورتر ألغماينه تسايتونج الألمانية، مشيرة إلى أن "تنظيم الدولة الإسلامية يأمل أن ينشر الكراهية ضد الحكومة المركزية بين السنة في إيران. فخلال الأشهر الماضية قام التنظيم الإرهابي بتعزيز دعايته بشكل واضح باللغة الفارسية. وفي شهر مارس/ آذار الماضي نشر التنظيم فيلماً دعائياً دعا فيه السنة في إيران إلى المقاومة ضد النظام الشيعي. وتلقى دعاية التنظيم صدى بين السنة، ففي أوغسطس/ آب العام الماضي أعلن وزير المخابرات الإيرانية أن 1500 شاب إيراني حاولوا الالتحاق بتنظيم "الدولة الإسلامية"، لكن جرى منعهم. وكشفت السلطات الرسمية عن 58 خلية مرتبطة بتنظيم "الدولة الإسلامية" خلال السنوات الماضية حسب اعلان رسمي ما يعني وجود محاولات

لتنفيذ هجمات في إيران، وقد نجح الارهابيون في تنفيذ أول هجوم لهم في إيران يوم الأربعاء (07 يونيو/ حزيران 2017) حيث الحضور الكثيف والمراقبة الشديدة للأجهزة الأمنية."

إيران وقطر، حليفان ولكن...

ما أن قاطعت الدول العربية قطر التي ترعى الحركات الارهابية وتغازل الحرس الثوري الإيراني وممارسته، حتى انكفأت جزيرة الغاز إلى تركيا، وسمعنا أدروغان يدافع عنها بحماس، وما لبثت إيران أن أعلنت عزمها على مساعدة قطر، ثم تدفقت السلع الغذائية الإيرانية محمولة بخمس طائرات حطت في مطار الدوحة لتسعف السوق القطرية.

لكن هل تأمن إيران فعلا قطر التي ترعى الجزيرة وهي عدو إيران اللدود؟

حدود بحرية طولها مائتان وخمسون كيلومترا يتقاسمها البلدان، وفيهما حقل غاز عملاق تسميه إيران حقل " بارس جنوبي" وطالما كان سببا استراتيجيا للخلاف بينهما، وحين اجبرت إيران دولياً على تقليل انتاجها من الغاز، جنت قطر الفوائد والعائدات وحدها بالضخ الرسمي وغير الرسمي الذي مؤلّ تنظيمات ارهابية في ليبيا ومنها تنظيمات اخوانية معروفة.

وحول الطاقة أيضا هناك مزيد من الخلاف بينهما، فقطر طالما حاولت مد خط أنابيب من حقول الإنتاج مرورا بأراضي المملكة العربية السعودية والأردن وسوريا إلى تركيا، وصولاً إلى أوروبا. فيما تسعى إيران منذ التغيير الحاسم في العراق عام 2003 الى مد خط أنابيب على طول إيران وصولاً الى جنوب العراق (منطقة الشلامجة في البصرة) ثم عبر سوريا وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط. وقد توصل النظام الايراني إلى اتفاق مع النظام السوري قبل سنوات بشأن التنفيذ، لكنه توقف، والحرب في سوريا تنفي امكانية تنفيذه في أي موعد منظور.

الدوحة لا ترحب بشكل كبير بدعم طهران، ولا بتدخلها المكشوف الواضح حتى لدعم قطر حسب تعبير الباحث في العلوم السياسية من جامعة طهران صادق زيبا كلام "في الأزمة الحالية، قطر لا تعتمد على إيران، خصوصاً أنّ قطر لا تريد استفزاز المملكة العربية السعودية أكثر، وتحاول تجاوز هذه الأزمة بمساعدة تركيا وباكستان". بمعنى أنّ قطر تريد أن تحتفظ بهامش المناورة البراغمية متظاهرة

أنها ما زالت في صف القوة السنية بالمنطقة، ولا تريد أن تكشف عمق تعاونها مع القوى الشيعية السياسية.

كل هذا السيناريو يضع أمام أي مراقب مهتم بتفاصيل المشهد احتمالات "تعاطف" إرهابي متبادل عبر الحدود القطرية الإيرانية، والذي نبتت أولى ثماره في هجوم على صميم المؤسسة السياسية الإيرانية، وقد نشهد هجوماً مثله قريباً يستهدف المؤسسة السياسية والإعلامية والمالية القطرية، وربما كانت دول الخليج والدول العربية الكبرى هي الوحيدة القادرة على فضح هذا "التعاطف" وكشف مشاريعه التي ترتدي غالباً ثياب مشاريع الإسلام السياسي الانتهازية المخربة.

محمود أحمددي نجاد يفجر قنبلة سياسية في إيران

منتقلا من تقاعده وعزلته السياسية فجأة الى واجهة الأحداث، أعلن الرئيس الإيراني السابق محمود احمددي نجاد ترشحه للانتخابات الرئاسية المقبلة، رغم ما عُرف عن معارضة المرشد الأعلى علي خامنئي لهذا الترشح وهو صاحب القدرة الحقيقية في هذا البلد.

صباح الأربعاء (12 نيسان/ أبريل 2017) توجه نجاد إلى وزارة الداخلية وسجل ترشحه بصورة رسمية معلناً في الوقت نفسه أنّ هذا العمل لا يعني أنّه راغب في استعادة المنصب الذي شغله لدورتين رئاسيتين إلا أنه جاء دعماً لترشح حميد بقائي لكرسي الرئاسة، ووقف نجاد أمام عدسات الصحفيين وهو يرفع يد حميد بقائي وعلى وجهه ابتسامته العريضة الشهيرة وهذا بدوره يثير أسئلة عن مدى توافق هذا مع توجهات خامنئي الذي سبق أن أعلن منعه لنجاد من ممارسة السياسة تجنباً لوقوع استقطاب مضر في البلاد عشية ترشح روحاني وآخرين لمنصب الرئاسة عام 2016 في أوج تصاعد أزمة الملف النووي الإيراني وتفاقم الأزمة الاقتصادية التي تسبب بها الحصار الدولي الذي فرض على إيران سنوات طويلة.

وكالعادة، استخدم نجاد لغة مراوغة معلناً بعد ترشحه الأربعاء، أنّ "المرشد الأعلى نصحني بالأشراك في الانتخابات وقبلت ذلك (...). أنا ملتزم بوعدي. إنّ تسجيل ترشيحي يهدف فقط الى دعم ترشيح شقيقي حميد بقائي." كما نقلت عنه وكالة الأنباء الفرنسية وهذه يزيد من غموض الموقف، فإذا كان قد رشح نفسه فهو قد خالف ارادة خامنئي، حتى إذا جاء الترشح لدعم بقائي كما ادعى. وحاول نجاد ازالة هذا اللبس بإعلانه أنّ نصيحة المرشد الأعلى (خامنئي) لا تتضمن منعاً من المنافسة، ولكن منعاً من تولي منصب الرئيس! وهذا يعني بلغة السياسة أنّ نجاد الذي يحظى بشعبية قوية في الريف الإيراني وفي الضاحية الجنوبية الفقيرة من طهران، يريد أن يمضي في المنافسة، ليحصد أصوات مؤيديه، ثم يعلن انسحابه مضيفاً تلك الأصوات الى رصيد حميد بقائي نائبه السابق في منصب الرئاسة.

وكمقدمة لهذه المناورة الانتخابية التي قد لا يقرها قانون الانتخابات الإيرانية أعلن بقائي مؤخراً، أنه لا ينتمي الى أي فريق سياسي، مميّزاً نفسه عن الفريق المحافظ.

وفي حزيران/يونيو 2015، كان بقائي قد أوقف لمدة سبعة اشهر ثم اطلق سراحه بكفالة بسبب نقله أموالا الى خارج البلاد، وقربه من دولة أجنبية استثمر فيها تلك الاموال، كما كشف موقع "تابناك" المقرّب من روحاني.

ولا يملك بقائي حضورا جماهيريا بسبب صغر سنه، وعدم امتلاكه رصيда لدى الرعيل المحافظ الذي شارك في الحرب الإيرانية العراقية، إضافة الى الشكوك الكبيرة التي تحوم حول ذمته المالية، وتوجهاته المعادية علنا للإصلاح، وهو مرشح خرج من أروقة دولة أحمدي نجاد، ومنه يكتسب القوة، وهذا ما عكسته تصريحات أحمدي نجاد نفسه يوم أمس والتي عبّرت عن تضامنه مع بقائي وتأكيد براءته من تهمة الفساد التي نسبت له.

ردود فعل حادة على ترشح نجاد

معصومة ابتكار رئيسة منظمة البيئية (ونائبة الرئيس السابقة) في حوار مع ايسنا قالت "أجندات البعض مكشوفة للجماهير ولأجهزة الرقابة على حد سواء، نأمل أن يراعي الجميع الأخلاق وهي واحدة من أهم أطر الانتخابات".

أما مهدي كوجك زاده وهو نائب سابق في مجلس الشورى، وكان من أشد المدافعين عن نجاد اثناء رئاسته الثانية على وجه الخصوص فقد كتب على انستغرام مخاطبا نجاد " ما قتم به من ترشيح انفسكم لرئاسة الجمهورية يأتي على الضد من الرؤية الحكيمة لإمام المحرومين والمستضعفين والمجاهدين (خامنئي) ... أنت اليوم ظلمت الناس بنفس قدر الظلم الذي وجه اليك وأكثر!".

من جانبه قال حسين كنعاني مقدم عضو جبهة التصدي المقرّب من محسن رضايي لمراسل وكالة ايلنا "هذا عمل انتحاري، لقد ارتدى نجاد حزاما ناسفا ودخل به ميدان الانتخابات". ومضى الى القول "رسالة احمدي نجاد موجهة ضد الثورة، فهي تفيد- اذا كنتم نائمين فنحن صاحون-، وبالنظر لوضوح توصية القائد (خامنئي) ما كان له أن يسجل ترشحه، ففي هذا العمل نوع من التمرد (على ولي الفقيه)".

وفي تغريدة على تويتر قال سعيد ليلاز المحلل السياسي المقرّب من الإصلاحيين " ترشح احمدي نجاد لا يخاطب الإصلاحيين، بل يخاطب السلطة العليا في النظام، ربما تحول نجاد الى بوريس يلتسين إيران".

أحمد نادري رئيس تحرير صحيفة "رجا نيوز" كتب في تغريدة له "نشهد اليوم لعبة معقدة جديدة من جعبة المخابرات الانكليزية في انتخابات عام 1396. مذيلا التغريدة بهاشتاغ #نفوذ#احمدي نجاد.

دوليا، قال أيلي جيرانمايه وهو زميل سياسي في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية في حديث مع سي بي سي نيوز الأمريكية " هذا تحدٍ سافر لما قاله القائد الأعلى علنا وبوضوح، ما فعله محمود احمدي نجاد مدمر، لكن هذا كان دأبه دائما إبان دورته الرئاسية الثانية" في اشارة إلى الأفعال الاستعراضية التي اعتاد نجاد على ممارستها أمام أنظار الناس في محاولة لحرف الرأي العام عن توجهاته الحقيقية ولاستفزاز الخصوم، وهي سياسة دفعت إيران وشعوبها ثمنا باهضا له خلال الحصار الاقتصادي الدولي الذي اسقط قيمة العملة الإيرانية ورفع معدلات التضخم الاقتصادي الى 300 في المائة.

يشار إلى أن المرشحين للرئاسة الإيرانية يجب أن يُصادق عليهم مجلس صيانة الدستور، ومن غير المتوقع أن يصادق المجلس على ترشح نجاد هذه المرة.

بعد رحيله - عائلة رفسنجاني بين السجون والمنافي

بينما ينشغل العالم بالانتخابات الرئاسية في إيران، وصلت لندن عفت مرعشي زوجة السياسي الإيراني الراحل هاشمي رفسنجاني ترافقها كبرى بناته فاطمة، هذا السفر هو جزء من تفاصيل الصراع المشتد في الكواليس على السلطة والمغانم بين أطراف النظام. الصراع في جوهره هو صراع المعممين، او صراع المساجد على السلطة. فالمسجد الايراني العميق، يحرك خيوط الاقتصاد والسياسة بطريقة فذة، لكنها خبيثة.

لم تعلن عائلة رفسنجاني سبب سفر زوجته وابنته المفاجئ إلى لندن صبيحة السادس عشر من نيسان/ ابريل 2017 ، لكنّ العائلة تملك عقارات ومصالح في مدينة الضباب تؤهلها للسفر دون صعوبات، ما أثار اعتراضات وشكوك النظام على مدى عقود. نقلت خبر سفر السيدتين وكالة أنباء تسنيم شبه الرسمية الإيرانية.

فائزة هاشمي ابنة رفسنجاني الصغرى هي من الناشطات السياسيات المعارضات للنظام، وتقضي اليوم ستة أشهر في السجن، إثر الحكم عليها منتصف مارس/ آذار الماضي بالسجن بسبب انتقاداتها المتكررة للنظام على شاشة تلفزيون "در تي في" الذي يبث على الانترنت، وهي المرة الثانية التي تساق فيها فائزة الى السجن بعد إغلاق مجلتها المثيرة للجدل "زن امروز".

وكانت فائزة هاشمي قد سيقّت الى القضاء بعد أن اتهمها الرئيس السابق محمود أحمدني نجاد، و افراد من عائلة رفسنجاني بالتورط في قضايا فساد.

وسبق لمهدي هاشمي نجل رفسنجاني الرابع المثير للجدل، أن غادر إيران هاربا من اتهامات وجهت له، قاصدا لندن، ليقتضي فيها نحو أربع سنوات، وما إن عاد الى الظهور في البلد حتى أحيل الى القضاء وحكم عليه عام 2015 بعد ثماني وعشرين جلسة بالسجن 10 سنوات بتهم الارتنشاء والاختلاس والفساد. كما قضت المحكمة بضربه خمسين جلدة وتغريمه مبلغ 2 مليار تومان (5.200 مليون دولار) كما نقلت وكالة ابناء فارس الرسمية.

وسُمح لمهدي رفسنجاني أن يغادر سجن أيفين حيث يقضي محكوميته ليشارك في مراسم دفن والده، وشوهد هو وأفراد عائلته يحملون نعش هاشمي ويوارونه الثرى، فيما انتظره حراس مسلحون أظهرتهم بوضوح وسائل الإعلام الإيرانية وهم يتحفظون على مشاركته في مراسم التشييع والدفن.

وتشييع في الأوساط المقربة من عائلة رفسنجاني أن زوجته وابنته فاطمة قررتا عدم العودة إلى البلد، خوفا من تعرضهما للمساءلة والعقاب. وقد تعززت الهجمة على عائلة السياسي الثري رفسنجاني بعد وفاته العام الماضي.

رفسنجاني - رمز للإصلاح أم عمامة في بازار الملالي؟

وشخص الكاتب اللبناني علي الأمين في مقال نشرته [صحيفة العرب](#) مرحلة ما بعد رفسنجاني بالقول "بغياب رفسنجاني يمكن القول إن حبل الإصلاح في النظام الإيراني انقطع. الحبل الذي كان يربط بين مبادئ الثورة الإسلامية وبين فرص الانتقال إلى دولة حديثة، أي الإصلاح من داخل التجربة (...). ومع رحيل رفسنجاني يستطيع مرشد الثورة والحرس الثوري التحضير لخلافة خامنئي من دون أي قلق كان رفسنجاني يسببه".

موقع رفسنجاني السياسي اهتز كثيرا بتولي محمود أحمددي نجاد السلطة عام 2009، وحسب مجلة أتلانتيك الأمريكية فقد خسر رفسنجاني موقعه وترشحه للرئاسة أمام الرئيس المحافظ الشعبوي محمود أحمددي نجاد، وقد انتقد رفسنجاني مراراً سياسات نجاد علناً.

ومن خلال شريط فيديو بُث قبل أيام، أجاب نجاد على أسئلة الصحفيين الهجومية المنتقدة محاولاً أسهم النقد علناً إلى خامنئي الذي عطل صلاحيات رئيس الجمهورية، وسيطر على مجلس الأمن القومي وقرارات أجهزة الأمن الأخرى. وسرعان ما جاء رد فعل خامنئي حاسماً قاطعاً، فقد نقلت وكالة "تسنيم" عن لجنة الانتخابات الرئاسية في العشرين من إبريل/ نيسان 2017 أن مجلس تشخيص مصلحة النظام وافق على ترشيح 6 شخصيات فقط لخوض الانتخابات الرئاسية المقبلة، مضيفاً أن الرئيس الإيراني السابق محمود أحمددي نجاد قد استبعد من قائمة المرشحين للانتخابات.

خامنئي وحلم أن يبقى اللاعب الوحيد؟

هذه التفاصيل الخفية تكشف بوضوح عدة جوانب في المشهد السياسي الإيراني منها:

*بوفاة رفسنجاني وتشنت عائلته، ضمن خامنئي خلو الساحة له من منافس خطير كان يرى فيه كثيرون الرجل الأصلح لتولي منصب مرشد الثورة الذي يسعى خامنئي للاحتفاظ به حتى مماته.

*يُحكم علي خامنئي قبضته على السلطة بتصفية كوادر الصف الأول من الساسة الذين صنعوا الجمهورية الإسلامية، والاتهامات جاهزة دائماً ما دامت فضائحهم متعاقبة، وهكذا تخلص من منافسه رفسنجاني الذي تثار ظلال حول ظروف وفاته وتخلص كذلك من نفوذ أفراد عائلته، وعزل محمود احمدي نجاد الشعبوي الصاخب الذي أحرز بخطابه تعاطف الريف الإيراني وأبعده عن الصراع الرئاسي.

*يعمّ الفساد مفاصل الدولة، ويستفيد الساسة من الحصار الدولي الذي فرض على إيران وتداعياته لتعزيز مواردهم الشخصية ودعم مشاريع تضمن نفوذهم خارج مظلة الحرس الثوري .

*يتنامى الصراع بين أطراف النظام، لنيل جزء من السلطة حسبما يتيح الدستور الإيراني، ويبلغ الصراع ذروته بين المعممين الذين يعدون عماد السلطة في هذا البلد.

*تتيح استراتيجية "تصدير الثورة"، التي أعتمدها وأطلقها خميني، وحرص على متابعة تطبيقها بعده علي خامنئي، خلق فضاء متشنج يقترب من إعلان حالة طوارئ دائمة بما يصرف الأنظار عن المشهد المتأزم، كما تتيح لقيادات النظام التصرف شبه المطلق بالأموال العامة لتمير صفقات تحقق لهم موارد شخصية خيالية. يعزز كل ذلك منابر المساجد والحسينيات التي تحرص على إعادة توجيه اهتمام الرأي العام بعيداً عن جزئيات الصراع على السلطة ومغانمها بين أبناء المساجد انفسهم.

*يتيح نظام الانتخابات الرئاسية هامش مناورة للنظام، حيث يسمح للقياديين المناوئين للمرشد-الوارث الأبدي للسلطة- بالتنافس على منصب رئيس الجمهورية المجرد من الصلاحية، وهو متنفس لطموحاتهم السياسية، يخفف الى حد كبير من

الاحتقان، كما أنّ التنافس الانتخابي الذي يجري كل أربع سنوات، يصنع حراكاً سياسياً وهمياً، يشغل الرأي العام المحلي والإقليمي والرأي العام الدولي عن حقائق المشهد.

حضارة إيران التي تتآكل وتصبح عربية

يعلن كثيرون بلا تحفظ أنّ إيران تسعى إلى إحياء امبراطورية فارس ونشر نفوذها على مناطق العالم العربي خصوصاً، وفي هذا الإعلان المجاني سوء فهم تاريخي، بل وجهل شاسع بحقيقة الوضع في جمهورية إيران الإسلامية، فأيران الإسلامية وجمهوريتها الثورية ستذوب في العالم العربي كما ذابت عشرات الأمم فيه تحت راية القرآن و الإسلام . وكلما عززت دولة المعممين العميقة سلطة المساجد وكرست دورها، تباعد الناس بوعيهم عن الانغماس في دوامة الأخونة الإسلامية، التي تعني في النهاية تحويل الهوية الإيرانية إلى هوية عربية.

في اسمها الذي نُصِرَّ عليه دولة ايران، فقدت إيران (وتعني الكلمة أرض الأريين) ثلثي هويتها الفارسية وتحولت الى مجرد "جمهورية إسلامية" أخرى. فحين قامت ثورة الشعب ضد شاه إيران الذي حرص على بناء مجد بهلوي يستلهم المجد الساساني القاجاري، أراد الشعب أن يغادر النظام الملكي إلى نظام جمهوري بأيّ ثمن، وما أن ركب الإسلاميون ظهر الثورة (في سعيهم لاستعادة بعض أنفاس الدولة الصفوية، كما يفعل الإسلاميون الآن في العالم العربي والإسلامي عموماً) حتى سقط الشاه، ووجد الشعب والإسلاميون أنفسهم أمام فراغ سياسي، لا بد من سده، فولدت جمهورية ارتجالية سريعة، سماها روح الله خميني بسرعة " جمهوري اسلامي" مستعيراً المصطلح العربي لملأ الفراغ اللغوي في الفارسية التي لا توجد فيها كلمة تصف النظام الجمهوري إلا الكلمة العربية ، فيما لا يجادل أحد أن كلمة "إسلامية" عربية، وهكذا بات ثلثا العنوان الرسمي للدولة عربياً (جمهوري اسلامي إيران).

اللغة الفارسية بحلتها الإسلامية

قس على ذلك، فإنّ اللغة الرسمية التي سارت عليها الجمهورية الفتية في مؤسساتها الثورية الوليدة نحت في الغالب إلى الفضاء اللغوي العربي لسد الثغرات في اللغة الفارسية التي لم تعرف "مؤسسات ودستور دولة جمهورية إسلامية" من قبل ولم تصنع لها مفردات تناسبها.

واختارت الجمهورية الإسلامية لنفسها دستوراً أسماه المشرعون "قانون اساسي كشور" وهكذا فإنّ ثلثي الوصف للدستور "قانون اساسي" عربي وما تبقى هي كلمة "كشور" وتعني دولة. أما كلمة دستور نفسها فهي كلمة عربية تتردد في الفارسية بمعنى قانون (وإن كانت بعض التفسيرات تقسمها الى جذرين فارسيين "دست" وتعني يد، "ور" وهي تحريف معتاد عن جذر الفعل "أور" ويعني يجني أو يحقق أو يجلب أو ينجز)، لكن هذا بعيد الاحتمال.

ولست بصدد أن أوّس هنا لبحث لغوي متخصص يرصد كل تحولات اللغة الفارسية وذوبانها عبر أربعة عقود من عمر الجمهورية الإسلامية في اللغة العربية إلى درجة أنّ المصطلح الرسمي والسياسي الإيراني بات في خطابه الرسمي يتعامل بنحو 65% بلغة ومصطلحات عربية، فهذا متروك لمراكز الأبحاث المتخصصة بالشأن الإيراني عبر العالم وهي كثيرة (ولكنها مؤسسات غائبة في العالم العربي الذي ما فتئ ساسته يحذرون من التمدد الفارسي في الخليج وغيره!) . لكنني أريد أن أعرض بشكل سريع طيفاً من التغيرات التي يتعامل بها الإيرانيون كل يوم، ومن خلالها فقدوا أغلب هوية اللغة الفارسية الجميلة الثرية بسبب حرص المؤسسة الإسلامية القائمة على السلطة على ترويج المصطلح الإسلامي والذي هو بالتأكيد مصطلح عربي ينتمي غالباً إلى القرون السادس والسابع والثامن ميلادية حيث ولدت الدولة الإسلامية وامتدت وتوسعت.

دستور إيران "قانون اساسي كشور"

سأعرض فيما يلي مدخل الدستور الإيراني "قانون اساسي كشور" ومنه سأصل إلى أفول اللغة الفارسية وتآكلها منهزمة أمام المصطلح العربي الذي يغزو مؤسسات الدولة في الجمهورية الإسلامية حاملاً معه بالطبع آثاراً عربية لا يدركها الإيرانيون في حماسهم منقطع النظير لنشر الجمهورية الإسلامية كما تصورها السيد خميني ربيب الحوزة الشيعية العراقية في النجف.

النصوص :

اصل ١

حکومت ایران جمهوری اسلامی است که ملت ایران، بر اساس اعتقاد دیرینه اش به حکومت حق و عدل قرآن، در پی انقلاب اسلامی پیروز مند.

كلمة "اصل" 1 عربية ولو شاء المشرع الفارسي أن يستفيد من مفردات لغتهم لاستخدم كلمة "رشته" في هذا المكان.

الكلمات العربية في مدخل النص: حكومت، جمهوري، إسلامي، ملت(مله)، اساس، اعتقاد، حق، عدل، قرآني، انقلاب (وتعني بالفارسية الإسلامية ثورة) في هذا السطر ونصف السطر المكون من 21 كلمة، ظهرت 11 كلمة عربية.

اصل ٢

جمهوري اسلامي، نظامي است بر پایه ايمان به:

1. خدای یکتا (لا اله الا الله) و اختصاص حاکمیت و تشريع به او و لزوم تسليم در برابر امر او.

مرة اخرى كلمة أصل 2 عربية، ثم كلمات : جمهوري، اسلامي، نظامي، ايمان، لا إله الا الله، اختصاص، حاکمیت (الحاکمية) ، تشريع، لزوم، تسليم، أمر. كلها عربية وهكذا نجد في سطر ونصف السطر 15 كلمة عربية.

اصل ٣

دولت جمهوري اسلامي ايران موظف است برای نیل به اهداف مذکور در اصل دوم، همه امکانات خود را برای امور زیر به کار برد:

كلمة أصل 3 ، ثم دولت، جمهوري، اسلامي، موظف، نیل، اداف، مذکور، امکانات، امور. كلها كلمات عربية.

أصل ٤

كليه قوانين و مقررات مدني، جزايي، مالي، اقتصادي، اداري، فرهنگي، نظامي، سياسي و غير اينها بايد بر اساس موازين اسلامي باشد.

كلمة أصل 4 عربية ، ثم كلمات (كل)، قوانين، مقررات، مدني، جزايي (جزائي) ، مالي، اقتصادي، اداري، نظامي، سياسي، اساس، موازين، اسلامي. هذه كلها كلمات عربية في سطر ونصف من المدخل إلى هذا الأصل.

اصل ٥

در زمان غیبت حضرت ولی عصر (عجل الله تعالی فرجه)، در جمهوری اسلامی ایران ولایت امر و امامت امت بر عهده فقیه عادل و با تقوی، آگاه به زمان، شجاع، مدیر و مدبر است که طبق اصل یکصد و هفتم عهده‌دار آن می‌گردد.

کلمة أصل 5 مرة أخرى، ثم، زمان، غیبت (غیبة) ولی، عصر، عجل، الله، تعالی، فرجه، جمهوری، اسلامی، ولایة، امر، امامت (امامة) ، امت (امة) ، فقیه، عادل، تقوی، زمان، شجاع، مدیر، مدبر، طبق أصل. کلها کلمات عربیة .

اصل ۶

در جمهوری اسلامی ایران امور کشور باید به اتکاء آراء عمومی اداره شود، از راه انتخابات: انتخاب رئیس جمهور، نمایندگان مجلس شورای اسلامی، اعضای شوراها و نظایر اینها، یا از راه همه‌پرسی در مواردی که در اصول دیگر این قانون معین می‌گردد.

أصل 6 مرة أخرى، ثم جمهوری، اسلامی، امور، اتکاء، آراء، عمومی، إدارة (ادارة)، انتخابات، انتخاب، رئیس، جمهور (الجمهوریة) ، مجلس ، شورای (شوری)، اسلامی، اعضای (اعضاء) ، مواردی (موارد) ، اصول، قانون، معین.

هذه مقدمات 6 أصول فقط من الدستور الإيراني الذي يحتوي على 177 أصلا، فتخیل إلى أي حد اجتاحت اللغة العربية (بمصطلحها القرآني الإسلامي) لغة أرض فارس ونحتها لتحتل مكانها بلا حرب ولا صواريخ ولا غزوات عسكرية.

حرب الجمهورية الإسلامية على نوروز والطقوس الزرادشتية

إذا تأملنا أثر سياسة الأسلمة التي انتهجتها وماتزال الجمهورية الإسلامية في إيران سنجد في المحصلة انحسارا حادا للحضارة الفارسية ولغتها وحتى مواريتها، ففي إيران الإسلامية لا يحبز المسؤولون إحياء عيد نوروز وهو الأساس الذي تحوم حوله حضارة فارس ومن يحيط بها (طاجيكستان، اذربيجان، كردستان بأقسامها الأربعة، أفغانستان، اجزاء من باكستان وغيرها)، ويحاولون جاهدين تحويله الى عيد الربيع (بهار) واضفاء ملامح اسلامية عليه تقصي رمزيته وطقوسه الزرادشتية (النار، والقفز فوق النار، إحياء رسم چهارشنبه سوري، وسفرة هفت

سين التي أضاف إليها إسلاميو إيران القرآن، الاحتفال لمدة 13 يوما بموجب الطقوس الزرادشتية).

ويسعى الإسلاميون في إيران إلى نشر الاحتفال بمواليد الأئمة والمعصومين (من آل الرسول) لتحل محل أيام نوروز الثلاثة عشر، وعيد الشتاء - شب يلدا، وتحويل سال، وجله تموز، و مهرگان، كما يسعون جاهدين إلى تغيير التقويم الفارسي، إلى تقويمهم الجديد الذي يسمونه (هجري شمسي) محاولين محو كل الكلمات الفارسية التي تثبت هذا التقويم. أبرز المحاولات في هذه العجالة هي استخدام كلمة "جمعة" التي وضعها الإسلاميون بديلا لكلمة " آدينة" الفارسية المرتبطة بطقوس العبادة الزرادشتية وتقويمها الزرادشتي الشمسي الناري الذي اسماه الشاه بالتقويم البهلوي.

جمهورية إيران الإسلامية العربية !

هذا التوجه لأسلمة المجتمع يثير حفيظة الفرس في إيران على وجه الخصوص، إذ يرون فيه سياسة تعريب تتبعها حكومة السادة وهم يقولون علناً في كل مكان "إذا كان خميني، وخامنئي وخاتمي من السادة، فهم هاشميو النسب، والهاشميون عرب قرشيون لا شك فيهم، وهكذا فحكمانا هم من العرب الساعين إلى تعريب إيران الفارسية". كما يثير هذا التوجه حفيظة المسلمين من غير الشيعة، وحفيظة غير المسلمين الراضين لأن تكون إيران إسلامية، وحفيظة العلمانيين الراضين للنظام الديني عموماً.

أنهي موضوعي في هذه النقطة، فهو في الحقيقة نواة لبحث جيو سياسي ديموغرافي وبايلنغوست طويل ومفصل لا أملك ما يكفي من الوقت والمال للمضي فيه، لذا انشر هذه العجالة هنا، لعلّ المعنيون يرون فداحة أخطائهم (الجيوسياسية، واللغوية، والحضارية) التي تحدد علاقاتهم بإيران وقد اختارت لها نخبها السياسية الحاكمة لقب "جمهورية إيران الإسلامية".

من أسرار الشتات التركي والشتات الإيراني

العلاقة بين تركيا و أوروبا تحكمها في العادة علاقة تركيا بألمانيا التي تعيش فيها جالية ترك-المانية يصل عديدها الى 4 ملايين نسمة، المهاجرون الأتراك في ألمانيا قضية. في المقابل تضم بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وألمانيا وفرنسا جالية ايرانية يصل عديدها الى 3 ملايين نسمة، لكنها لا تشكل مفصلا في علاقة إيران بالبلدان المذكورة.

تصاعد الموقف بين ألمانيا وتركيا فاعلن هانز- كريستيان شتروبله، عضو اللجنة المعنية بمراقبة أجهزة الاستخبارات الدولية في البوندستاغ الألماني أنّ هناك "أنشطة سرية لا تصدق" للاستخبارات التركية في مراقبة الأتراك". ويرى الساسة الألمان أن الرئيس التركي أردوغان ليس له النظر على وجه الخصوص إلى الأتراك الألمان وإلى عموم الأتراك في العالم مهما اختلفت جنسياتهم باعتبارهم رعاياه.

الإيرانيون في الشتات

يهاجر من الإيرانيين في الغالب سكان الحواضر والمدن، ويقدر عدد الإيرانيين في الشتات 4 إلى 5 ملايين مهاجر (وتحرص السلطات على عدم الكشف عن رسميا عن اعداد المهاجرين حرصا على صورتها في الداخل والخارج). ويشكل سكان المدن في المهجر نحو 80 بالمائة منهم.

في الولايات المتحدة الأمريكية يقدر عدد الإيرانيين المقيمين بنحو مليوني مهاجر يتركزون غالبا في مناطق الساحل الغربي، سان فرانسيسكو، كاليفورنيا، علاوة على ولايات ومدن أمريكية أخرى. أما في المملكة المتحدة فيقدر عدد المقيمين رسميا منهم بأكثر من 100 الف، فيما يقدر عدد المقيمين بشكل غير قانوني بنحو 80 الفاً. أما في ألمانيا فيبلغ عديدهم نحو 120 الفاً. وعلى وجه العموم لا توجد احصائيات نهائية بخصوص عددهم، لكن حركة الهجرة المليونية من الشرق الاوسط، شملتهم ابتداء من عام 2014 لاسيما بعد أن بدأت العقوبات الاقتصادية الغربية رغم تراخيها، تؤثر في الوضع، وبدأ الريال الإيراني يفقد قيمته لكن ببطء، وارتفعت معدلات التضخم بمعدل 30 في المائة، فبدأ ألوف من الإيرانيين واغلبهم

من الشباب سكان ضواحي المدن والأرياف الفقيرة يتجهون إلى أوروبا وعلى وجه الخصوص إلى ألمانيا بحثاً عن ملاذ. شباب وشابات إيران عموماً يهاجرون أولاً بحثاً عن الحرية التي سلبها منهم نظام الماعمين، ويهاجرون ثانياً بحثاً عن فرص عمل.

د. محمد. غ، الطبيب الإيراني المقيم بمدينة كولونيا بألمانيا شرح لنا أن "لفظ لاجئين لا يصح أن يُطلق على الإيرانيين المقيمين في الخارج، فحركة الهجرة التي جرت بعد عام 1979 شملت أصحاب رؤوس الأموال وذوي الشهادات العليا، وأبناء الطبقة الوسطى عموماً، فهاجروا هم وأسرهم وأموالهم، واستقروا في بلاد الغربية واستثمروا وبنوا مستقبلهم بعيداً عن بلد سلبه الآخوندها (الملاي)، إنها هجرة سياسية طبقية بمعنى الكلمة".

" الإيرانيون يرفضون العودة إلى بلدهم ويندمجون أكثر من المطلوب في بلدان المهجر "

المهاجرون الإيرانيون في الشتات بنسبة 90 بالمائة يعيشون رد فعل شديد ضد الدين الإسلامي، والنساء على وجه الخصوص يرفضن الحجاب والتقاليد الإسلامية بشكل قاطع ويتهمن سراً حكومة بلدهن بمحاولة جعل إيران بلداً إسلامياً عربياً، لكنهم مع ذلك يرفضون بشكل قاطع الانخراط في أي نشاط سياسي معارض للسلطة الإيرانية، لأنهم يحرصون بشدة على أن تبقى صلتهم السياسية والأمنية بالنظام لا شائبة عليها، بما يسمح لهم بزيارة بلدهم بشكل مستمر، مقابل هذا الحنين المستمر إلى أرض فارس، تبقى السمة الغالبة على المهاجرين الإيرانيين " أنهم يرفضون نهائياً العودة إلى بلدهم وينمجون أكثر من المطلوب في بلدان المهجر، بمعنى لحد الانسلاخ عن مجتمعهم " كما أكد الصحفي الإيراني الشاب ياسر. ش الذي قدم إلى ألمانيا عام 2009 بعد وقائع ما عرف بالثورة الخضراء في إيران.

أما عن الأموال وحركتها، فالإيرانيون هم أقل المهاجرين تحويلاً لأموالهم إلى بلدهم أو إلى أقاربهم، وبهذا السياق أشار تقرير صدر عن مؤسسة "إيران برس سيرفس" غير الرسمية عام 2006 إلى أن الإيرانيين المهاجرين قد استثمروا 200 إلى 400 مليار دولار في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والصين.

أما في دبي فقدّر التقرير حجم استثمار رؤوس الأموال الإيرانية المهاجرة عام 2006 فحسب بنحو 200 مليار دولار. فيما قدرّ نفس التقدير حجم التحويلات التي أرسلها المهاجرون إلى أسرهم في إيران بحوالا غير رسمية بنحو ملياري دولار. هذه الأرقام تحتاج طبعا إلى تأكيد من جهة محايدة ومختصة.

منذ عام 2014 امتلأت مراكز إيواء اللاجئين في ألمانيا خاصة بمهاجرين قدموا أنفسهم على أنهم "إيرانيون مسيحيون أو زرادشتيين، أو مسلمون غيروا ديانتهم إلى المسيحية، وهربوا من إيران التي تضطهدهم، أو مثليون ومثليات تحكّمهم إيران بالإعدام فطلبوا اللجوء السياسي في ألمانيا حفاظا على حياتهم " وهو ما أكدته آمال ف. المتخصصة في شؤون الرعاية والتعليم في مراكز إيواء اللاجئين بمدينة كوبلنز، مشيرة من طرف خفي إلى أنّ أغلب إدعاءاتهم كاذبة وملفقة لتأمين الحصول على لجوء سياسي. ولكن ما لم تلاحظه السيدة آمال، أنّ كثيرا من هؤلاء المهاجرين ليسوا إيرانيين في حقيقة الأمر، بل هم أفغان أو طاجيك، اتخذوا من هذه الذريعة وسيلة للحصول على لجوء سياسي في ألمانيا لاسيما أنهم يتكلمون الفارسية، لكن من يتقن هذه اللغة يلحظ ببساطة غلظة لهجتم التي تدل على أصولهم. ويعزى سبب ادعاءهم الانتساب إلى إيران أيضا إلى أنّ دولهم مصنفة في أوروبا باعتبارها بلدانا آمنة، ما يعني أنه لا يحق لهم طلب اللجوء الإنساني خاصة في بلدان أوروبا.

الأترك في الشتات

يؤثر الأترك وعددهم يتراوح بين 3 و4 مليون نسمة في الشتات الألماني خاصة على السياسة الألمانية وعلى علاقة تركيا بألمانيا، ولا توجد أرقام نهائية عن حجم التحويلات المالية للأترك المقيمين في ألمانيا إلى ذويهم في تركيا وبالعكس، كما لا تتوفر معلومات منشورة عن حجم الاستثمارات الخاصة بين البلدين على مستوى رأس المال الخاص.

بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا صيف عام 2016، بات الموضوع تحت أنظار الرأي العام بشكل متزايد ويعمل الأترك المقيمون في ألمانيا بشكل خاص في القطاع الخاص كعمال، وفي قطاع الخدمات وخاصة المطاعم، فيما يتجنب رأس المال الألماني الاستثمار في تركيا، لكن عددا كبيرا من أصحاب رؤوس الأموال الترك يستثمرون في ألمانيا، كما يستثمرون مدخراتهم في تركيا.

إحصاءات معهد سياسات الهجرة MPI تشير إلى أنّ نحو ثلثي الأتراك العاملين في ألمانيا، يملكون بيوتا ومبانٍ خاصة بهم في قراهم ومدنهم التركية التي هاجروا منها إلى ألمانيا، كما أنّ أغلب المتقاعدين الأتراك في ألمانيا وعبر العالم، يفضلون العودة إلى تركيا بعد دخولهم مرحلة التقاعد، مستفيدين من فروق العملة ليعيشوا حياة مرفهة في بلدهم برواتب تقاعدية كبيرة مقارنة بمستوى الدخل الفردي التركي.

الملفت للنظر أنّ المهاجرين الأتراك لا يعتبرون أنفسهم قط ألمانا أو أمريكيين أو بلجيك أو فرنسيين رغم اكتسابهم الجنسية في بلد المهجر، بل يُعرّفون أنفسهم باعتبارهم تركاً مقيمين في بلدان الشتات، وهذا يسبب لهم غالبا مشكلات كبرى في الاندماج في بلدان الهجرة. إلا أنهم عموما يبقون يحنون إلى العودة إلى موطنهم ويفعلون ذلك، وتكشف تقارير معهد سياسات الهجرة MPI أنّ عام 2010 يعد نقطة بداية في تحول مسار الهجرة، حيث بدأ كثير من الأتراك عبر العالم بالعودة إلى تركيا لتوظيف مدخراتهم في "الربيع الاقتصادي" الذي تحقق في تلك الفترة في تركيا.

" أبناء المتروبوليتان التركية يأنفون من الهجرة إلى أوروبا "

من الناحية الاجتماعية، يلحظ المراقب بسهولة أنّ 90 في المائة من الأتراك المهاجرين عبر العالم هم أبناء المناطق الريفية، ويهاجرون بحثا عن فرص العمل والأجور المرتفعة، بمعنى أنّه لا وجود لقضية سياسية تدفعهم للهجرة. وفي ألمانيا يشكل أبناء الأناضول نحو 70 في المائة من الجالية التركية المتجنسة أو المقيمة في هذا البلد. وهذا يفسر ظاهرة الانتماء القلق لهم، فالريفيون عموما والفلاحون بوجه خاص أكثر ارتباطا بموطنهم وأرضهم من سكان الحواضر والمدن، ولعل هذا يفسر قلة عدد حملة الشهادات وذوي الكفاءات بين المهاجرين الأتراك إلى ألمانيا خاصة والعالم بوجه عام. الصحفية التركية المقيمة في ألمانيا نازك ي. تحدثت بهمس خجول مؤكدة أنّ "أبناء المتروبوليتان التركية يأنفون من الهجرة إلى أوروبا، ويعدّون بلدهم أرفع مكانا من المصير الذي يلقاه التركي في بلدان أوروبا وخاصة ألمانيا". ورغم أن نازك تعمل في شبكة تلفزة ألمانية مرموقة وتتقاضى أجرا يتفوق على مثيله التركي بخمسة أضعاف على الأقل إلا أنها تؤكد

رغبتها في العودة إلى بلدها "بمحض أن تتراجع سلطة الإسلاميين في انقرة،
وتعود تركيا إلى محيطها الأوروبي كشريك وليس كخصم" حسب وصفها.

مذكرات عراقي في إيران في تسعينات القرن العشرين كما رواها لاحقاً

في 29 آذار/ مارس 1991 عبرت الحدود من العراق الذي لم يكن قط بلداً يروقني الى إيران التي لم أفكر قط أن أحبها واتخذها سكناً. عبرت الحدود دون جواز سفر.

كل ما عندي نزعته على الحدود، وكانت غرفة جندي صغير في فوج يحمل اسم موسى الكاظم على قمة جبل مقابلة لقمة جبل عراقية تطل على حوض بنجوين اول مأوى ألوذ به . الغرفة المبنية في حوض جبل لها جدار موشح بصورة لرجل إيران الجديد (آنذاك) خامنئي. بقيت طيلة الليلة الأولى أتأمل شكل المعمم بابتسامته الغامضة والذي سوف استظل بسلطته لزمان قادم لا أدري حتام يستمر.

أول تجربة لي مع الابتسامة الغامضة الإيرانية كانت مع رجل اسمه محمد كاظمي مسؤول مكتب الأمن (اطلاعات مريوان) في مركز التدريب العسكري بمدينة مريوان. دخل الرجل إلى المركز الذي جمع فيه نحو 500 عراقياً لجأوا إلى إيران في تلك الأيام ضمن ما عُرف بالانتفاضة وهو يقود سيارة تويوتا مسروقة من الكويت، استخدمها الجيش العراقي ووصلت بطريقة ما إلى الرجل الإيراني الغامض. ونجح بابتسامته المعلقة فوق لحيته الغامضة في إقناع جمع الثائرين على صدام الهاربين إلى إيران في أن يسلموا كل ما عندهم قبل نقلهم إلى مركز إيواء اللاجئين في مدينة كرج جنوب طهران العاصمة.

تعلمت الدرس المر من الكاظمي الملتحي الباسم، لا تصدق أبدا ما يقوله أيّ موظف حكومي إيراني، فهو يقول ما لا يعني، ويبتسم حين يكشر عن أنيابه، ويعبس حين يمعن التفكير. وإذا منحك شيئاً فهو مقدمة لكارثة ستصيبك، ويريد أن يبرئ ضميره منها مقدماً.

رست بي سفينة اللجوء ممزقة الأشرعة إلى مخيم إبراهيم آباد الواقع شمال مدينة أراك وسط إيران. معي في المخيم نحو 300 عائلة من مختلف عشائر جنوب العراق، هربوا وأسره من بطش قوات الحرس الجمهوري التي هاجمت مدن الجنوب المنتفضة.

الرزق ضيق، والعراقي ممنوع من كل شيء

لا يحق للاجئ في إيران العمل المحترم لأنه ينافس الإيرانيين في رزقهم الضيق، ولا يحق له الاختلاط بالمجتمع الإيراني، ولا يجوز له الدراسة في الجامعات والمعاهد الإيرانية ولا يحق لأبنائه الدراسة في المدارس الإيرانية. والأغرب لا يحق له الزواج من امرأة إيرانية والعكس صحيح.

هربت من المخيم الذي تحمه قوة العشائر البدائية، وقوة الأمن (اطلاعات) التي يوجد ممثل عنها في كل مخيم، وقوة المسجد والمعممين العمياء التي تسود المشهد وتمعن في تعتيمة، لأعيش مشرداً لا أحمل مستمسكاً قانونياً في أروقة مدينة قم باحثاً عن عمل لن أجده سوى في المؤسسة الدينية. كعراقي أمامك طريقان:

الأول، أنتكون جزءاً من أحزاب المعارضة الشيعية العراقية (حزب الدعوة، المجلس الأعلى للثورة الإسلامية "بدر" ، منظمة العمل الإسلامي) وقد تغيرت تشكيلات وتسمية المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وانقسم إلى المجلس الإسلامي الأعلى، الذي يقوده آل الحكيم، وإلى منظمة بدر وعدت حزبا شيعيا جديدا لتناسب التنسيق مع الوضع العراقي الذي قاده أمريكا من عام 2003 حتى انسحاب قواتها من العراق عام 2011.

الخيار الثاني المعروف هو أن تعمل في المؤسسات الدينية العراقية وهي بالعشرات تنتشر في مدينة قم وقليل منها في مدينة مشهد، وترتبط بالمرجعيات الشيعية النجفية والكربلائية.

القلة التي تخرج عن هذين الخيارين تعمل مع أجهزة الأمن (اطلاعات) ومع مكاتب المخابرات الإيرانية الكبرى الأربعة المعروفة آنذاك وهي: قراركاه رمضان، قراركاه الحمزة سيد الشهداء، وقراركاه خاتم الانبياء، وقراركاه عاشورا.

زنزانات الصمت أو ثكنات السباه !

كان بعض العراقيين يختفون فجأة دون أثر، وعرفنا لاحقاً أنهم أما يُجندون لصالح أجهزة الأمن حسب مستويات ولائهم (ولا يُنظر بجدية إلى كفاءاتهم، فالولاء لخط ولاية الفقيه فوق كل شيء) ، أو يُعتقلون في سجن ايفين أو في الستاد المشترك (مقر العمليات المشتركة) بتهم مختلفة غالباً تتعلق بالتجسس على النظام، أو مناصبته العدا (دوشمن جمهورى اسلامى ايران است) ! ويسجنون في زننازين

منفردة يقضون فيها شهورا طوال، ويستبعدوا بعدها إلى العراق ليوажها مصيراً مجهولاً.

ثم عرفنا بأن أسلوب التعذيب المتّبع والذي لا يترك أثراً هو الصمت، زنزانة الصمت حيث لا يجوز للمعتقل أن يفتح فمه، فتذوي أوتار حنجرته ولا يعود قادراً على الكلام. وهناك من تحدث عن معتقلين منذ 20 سنة في زنزانات الصمت لم يعودوا يدركون الفرق بين السنين والفصول ولا يعرفون كم بلغوا من العمر.

في هذه العجالة كيف لي أن أوجز قصة 13 عاماً من الخوف والحزن والبكاء والعيول على من قتلوا قبل 1400 عام دون أن يحق لي البكاء على ما جرى لي. كنت أرى أبناء العراقيين يفقدون الأمل فيتطوعون للعمل كمقاتلين في صفوف السباه أو الباسدران ليقاتلوا في أراضٍ بعيدة دفاعاً عن عقيدة غامضة ترتبط بالابتسامات العالقة فوق لحي المعممين.

اكتشفت خلال كل سنين العذاب أكلوبة "الإيرانيون يحبون شيعة العراق" بالعكس، فهم يرون أنّ فارس هي أرض التشيع، ويرون شيعة العرب بمجملهم غير متدينين وكذّابين ومنافقين، وإذا خضت مع أحدهم نقاشاً وأفحمته بأنّ النجف هي أرض التشيع لأن عاصمة خلافة علي كانت الكوفة والنجف عراقية يقول لك، ولكن النجف (الكوفة) هي من غدرت بالإمام علي وقتلته، وأهل الكوفة هم من عاهدوا الإمام الحسين وغدروا به فقتله الجيش الأموي.

كل إيران كانت سجنًا، يعتقل الإيرانيين داخل مساجد الدولة العميقة التي تمثل مفاصل وعيون السلطة المعجمة العمياء، ويعتقل العراقيين الذين خُيروا بين الولاء للجمهورية الإسلامية وخط الولاية وما حولها من أحزاب المعارضة العراقية، وبين العيش مهمشين على دخل شهري لا يتجاوز 60 دولاراً في الشهر!! وبين التهديد بإعادتهم إلى نظام صدام حسين الذي كان سيفتك بهم بالتأكد.

أما سؤالك ماهي أجمل لحظة لي في إيران فجوابي هو: لحظة مشهد الهجوم على برج التجارة العالمي في نيويورك وعلى مبنى البنّاغون في 11 سبتمبر 2001، حيث شعرت من لغة الإعلام الإيراني والعراقي آنذاك أنّ لهما يداً طولى فيما جرى، وكنت متيقناً أنّ ساعة اسقاط نظام صدام والنظام الإسلامي في إيران قد أزفت بعد أن انتهت مرحلة سياسة الاحتواء الأمريكية الغربية المتفق عليها. لذا

فإنّ عمليات تحرير العراق عام 2003 لم تكن مفاجئة، واسقاط نظام صدام حسين هو الذي فتح أبواب السجن الإيراني مترامي الأطراف فعاد عشرات ألوف العراقيين إلى الحرية، وأفلت مئات ألوف الأفغان إلى العالم الاوسع. ما تبقى هو لحظة اسقاط نظام إيران، متى تحين ؟

القصة كما رواها قاسم المرشدي، اعلامي عراقي لجأ الى إيران في تسعينات القرن العشرين

لا تخلو تجربة الهجرة لدولة ذات تاريخ وحضارة من فائدة، وإيران فتحت ابوابها للعراقيين الهاربين من نظام صدام حسين دون شروط، أو طلب فيزا، وفي نفس الوقت إيران لم تسمح للعراقي بحق العمل القانوني والدراسة أو التملك والزواج والإرتباط القانوني بمواطنة إيرانية ولهذا وجدنا الالاف العراقيين الذين هاجروا لإيران بعد أن مسهم ضر نظام صدام حسين يفكرون بالهجرة منها بحثا عن مستقبل واضح وآمن لأبنائهم الذين حرموا من التعليم والدراسة باللغة العربية، ففي إيران لا توجد مدرسة ابتدائية مرتبطة بالنظام التعليمي بعهد صدام حسين أو بعهد من جاءت بهم أمريكا للسلطة عام 2003 وأغلبهم كان يُقيم في ايران .وبالتالي لا يمكن لإيران أن تكون بلدا بديلاً للوطن الطارد وهنا الحديث عن العراق.

إيران كما عرفها سلام النهير، لبناني مقيم في بيروت

هذا فصل غير سياسي، رغم أنّ عنوانه يبدو كذلك، هو دردشة مع صديق اتخذ لنفسه اسم سلام النهير خوفا من السلطة الشيعية الايرانية في لبنان.

أنا لست شيعيا ولكني كبرت قريبا جدا من الشيعة وأعرفهم كما أعرف أهل بيتي، وبما أنني لبناني فإنّ الخوف من حزب الله يمنعني أن أضع أسمى الصريح الذي يعرفه كثيرون.

ما إن اهتز العالم العربي بعد غزو صدام والعراق للكويت عام 1990، حتى ظهرت الى السطح مسألة باتت تعرف بالمسألة الشيعية، ولكي لا نذهب بعيدا في السياسة، فإنّ المعروف عن الشيعة أشياء متداولة رأيناها في كل مكان منذ انتصرت ثورة المعممين في إيران لتقوم دولة الملالي، هل الجمهورية الإسلامية في ايران تمثل الشيعة؟

لست أرى ذلك إلا في بعض الأحيان، فالقيمة والرز الأبيض والهريسة (حليم) وشيلان الزهرة ، قواسم مشتركة لشيعة المنطقة، ولا أعرف كيف تطور هذا الحس لكن للتشيع علامات يسميها المتدينون "الوشم في الجبين ، والتختم (لبس الخاتم) في اليمين، وصلاة الأربعين" ، ولا أريد أن أقلب الموضوع إلى دردشة فقهية، بل أسأل صديقي منصور عن الشيعة الذين عاشوا معه في زيارته التجارية إلى أرض العراق قبل أن تقوم فيه نصف دولة الشيعة !

منصور حنون، لبناني من شيعة الجنوب، عرفته على فيسبوك، وتحدثنا طويلا عن حسن نصر الله، وكان غالبا يقول لي إن السيد نصر الله يريد جمهورية اسلامية في لبنان على غرار إيران، وليس على غرار العراق. ولهذا فإن شوارع البقاع ومدنه تمتلئ بصور خامنئي وصور خميني وتخلو من صور المرجعيات النجفية وهي الأصل في التشيع.

إيران والعراق في الطعام واللطم

وقفت معه (مع منصور) في حوار منتصف عاشوراء مرة (على مسنجر فيسبوك خوفاً من عيون الحاسدين!) متسائلا عما يميز شيعة العراق عن شيعة إيران، فقال لي إن السيد (حسن نصر الله) يرى شيعة العراق متخصصين في اللطم على الرؤوس والصدور دون أن يضبطوا ايقاع اللطم، أما شيعة إيران فهم الأقرب إلى الشيعة الأصلاء لأن لطمهم متناسق مع الردة الحزينة. وعند سؤاله ماذا يعني بالشيعة الأصلاء قال "إنهم حلويون" أي يحبون الحلوى، ولكن شيعة العراق يحبون الحلوى أيضا، وخاصة الدهين النجفي الشهير، والزرده المحلاة بالزعفران ذات الأصل الإيراني ! فنفي أن تكون الصلة طاغية لدرجة مفيدة.

قصتهم مع آل البيت

اجتماعياً، الشيعة جزء من الخارطة البشرية الطبيعية للتنوع المذهبي، وليس في خصائصهم خوارق تميزهم عن غيرهم ، لكن النخب فيهم تحاول أن تضع ثوابت، وتجعلها موروثية.

فهم يحبون آل البيت كما يرددون دائما، وهذا ليس امتيازاً لهم على السنة، لأن السنة أيضا في الغالب يحبون آل البيت، ويرون ان قائم آل محمد المهدي المنتظر

سيظهر منهم، أصل الخلاف أنّ السنة يرون المهدي لم يلد بعد، والشيعية يرونه مختبئاً في الغيبة الكبرى في سرداب سامراء الذي غاب فيه قبل 13 قرناً.

واجتماعياً أيضاً، يتزاوج الشيعة بالسنة بلا مشكلات، وخاصة أنّ الشيعة في أغلب البلدان الإسلامية هم أقلية، وبالتالي فهم مضطرون للتزاوج مع الأقوام الأخرى (حتى إذا كانت سنية) وهذا لا يضير أحداً، بل يساعد في تنويع النسل ويخفف من التوتر السياسي والتشنج الطائفي.

شيعة البحرين

تقول مديحة مطر وهي مدرسة مصرية عملت في مدرسة ثانوية بالمنامة واختلطت بشيعة البحرين " لم أجدهم يختلفون عن غيرهم، لكن من صفاتهم أنهم أكثر عاطفية، وأقرب إلى الحنين من السنة المتصلبين، وأقرب إلى الأقليات وقبولها من السنة، ولكنهم يجاملون السنة في كل مكان خوفاً منهم، فلطالما قتلوهم ونكلوا بهم وجعلوا منهم مواطنين من الدرجة الثانية في بلدانهم". وتمضي السيدة مطر التي تضع على رأسها شالا خفيفاً رقيقاً على الطريقة الطهرانية البحرانية " تشيع بين البحارنة طبخة الشبزي، وهي تتكون من خضروات متنوعة مقطعة بشكل ناعم جداً، ولوبيا حمراء كبيرة، ويضاف إليها لحم عجل بكميات تخلو من العظم، وتؤكل الوجبة مع الرز الأبيض، ويتندر عليها سنة البحرين بالقول إنها تسبب الإدمان الشيعي والتحول إلى التشيع!! ولكن هذا ينبئ عن توجهات سنة البحرين الطائفية المتخوفة من الأغلبية الشيعية في هذا البلد".

لكن حقيقة الأمر أنّ شيعة البحرين وعموم الشيعة يحفظون حقوق المرأة، ويقال إن التشريعات الشيعية تعطي حصة أكبر من الميراث للزوجة والأبنة والأم، كما يقال إن هذه التشريعات تضمن حقوق طلاق المرأة إذا اختلفت مع زوجها، وعلى العموم يقوم مذهب التشيع أصلاً على الانتساب إلى أئمة آل البيت الاثني عشر، وهم أحفاد فاطمة بنت الرسول الوحيدة، وبالتالي فهم يحاولون أن يثبتوا النسب إلى المؤنث وهذا يسجل لهم لا عليهم. (انتهى فصل اعترافات سلام النهير).

اليهود والشيعة

رغم أن حكومة إيران الشيعية ما برحت تعرض الناس في المساجد منذ 40 عاماً عبر الهتاف الشهير "مرك بر اسرائيل" أي "الموت لإسرائيل" لكنها لم تدخل مع إسرائيل في أي مواجهة، والإيرانيون عموماً لا يعادون اليهود، إلا إرضاء لقيادتهم الملائية، أما الإيرانيون في المنفى وعددهم نحو 4 ملايين نسمة، فهم في الغالب الساحق مع دولة إسرائيل، ولهم صداقات عديدة مع اليهود في كل مكان.

سألت صديق يهودي معي على فيسبوك، كيف يرى اليهود الشيعة، وذلك من خبرته كيهودي غادر العراق مع وصول البعثيين إلى السلطة عام 1968 وبعد أن أعدم البعثيون أقاربه في البصرة بتهمة التجسس.

قال وهو يحاول أن يكتب بلغة فصحي تخلو من الأخطاء " كانوا معنا، في بيوتنا، وقرب محلاتنا، ولم نكن نميزهم إلا في تعازي عاشوراء، حيث يرفع بعضهم رايات سوداء فوق بيوتهم، ويذبحون الخرفان ويوزعون اللحم والهريسة والقيمة والتمن (الرز) على الناس" ويمضي وتأس داوود البصري إلى القول " عرفناهم من خبز العباس المحلى بالسكر المذاب بالسمن الحر، ومن شيلان الزهراء الذي يوزعونه في ميلاد الزهراء . هذا الكلام اجتماعياً عنهم، أما ما سمعناه عن رجال الدين الشيعة في الحسينيات والجوامع، فهو انهم كانوا وما زالوا يحرصون على قتل اليهود، وربما كان هذا بسبب تأثيرات السياسة عليهم... الشيعة كما لمست يخافون السنة ويجاملونهم في كل مكان، وربما تغير هذا الوضع بعد قيام دولة إيران التي يرى فيها البعض عزاً للشيعة ودولة لهم".

من بغداد عاصفة تلف طهران

تشابك العلاقات بين إيران وبين العراق يحمل أثرا متبادلا على الأوضاع في البلدين. ما حدث في إيران عشية انتخابات الرئاسة عام 2009 بدأت تطويه صفحات النسيان.

لم تعد أجهزة الإعلام الدولية تضع في أولوياتها الصراع على السلطة في إيران، كما لم تعد المحافل السياسية تطلب من مراكز الأبحاث المتخصصة (وهي الأروقة الخلفية لهذه المحافل) أن تزودها بتقارير آنية وسريعة عن الوضع في طهران (وبقدر أقل في باقي المدن الإيرانية)، فنتيجة الانتخابات التي حسمت (بغض النظر عن الاعتراضات) لصالح الرئيس محمود أحمدني نجاد وضعت حدا لجدل اكتسى بالدماء بين المتنافسين. ويبقى للمحللين أن يتأملوا فيما جرى ليستخلصوا منه درساً قد يسلط الضوء على الأوضاع في المنطقة.

الثابت الذي تغير

في الثاني عشر من حزيران يونيو 2009 خاض المرشحون الإسلاميون في إيران بقطبهم التقليديين (المحافظون والإصلاحيون) غمار انتخابات رئاسية كانت ستنتهي كما انتهت سابقتها على مدى ثلاثين عاما بفوز أحد الجناحين دون ضجيج يذكر، لكن لم تجري الرياح كما شاء الربابنة، فهناك قوى تعمل في الخفاء لتخرج عن ثوابت السياسة الإيرانية منذ سقوط الشاه في عام 1979.

وللمرء أن يتساءل لم لا يكون هذا التحول صدى لما جرى في العراق؟ لم لا تكون إيران قد بدأت تصاب بعدوى الديمقراطية العراقية؟ الإيرانيون يشاهدون ما يجري في العراق منذ ستة أعوام من خلال عيون خمسة آلاف زائر إيراني يدخلون العراق يوميا لزيارة العتبات المقدسة. هؤلاء الزوار الذين تتحدد حركتهم رسميا باحتجاز جوازات سفرهم عند منظمي الزيارة (الحملة داريه) ومن خلال اجبارهم على الاكتفاء بزيارة العتبات المقدسة كربلاء والنجف وسامراء وبغداد، يشاهدون عن كثب ما يجري في العراق حيث يمرون كل يوم من تحت أنظار القوات الأمريكية المنتشرة في كل مكان دون أن تمسهم بأذى ودون أن تبدي هذه القوات أي رد فعل تجاه الهتاف الجماهيري الذي يسود إيران منذ ثلاثين عاما (مرك بر امريكا- الموت لأمريكا)، وهذا يبدد ادعاءات حكومتهم التي تردد منذ الأزل أن

الأمريكيين هم أعداء الشعب الإيراني. الإيرانيون (وعدد كبير منهم يفهم اللغة العربية) يفهمون ما تعرضه التلفزة العراقية بحرية كاملة وهي تشتم الحكومة أو تمدحها أو تنتقدها أو حتى تحرض عليها، دون أن ينتاب تلك الحكومة أي غضب يدفعها لأغلاق تلك المحطات واعتقال العاملين فيها.

المدن الإيرانية القريبة من الحدود العراقية ترى في الفضائيات العراقية من الأفلام والأغاني ما لا تحلم أن تراه على شاشات التلفزة الإيرانية المملة التي سئم الناس ثورتها المزمنة على مدى أربعين عاماً .

يمكن لأيّ عراقي أن يزور إيران خلال يوم واحد إذا دفع أربعين دولاراً ثمن التأشيرة "السريعة" ، فيما يلزم الإيراني الذي يروم زيارة العراق أن يسجل اسمه في قوائم وزارة الحج والزيارة وينتظر دوره لمدة قد تصل إلى عام كامل.

يجد الإيرانيون الذين يزورون العراق كل ما يشتهونه من بضائع من مختلف المناشئ في السوق العراقي الفقير، فيما يتعذر عليهم أن يجدوا في أسواق بلادهم بضائع غير إيرانية (وإن كان هذا من الناحية الاقتصادية قد يسجل لصالح الصناعة الإيرانية ولصالح سياسة الحماية التي تنتهجها الدولة لحمايتها).

ويمكن لمن يدرس الوضع في إيران أن يسترسل في ذكر الأمثلة والشواهد على ما نذهب إليه، لكن المقام يضيق هنا عن ذلك.

النفوذ المرتد

عشية الحرب التي خاضها التحالف الدولي ضد حكومة صدام حسين في العراق، لم تعترض إيران علناً على قرارات المجتمع الدولي والتحالف الذي قاده إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش لشن تلك الحرب بالرغم من إعلان بوش الشهير الذي سمى فيه دول محور الشر والتي تضمنت إيران كإحدى أبرز الأهداف التالية للرئيس الأمريكي، (وربما وصلت الحرب على الإرهاب في محطاتها الثالثة إلى إيران بعد أن اسقطت الولايات المتحدة الأمريكية نظام طالبان في أفغانستان في محطاتها الأولى، و نظام صدام حسين في العراق في محطاتها الثانية). وكان الرضا الإيراني الضمني على عمليات "تحرير العراق" يجد تبريراً منطقياً له في حقيقة تاريخية مفادها أنّ خطر الجار الذي حارب إيران (بالنيابة عن العرب) ثمانية أعوام أكبر بكثير من خطر حرب محتملة قد تشنها إدارة الرئيس بوش على

الجمهورية الإسلامية وقد تخضع لاحتمالات الخطأ والصواب واعتبارات التوازن الدولي الذي تحدده في الغالب مصالح لاعبين دوليين كبار (فرنسا والصين وروسيا) وهو ما راهنت عليه طهران منذ انعقاد مؤتمر المعارضة العراقية في لندن عام 2002 الذي كان أعلى صوت فيه للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (لاحقاً المجلس الإسلامي الأعلى) والذي تدعمه إيران بشكل مطلق.

بعد سقوط حكومة صدام حسين في 9 نيسان 2003 ، شهدت الساحة العراقية حضوراً إيرانياً ملفتاً للنظر، وهو حضور تنبأ به الخبراء في الشأن العراقي، إلا أنه بقي بعيداً عن تصورات الإدارة الأمريكية، كما لم يكن في حسابات القوى السياسية العلمانية التي شاءت أن تجبر ما قام به التحالف الدولي لصالحها، متناسية انقطاعها وغيابها التام عن القاعدة الجماهيرية في العراق.

وفيما انهمك منظرو السياسة الأمريكية في واشنطن بطرح تصوراتهم عن النموذج العراقي الديمقراطي الذي سيكون رائد التغيير في المنطقة ، تمدد النفوذ الإيراني في أروقة السياسة العراقية مرورا بالسوق الفقير الذي أنهكه الحصار الاقتصادي فوجد في البضائع الإيرانية الرخيصة التي تدفقت عليه منفاً يسع الناس أن يتنفسوا من خلاله قيمة الارتفاع الكبير الذي سجله الدينار العراقي بإصداره الجديد، وقد عزز ذلك الثبات الذي ساد أسواق صرف وتبادل العملات رغم صغرها .

ونجح الساسة الإيرانيون في تبيد الحلم الأمريكي بجعل العراق قاعدة لنشر الديمقراطية في المنطقة، وكان هذا النجاح يستمد عناصره في الغالب من تحالف طهران مع أكثر من لاعب في الساحة العراقية (بما في ذلك لاعبون من الفريق الخصم) ومن قيامها بتوزيع الدعم اليومي لحلفاء الولايات المتحدة المرشحين وأعدائها اللدودين بقدر يجعل جميع الجسور أمامها مفتوحة (وهي لعبة يتقنها ساسة الجمهورية الإيرانية وشاهد نجاحهم يتجلى في أفغانستان وحزب الله وحماس) ، وبذا صار همّ القوة الكبرى أن تحقق توازناً معقولاً يعفيها من التزامات حضور مكلف ومستمر في الساحة العراقية المتفجرة.

وحسمت الحرب الطائفية التي اجتاحت العراق بين عامي 2006 و2007 الجولة لصالح إيران، وتعزز ذلك باقتراب نهاية الولاية الرئاسية الثانية لجورج بوش دون أن ينجح في نقل المعركة إلى أرض الخصم الإيراني اللدود الذي كان بوش قد

تعجّل ووضعه على قائمة "دول محور الشر" بعد اعتداءات الحادي عشر من
سبتمبر عام 2001.

الدومينو؟

تغيرت المعادلة السياسية الدولية بوصول الرئيس "الديمقراطي" باراك اوباما الى
البيت الابيض، لاسيما وانه قد وضع (الانسحاب من العراق) في أولويات حملته
الانتخابية، وتناقست الأوراق التي يمكن أن تلعبها إيران في العراق حين بدأت
الولايات المتحدة بوضع وتنفيذ خطط الانسحاب من هذا البلد، وعزز ذلك سياسة
الانفتاح والتسامح التي تبناها اوباما في تعامله مع الملف الإيراني.

ويبدو أن مبدأ الدومينو الذي حاولت كلُّ من إيران والولايات المتحدة الأمريكية أن
تفعلانه باتجاهات متقاطعة قد انعكس مرتداً على إيران بعد ستة أشهر من وصول
الرئيس الأمريكي اوباما الى السلطة. فها هي القوى السياسية التي كانت محسوبة
على قيادات السلطة الإيرانية واحتلت لأوقات طويلة مقاعد الصف الأول في
تشكيلاتها السياسية قد أعلنت تمرداً على ثوابت حكم ولاية الفقيه، وها هو
الشارع الإيراني الذي قبل لثلاثة عقود أن يكون تحركه السياسي تحت مظلة ثوابت
الدولة الدينية قد تململ وتفجر، فهل خرجت اللعبة عن سيطرة اللاعبين؟

ما يجري في الساحة الإيرانية قد يكون عاصفة هبت من العراق منذ ستة أعوام
لتصل طهران عشية انتخابات الرئاسة الجديدة، ولعل العاصفة الترابية التي هبت
من العراق فضربت طهران وأجبرت الحكومة على تعطيل العمل فيها لمدة يومين
تحمل أكثر من مجرد دلالة التأثير المناخي فتتخذ شكل الرمز الشاخص في تأريخ
متشابك بين البلدين على مدى العصور.

القيادات الشيعية نتاج المساجد العميقة

تمثل ظاهرة صناعة الزعماء الشيعة جزءاً من أبرز تطبيقات مبدأ تصدير الثورة، والذي يتم عادة في المساجد والحسينيات الإيرانية. والأمثلة على ذلك كثيرة، وأبرزها على الساحة العربية، حسن نصر الله في لبنان، ومقتدى الصدر وعمار الحكيم وقيس الخزعلي في العراق، وبدر الدين الحوثي مؤسس حركة أنصار الله في اليمن، والشيخ نمر النمر في السعودية والشيخ عيسى أحمد قاسم الذي يعد المرشد الشيعي الأعلى في البحرين. وهناك زعامات شيعية من صناعة إيرانية في أفريقيا، وخصوصاً في مناطق وسط أفريقيا، لكنها ما تزال شخصيات مغمورة، تغطي عليها الشخصيات السلفية والداعشية في حركات الشباب، وبوكو حرام الارهابية.

مقتدى الصدر- نسخة عراقية لصناعة مسجدية إيرانية

في العراق برز مقتدى الصدر بعد سقوط النظام السياسي في العراق في عام 2003 متكبناً على تاريخ أسرته العريق في خط المرجعيات الشيعية، وأصبح زعيماً جماهيرياً تؤيده أعداد كبيرة من شيعة العراق. وتكمن قوته في قدرته على تحريك الشارع رغم تقلب مواقفه السياسية.

ظهر مقتدى الصدر من المجهول يوم 10 نيسان 2003، حيث كان أول انجازاته هو قيادته لهجوم نفذه خمسة عشر معمماً وتسعة عشر قاتلاً بالبنادق والمسدسات والخناجر والسيوف والسكاكين على عبد المجيد الخوئي، نجل المرجع الشيعي الأسبق السيد الخوئي في ضريح الإمام علي في النجف، لأن القيادة الامريكية البريطانية اختارته ليقود شيعة العراق بعد سقوط صدام اعتماداً على إرث أبيه.

هذه الواقعة التي تمثل صفحة من التنافس الدموي على السلطة بين المرجعيات الدينية في العالم الشيعي وخاصة في معقله الأصلي، مدينة النجف، وضعت مقتدى الصدر بدعم من بضع شخصيات قبلية وعائلية غير معروفة على المستوى الحوزوي في الواجهة فبات المعمم قليل التحصيل قائداً للملايين، مستفيداً من سمعة أبيه السيد محمد صادق الصدر، الذي أمّ صلاة ملايين الشيعة في الكوفة والنجف في تسعينات القرن العشرين.

قائد الصدف وصناعة الكواليس الإيرانية

الصدف والحروب السياسية وأخطاء الحسابات الأمريكية منحته الزعامة، فقد قُتل أبوه في حادث سيارة يُصر كثيرون على أنه جاء بإيعاز من صدام حسين، في حين ترى آراء هامسة أنه تم بالاتفاق بين الإطلاعات (المخابرات) الإيرانية وبين أتباع المجلس الإسلامي الأعلى، الذي أسسه وقاده محمد باقر الحكيم (وكان اسمه آنذاك المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق)، لإزالته من المشهد خاصة وأن أصابع كثيرة كانت تشير إلى أنّ محمد صادق الصدر هو صناعة المخابرات العراقية لتهميش المرجعيات ذات الأصول الإيرانية في النجف، وإلا كيف سمح صدام لرجل دين شيعي أن يقيم صلاة الجمعة في شوارع النجف ليوم 3 ملايين شيعي عراقي؟ هذا التساؤل لا طرحته مرجعيات الولي الفقيه في إيران لتلقي بظلال شك كثيفة على محمد صادق الصدر والحراك الذي صنعه. ومع ذلك فمن يستمع إلى خطب السيد محمد صادق الصدر يكتشف بسهولة لكنة فارسية واضحة في عربيته.

في 29 آب/ اغسطس 2003، قُتل محمد باقر الحكيم، رئيس المجلس الأعلى في انفجار مروّع بعدد غير معروف من السيارات في النجف أيضاً، ليغمر مزيد من الدم المدينة المقدسة عند الشيعة عبر العالم والتي يسعى الإيرانيون بجهد منذ قرون إلى مصادرة دورها ونقله إلى بلدهم في مدينتي مشهد وقم. وحين قتل السيد محمد باقر الحكيم إتجهت أصابع الاتهام إلى عدة جهات منها: بقايا جهاز مخابرات صدام حسين، وإلى عبد العزيز الحكيم، شقيق محمد باقر الحكيم، الذي تولى الزعامة بعده ومات في ظروف غامضة بعد بضع سنوات، وإلى بعض الشركات الأمنية الأمريكية بتوجيه خليجي، وإلى مقتدى الصدر ومن معه الذين أرادوا سحب البساط من المجلس الإسلامي الأعلى وذراعاه العسكري فيلق بدر (وهي منظمة مسلحة شبه عسكرية مسجلة ضمن وحدات النخبة الإيرانية "باسدران").

ولابد من الإشارة هنا، إلى أنّ السيد محمد باقر الحكيم وأخاه عبد العزيز الحكيم، ونجله عمار الحكيم، هم بمجملهم زعامات عراقية بصناعة إيرانية، ويمثلون خير تجسيد لمبدأ تصدير المساجد العميقة السرية الحاكمة.

جيش المهدي مرحلة في تاريخ الميلشيات الشيعية

منذ عام 2004، بات مقتدى الصدر يقود ميليشيات مسلحة لا يُعرف عددها بالتحديد انضوت تحت اسم "جيش المهدي"، ثم حلت وحل محلها "سرايا السلام" التي ما برحت تتلقى السلاح والعتاد والدعم من إيران.

في 4 مايو/أيار 2004 إندلعت معارك شرسة بين القوات الأميركية وبين جيش المهدي في مدينة النجف في محاولة القوات الأميركية القبض على الصدر وسوقه الى المحاكمة بتهمة قتل عبد المجيد الخوئي بموجب مذكرة القاء قبض صدرت عن قاضي تحقيق عراقي. جرى ذلك حين كان إياد علاوي رئيساً مؤقتاً لمجلس الوزراء، والذي عده الصدر عدواً لدوداً له بتعاونه مع الأمريكان على قتاله. ونجح مقتدى الصدر في استقطاب قطاع واسع من الجماهير جلهم من الطبقة الفقيرة، حتى أن تياره يخلو من شخص يتحدث باسمه لخلوه تقريباً من المفكرين والتكنوقراط وحتى المتعلمين.

وما لبث مقتدى الصدر أن حل ميليشيا جيش المهدي، بعد أن تعالت شكاوى العراقيين من فسادها، وبعد أن قتلت كثيراً من شيعة العراق وسنتهم، وبعد حملاتها على المكونات الصغرى في العراق لغرض إجبارهم على اعتناق الإسلام أو يكون مصيرهم التهجير أو القتل. ثم رحل مقتدى الصدر عام 2009 إلى مدينة قم الإيرانية للدرس كما أعلن (هذا جرى بالطبع بتدبير إيراني)، ومعه التحق ألوف المقاتلين من جيش المهدي واشتغلوا في دكاكين ومقاهي المدينة، وذلك بعد صولة الفرسان التي شنّها عليهم رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي (بضوء أخضر من طهران) والتي قضت على نفوذ جيش المهدي في معاقله، النجف البصرة وددت حركته في معقله الأكبر مدينة الثورة "الصدر" شرقي بغداد.

وما لبث مقتدى الصدر أن عاد إلى العراق مع احتلال داعش "الدولة الإسلامية" لمناطق غرب العراق، وأطلق الزعيم الشيعي ميليشيا سرايا السلام، لتحل محل جيش المهدي ولتكون جزءاً من الحشد الشعبي الذي حل محل الجيش العراقي المهزوم وحارب التنظيم الإرهابي وقضى عليه. وعاد مقتدى الصدر يحشد الشارع العراقي ضد الحكومة، وكان محققاً هذه المرة في التحشيد نظراً للفشل الذريع لرئيس الوزراء نوري المالكي .

الكاتب العراقي صلاح النصراوي في مقال نشره على موقع الجزيرة عزا لهجة مقتدى الصدر التصعيدية إزاء الحكومة إلى سببين: أولها، تصاعد الصراع

الشيوعي- الشيعي على النفوذ في العراق من جهة، ومن جهة أخرى مخاوف الصدر من تراجع نفوذ ميليشيا "سرايا السلام" التابعة لتياره والتي أصبحت تشهد منافسة شديدة بعد تأسيس عدة ميليشيات شيعية أخرى كان الهدف من وراءها بالدرجة الأولى محاربة تنظيم "الدولة الإسلامية" الذي كان يسيطر على عدة مناطق في العراق .

السيد إياد جمال الدين عالم الدين الشيعي ثوري الآراء وصف مقتدى الصدر وتياره، الذي بات يعرف بالتيار الصدري، ثم باتت واجهته السياسية تعرف بكتلة الأحرار، وصفه بأنه "تيار عروبي، والسيد مقتدى الصدر رجل وطني وعروبي مثل والده ولكن الإيرانيين يعرفون كيف يتلاعبون به وبتياره"، وهذا في تقديري غير قريب من الحقيقة، فمقتدى الصدر يبقى حتى النهاية ورقة تلعب بها إيران مستفيدة من حضوره الشعبي الخارق، ومن قدرته المدهشة على تحريك الشارع العراقي.

أهم صفة سياسية في مقتدى الصدر هي مواقفه المتقلبة بطريقة تخلو إلى حد كبير حتى من البراغماتية السياسية، ويعتبرها كثيرون مؤشراً على عدم قدرته في قيادة الجموع، وطالما تنبأوا بأن هذه الصفة ستؤدي إلى أن ينفض عنه أعوانه، ولكن لم يظهر مثل هذا التوجه قط عندهم .

ومن أمثلة تقلباته، تشكيله ميليشيا جيش المهدي للدفاع عن الشيعة في الحرب الطائفية عامي 2006 و2007، وقتل جيش المهدي ألوف السنة، بل أشرفت عناصره على إتمام التغيير الديموغرافي في أغلب مناطق العراق، فباتت للشيعة مناطقهم المقفلة وكذلك للسنة، ثم وبعد أن أطلق الأمريكيون مشروع الصحوات ما لبث الصدر أن أعلن حُرمة الدم السنّي، وذهب إلى الرمادي والفلوجة السنيتين وتصالح مع أهلها.

لكن الصدر عاد ليعلن أنّ رئيس الوزراء السابق نوري المالكي ينفذ أجندة إيرانية. وحين شنّ المالكي حرباً على العصابات التابعة لمقتدى الصدر والتي تهزّب النفط في البصرة (المعروفة بالبحارة) إلى إيران، وعلى المجموعات المسلحة التابعة له التي تتولى السلطة المحلية في أغلب محافظات جنوب العراق، أعلن الصدر حل جيش المهدي واعتزل السياسة، وذهب مع آلاف من عناصر هذا الجيش إلى مدينة قم واستقر فيها لأغراض الدرس والتحصيل كما أعلن.

ومع انطلاقاات اعتصامات الرمادي عام 2013، وما جرى بعدها من احتلال داعش لثلث العراق، عاد الصدر وشكل ميليشيا "سرايا السلام" وانضم سياسياً إلى الكتلة السنية، وانشقت عنه تيارات عدة أكبرها "عصائب أهل الحق" التي يقودها قيس الخزعلي، وهو معمم شاب أسس ميليشيا مسلحة تدعمها إيران وقاتل إلى جانب الحشد الشعبي ضد تنظيم داعش.

من خيمة الاعتصام إلى معقل حسن نصر الله

انطلقت التظاهرات الليبرالية الداعية للإصلاح في العراق في تموز/ يوليو 2015 وبقيت مستمرة كل يوم جمعة في ساحة التحرير ببغداد ولم يتحرك مقتدى الصدر ولم يؤيدها. وفجأة وفي يوم 18 آذار/ مارس 2016 أعلن الصدر مسيرة مليونية تطالب بالإصلاح، ونصب لنفسه خيمة احتجاج في مدخل المنطقة الخضراء المحصنة، التي تضم الحكومة في بغداد.

هذا الحراك المفاجئ سبب ارتباكاً سياسياً قاد إلى انقسام مجلس النواب العراقي، فقام نصف اعضائه بإقالة رئيس المجلس السني سليم الجبوري، ما وضع العراق على شفير حرب طائفية جديدة. وسط كل هذا سافر مقتدى الصدر فجأة الى لبنان واجتمع بحسن نصر الله، زعيم حزب الله اللبناني دون سابق انذار، وعاد بعدها الى بغداد، ليعلن حل كتلة الأحزاب النيابية معلناً أنها لا تمثله بل تؤيده! ثم ألغى كل مشاركات تياره بالاعتصامات والتظاهرات.

"خذوا من الصدر الإيجابي دائماً واتركوا السلبي في الحالات الحرجة"

هذا التقلب دفع باسم العوادي، المستشار الإعلامي لرئيس المجلس الأعلى الإسلامي، المتحدث باسم الائتلاف الوطني (الشيوعي) إلى أن يكتب على صفحته في فيسبوك: "عاد السيد الصدر من بيروت وأصدر بيانه هذا الذي وضع فيه نقطة مضيئة في وسط بحر متلاطم من المفاهيم والمعاني غير المضيئة، وأفهمنا لشخصية وكاريزما السيد الصدر الحادة، خذوا من الصدر الإيجابي دائماً واتركوا السلبي في الحالات الحرجة."

في 30 نيسان/ ابريل 2016 اقتحم عناصر التيار الصدري بناية مجلس النواب العراقي، والمنطقة الخضراء واعتدوا على بعض النواب ورشقوا سيارات البعض الآخر بالحجارة. ثم ظهر مقتدى الصدر في خطاب متلفز وأعلن تجميد كتلة الأحرار واعتكافه عن العمل السياسي لمدة شهرين مهدداً بإسقاط الحكومة ما لم يجر الإصلاح، وبعدها غادر مقتدى الصدر العراق إلى إيران.

بعد تحرير العراق من "الدولة الاسلامية" وفي عام 2018 وعشية اطلاق التحالفات الحزبية الجديدة استعداداً لانتخابات العراق، شكّل السيد مقتدى الصدر تحالف سائرون، وضم له الحزب الشيوعي العراقي وتحدث مسهباً عن حكومة

تكنوقراط بعيدة عن المحاصصة وبعيدة عن التأثيرات الخارجية على حد وصفه. وما لبث التحالف أن فاز بأغلبية المقاعد النيابية ليشكل الكتلة الأكبر عبر سلسلة تحالفات فرعية أغلبها مع الكتل الشيعية الموالية لإيران، ومع السنة والكردي.

مقتدى الصدر: وداعاً للسياسة قبل ظهور داعش؟! !

بعد التغيير الزلزالي في العراق عام 2003 ظهر نجل محمد محمد باقر الصدر الأصغر، مقتدى الصدر، وكما مر ذكره، شارك شخصياً في قتل السيد مجيد الخوئي، نجل المرجع الخوئي في حرم الإمام علي بالنجف طعنا بالقامات والسكاكين. وبقي الصدر يتقلب بين التبرأ من إيران، وبين الولاء لها، وحين شن رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي حملة صولة الفرسان عام 2009، تمكن من قهر ميلشيات جيش المهدي في النجف والبصرة، فسارع مقتدى الصدر إلى اعلان اعتزاله السياسة، وذهابه إلى مدينة قم في إيران لغرض الدرس الحوزوي. ومعه ذهب ألوف من ميلشيا جيش المهدي إلى قم، واستقروا فيها وانشأوا لهم مصالح معروفة هناك. ولم تعترض دولة المساجد العميقة على هذا الحضور، بل قبلته، وسهلت تنقله ونشاطه، مادام يعمل ضد الولايات المتحدة في العراق، ويردد شعارات دولة ولي الفقيه " كلا كلا أمريكا، كلا كلا للمحتل " .

بعد الانسحاب الأمريكي من العراق عام 2011، تفاقم الصراع الشيعي الشيعي في العراق، وبقيت الريادة محصورة بيد قوة المساجد العميقة الإيرانية، وما لبث الخلاف بين المالكي ومقتدى الصدر أن تجدد، فأطلق مقتدى الصدر مطلع عام 2014 مفاجأة ليست جديدة معلنا انسحابه من العملية السياسية في العراق درءاً للمفاسد كما أعلن.

المراقبون اجمعوا تقريباً على أنها مناورة لإضعاف المالكي، وأغلب أنصار الصدر وخصومه يقولون إنه عائد قبل الانتخابات حتماً، وهذا ما جرى فعلاً.

القرار المفاجئ لمقتدى الصدر للانسحاب من العمل السياسي في العراق وإغلاق جميع مكاتبه السياسية وحل تياره، لم يتضح كالعادة، إن كان هذا القرار مؤقتاً أم نهائياً، لاسيما أن الصدر قد أبقى على بعض المؤسسات الخيرية والتعليمية والإعلامية مفتوحة على غرار قناة الأضواء الفضائية وإذاعة القرآن الناطق.

وبرر الصدر قراره بالقول إنه جاء "حفاظا على سمعة آل الصدر (...) ومن منطلق إنهاء كل المفاصد التي وقعت أو التي من المحتمل أن تقع تحت عنوانها (...) ومن باب الخروج من أفكاك السياسة والسياسيين".

جميع مسؤولي تيار مقتدى الصدر أغلقوا هواتفهم ومن وصلنا لهم هاتفيا أبلغونا أنهم لا يريدون التعليق أبدا على الموضوع .

البعض إعتبر هذا الإعلان مناورة لحشد مزيد من الأصوات في الانتخابات المقبلة. فيما ترى بعض الأوساط الإعلامية الغربية في الصدر أقوى المرشحين لمنافسة المالكي.

أصابع كثيرة تتجه نحو إيران باعتبارها هي من يقف وراء قرار الصدر، والإعلان بحد ذاته يتفاعل مع المشهد السياسي في العراق سلبا وإيجابا على حد سواء.

" جيش المهدي لم يحل ومدينة الثورة هي معقله "

الكاتب السياسي حامد الشريفي الدبلوماسي السابق تحدث مشيراً الى أن السيد الصدر قد أعلن من قبل انسحابه، وأعلن حله لجيش المهدي، وسحب كتلته، ثم أعادها، وسحب وزراءه ثم أعادهم، " المراقبون السياسيون حتى هذه اللحظة يرون أن السيد الصدر متخبط لا يعرف ماذا يفعل، ولكن هذه ليست حقيقة الموضوع، بل أن الحقيقة هي أن ما فعله السيد الصدر هو مناورة لكسب مزيد من الأصوات ولحشد الدعم ، هنا في أوروبا تكشف تسريبات الأروقة السياسية أنّ الحصيلة النهائية وحصاد الأصوات سيكون للتيار الصدري ، لذا فمن غير المعقول أن ينسحب ويترك العمل السياسي " . هذا الكلام جرى قبل ان يتشكل تحالف "سائرون" من الصدريين والشيوخيين في العراق، ليفوز في انتخابات عام 2018.

وأبدى الشريفي استغرابه لما أعلنه السيد الصدر بشأن سمعة آل الصدر، مؤكداً على أن من " المفروض، في هذه الحالة، إزالة آثار الأخطاء التي ارتكبها هو وتياره " .

الشريفي أشار إلى أنّ كل الانتقادات تنصب على السيد نوري المالكي بسبب الفساد المستشري والوهن الحكومي وانهيار الدولة، ولكن " علينا أن لا ننسى أن النقد

للمالكي لا يعني أنه هو الفاسد، بل هو يشير إلى من حوله، وهو مقصّر من حيث أنه لم يحاسبهم ويعاقبهم، وهنا يجب أن نسأل ماذا فعل الصدر لمن حوله والفساد ينخرهم؟".

وتطرق الشريفى الى دور جيش المهدي في حماية مدينة الثورة (مصرًا على أن أسمها هو الثورة وليس مدينة الصدر، لأن من أقامها ليس مقتدى الصدر بل الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم، ولم يُطلق اسمه عليها، فما معنى أن يطلق الصدر اسمه عليها؟) ، مؤكداً " أن جيش المهدي لم يفلح حتى في حماية معقله الأقوى، فالتفجيرات تجتاح المدينة كل يوم، والقنلى بالمئات".

على صعيد آخر، يرى كثير من متابعي الشأن العراقي أنّ اعتزال الصدر إذا كان حقيقياً، فإنه لم يأت وفق إرادته، بل أن إيران وهي راعية الأحزاب الشيعية، حسب رأيهم قد فرضت عليه الانسحاب ليُخلى الساحة لكتلة دولة القانون التي يقودها نوري المالكي، مذكّرين بهذا الخصوص، أنّ الضغط الإيراني هو الذي أجبر الصدر سنة 2010 على أن يتحالف مع المالكي في آخر لحظة من الانتخابات ليحسم النتائج لصالحه ولصالح كتلة دولة القانون.

" المزاجية كانت دائما عنصرا مهما في قرارات الصدر "

أتفق مع هذا الرأي الكاتب السياسي ضياء الشكرجي مبيّنا أن من المهم أن يضع المراقب في الحسبان عنصرا مهما آخر مضافا إلى دور إيران " فربما رأى الصدر أن أنصاره لم يعودوا ينصاعون لما يقوله حرفيا، ومثال ذلك الصراع بين العصائب وأنصار الصدر، وما صوّت عليه الصدر في مجلس النواب لجانب قانون تقاعد النواب، بخلاف إرادته، وهكذا أصبحت كلمته غير مسموعة".

وبيّن الشكرجي أنّ هناك مؤشرات تدل على قرب تراجع الصدر عن قراره، من خلال تظاهرات قد ينظمها أنصاره تطالبه بالعودة عن قراره مثلا، أو من خلال ضغط أنصاره عليه ، أو من خلال الرسالة التي وجهها له باقر جبر صولاغ الزبيدي، وهكذا فقد يتراجع عن قراره ويحصد أصواتا أكثر بهذه المناورة".

ولفت الشكرجي الأنظار إلى حقيقة مزاجية مقتدى الصدر كشخص ذي تركيبة نفسية معينة "ودون أن أجزم في ذلك، فإنّ هذه المزاجية كانت دائما عنصرا مهما في قرارات الصدر".

وأعاد الشكرجي إلى الأذهان موقف الصدر حين قرر التفرغ للدرس في قم، وحين قرر الاعتكاف، وما تغير بعدها من مواقف، مشيراً إلى أنّ من غير المستبعد أن تجتمع كل هذه العناصر والظروف لتجعل الصدر يغير موقفه مرة أخرى.

وفي ظروف تصاعد الانقسام الطائفي واستهداف داعش للمنظم للمناطق الشيعية، يرى البعض أنّ انسحاب الصدر سيُضعف الكتلة الشيعية عسكرياً، وأن وقوعه في هذا التوقيت هو أشبه بمن يتخلى عن حلفائه في وقت شدتهم وفي أوج معركة كبرى يواجهونها، لكن ضياء الشكرجي، ذهب إلى أن بعض المحللين يرون " أن الانسحاب، هو تبرير للعودة إلى تفعيل دور الميليشيات لجيش المهدي".

المحلل السياسي ماجد الغرواي تحدث من البصرة رداً على من يسأل ماذا قدم الصدر لأنصاره؟ متسائلاً ماذا قدم السياسيون عموماً خلال 11 عاماً؟ ثم أكد الغرواي، أن انسحاب الصدر هو لعبة مدرب، فنحن الآن في الشوط الثاني من المباراة إذ فصلنا الآن 71 يوماً عن الانتخابات، ولكي يخلص الصدر من الضغوطات فقد قام بهذه المبادرة. وأعلن الغرواي أنه لا يتفق مع من يعتبر أن انسحاب الصدر جاء نتيجة ضغوط إيرانية، " لأن السيد الخامنئي قد ناشده شخصياً للعدول عن الانسحاب".

إيران والقاعدة...ثوابت العداء وتحالفات الأضداد

علاقة إيران بتنظيم القاعدة ومن بعده خليفته، داعش غامضة وفيها مفارقة. فرغم أنّ هذه التنظيمات التكفيرية تمثل العدو الأيديولوجي الأشد للشريعة، الذين يفترض أن إيران تمثل دولتهم الكبرى في العالم، لكنّ علاقة هذه التنظيمات السنية المتطرفة بتشكيلات الحرس الثوري الإيراني (باسداران) وبخليا المخابرات الإيرانية (الاطلاعات) لا تبدو سيئة البتة. ويصفها البعض بأنها "علاقة براغماتية تتجاوز العداء الطائفي بين طرفين متضادين أيديولوجياً جمعهما عدو مشترك" وهذه عينات مما كتبه صحفي عراقي يطلق على نفسه أمير علي حيدر حول تفاصيل سرية يكشف عنها لأول مرة، وانقلها هنا بأمانة كما نشرها في مقال على صحيفة قنطرة الدولية الألمانية التي تصدر بثلاث لغات .

تردد مير ميرزا رضا كثيرا قبل أن يفتح قلبه لحوار حميم معي. كان قد قضى 35 سنة من عمره البالغ 65 عاما في مخيمات اللاجئين العراقيين في إيران. هو مزيج أفغاني إيراني عراقي، وقد سقرته حكومة البعث في العراق حال أن دبّ الخلاف مع إيران الشاه حول حقوق الملاحة في شط العرب في سبعينيات القرن العشرين. كنت أريد من هذا الشيخ العالمي الراضي بسجنه المجهول الأسباب أن يكشف لي سر النساء المنقبات وأطفالهن الذين وصلوا الى مخيم إبراهيم آباد للاجئين العراقيين الواقع شمال شرق أراك عاصمة المحافظة المركزية (في نيسان عام 2002).

بعد أن قرأ "دعاء كميل" كاملا على مسمعي، مضى شوط طويل من ليلة الخميس، وصرنا نقرب من منتصفها. عليّ أن أعود الى طهران غدا صباحا لأنّ اجازة دخولي المخيم تسمح لي بالبقاء ليلة واحدة. وقد تواريت بصعوبة عن بيت (...)
الذي اتخذت منه ذريعة لزيارة المخيم.

عائلة بن لادن في إيران

بكلمات تختلط فيها العربية البغدادية بالفارسية بنطق أفغاني غليظ قال مير ميرزا رضا: " هل سمعت بـ بن لادن؟ هنا جاؤوا بعائلته بعد أن حاصر الأمريكان مقره

في أفغانستان. هؤلاء النسوة زوجاته، وبعض الصغار أبناءه وبناته، والفتاتان الكبيرتان يقال إنهما بنتاه من زوجته الأولى."

محكمة باكستانية كانت قد أصدرت في (الثاني من نيسان/ أبريل 2012) أحكاماً بالسجن 45 يوماً ودفعت غرامة قدرها 10 آلاف روبية (110 دولارات) بحق نساء من أسرة زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، بعد إدانتهم بدخول البلاد والإقامة بها بشكل غير مشروع. وقرر القاضي هذه العقوبات بعد محاكمة استغرقت شهراً. وصدرت الأحكام بحق أرامل بن لادن الثالث، وهما سعوديتان ويمنية، وابنتيه.

تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية صدر في آذار/ مارس 2013 كشف أن بين هؤلاء فاطمة، ابنة بن لادن، و4 من أولاده هم عثمان ومحمد وسعد (ومن العجائب أن اسم لادن الذي لا يملك أي جذور عربية يشير بالفارسية إلى اسم زهرة تشبه النرجس). التقرير كشف أن المشار إليهم قضوا سنوات طويلة تحت الإقامة الجبرية في إيران، ولكن السلطات الإيرانية ضمنت لهم السلامة والحماية والسرية. مصادر التقرير أكدت أن الاحتجاز لا يعني بالضرورة السماح لهؤلاء بأن يتخذوا من إيران قاعدة لعمليات ترتبط بالإرهاب الدولي.

ضيوف تحت الإقامة الجبرية بانتظار صفقة

لم يفاجئني كلام مير ميرزا رضا، لكن الشكوك في مدى دقة كلام الشيخ العجيب ظلت تعيش معي أسابيع عدة. بعد أعوام، نُقلت القافلة الثمينة بعد تقسيمها إلى منطقة "تجريش" في طهران وإلى مجمع "برندك" السكني الحديث جنوب مدينة كرج (عند رباط كريم)، ولأكثر من مرة شوهدت السيدة الغامضة المخيفة التي ترافق القافلة العجيبة الملقبة بالدكتورة سهام - والتي يعتقد كل من يعرفونها أنها عميلة مزدوجة للمخابرات العراقية (في عهد صدام) والاستخبارات "الاطلاعات" الإيرانية- تنتقل بسيارتها التويوتا برادو مظلة الزجاج بين تجريش وبين معتقل كهريزك قرب مرقد الإمام خميني جنوب طهران.

ويمكن للمراقب الخبير بالشأن الإيراني أن يحبس ما إذا تريد إيران من احتجاز هؤلاء إذا ما تذكر أسلوب الجمهورية الإسلامية في احتجاز الرهائن الأمريكيين حتى سقوط إدارة جيمي كارتر في الولايات المتحدة، واحتجازها قيادات المخابرات والاستخبارات العراقية حتى ثبت لها أن الغرب سيُسقط صداماً،

فاطلقت سراهم بصفقة غريبة في شباط من عام 2002 فيما كان التحالف الدولي يقرع طبول الحرب ضد نظام صدام حسين

براغماتية تتجاوز العداء الطائفي

علاقة الجمهورية الإسلامية في إيران بتنظيم القاعدة غامضة. إذ أن هذا التنظيم يمثل العدو الأيديولوجي الأشد للشيعا الذين يفترض أن إيران تمثل دولتهم الكبرى في العالم. لكن علاقة التنظيم بتشكيلات الحرس الثوري (باسداران) وبخلايا المخابرات الإيرانية "الاطلاعات" لا تبدو سيئة البتة.

وهذه البراغماتية ليست غريبة بتاتا... فالمشروع السياسي الإسلامي الإيراني لم يأنف أن يتحالف مع اليساريين الملحدون لإسقاط الشاه، ثم انقلب عليهم وانفرد بالسلطة بعد أن صفاهم بالقتل والسجن والتشريد"، كما يذكر أمير علي حيدر.

فقيادة مكتب الارتباط الخاص بتنظيم العلاقات الإيرانية مع التنظيمات السنية المتشددة المسلحة والمسمى "قرار كاه قدس"، تتولى نقل وتمير قيادات التنظيم من أفغانستان وإليها عبر محطاتها المنتشرة في باكستان إلى حد كبير وفي مناطق من العراق وجنوب لبنان وسوريا. العلاقة بين الطرفين يمكن وصفها بأنها صداقة لدودة. فالاثنتان متباعدتا الأهداف، مفترقا الطرق، متعاديان إلى حد التقاتل، لكن القاسم المشترك بينهما هو العداء لأمريكا وهو جسر يساعدهما دائما على تجاوز الخلافات لإلحاق أشد الضرر الممكن بـ "الشيطان الأكبر".

ويمكن أن يُفسر هذا بأنه براغماتية الدبلوماسية الخارجية الساعية إلى تصدير الثورة الإسلامية وهو هدف مشترك للجمهورية وللقاعدة، تأسيسا على المبدأ الإسلامي القائم على تحطيم الحدود ونشر الإسلام الأممي، حتى أن الجانبين غالبا ما يوحدان جهودهما وينسقانها باتجاه أعدائهما التاريخيين المفترضين. وفي مواقع كثيرة، ساعدت عناصر متنفذة في القاعدة، عناصر ناشطة من الجمهورية الإسلامية في إيران على النفوذ إلى السعودية والبحرين واليمن، وذلك بشكل لا يمت إلى المنطق بصلة في ظل حرب السعودية الضروس على إيران وحوثيها في اليمن.

هذه البراغماتية ليست غريبة بتاتا، فقد قامت الثورة الإسلامية في إيران "انقلاب 57 بهمن" بتحالف بعض الإسلاميين مع قوى اليسار الإيراني : حزب توده

"الشيوعيون"، فدائيي الشعب (بجنّاحين)، مجاهدي خلق، اتحاد الطلبة الجامعيين في إيران، والجهة الشعبية الإيرانية "جبهه ملي إيران"، وأجنحة من حزب العمال الشيوعي في كردستان إيران. ثم ظهر تحالف علماء الدين وحزب جمهوري اسلامي فيما بعد لموازنة كفة الأحزاب اليسارية. وهكذا فإنّ المشروع السياسي الإسلامي الإيراني لم يأنف أن يتحالف مع اليساريين الملحدين لإسقاط الشاه، ثم انقلب عليهم وانفرد بالسلطة بعد أن صفاهم بالقتل والسجن والتشريد.

ظلّ إيراني في مقتل سعد بن لادن

يؤكد جوناثان إيال رئيس قسم الدراسات الأمنية في المعهد الملكي للخدمات المشتركة في بريطانيا أنّ إيران قد منحت اللجوء لعناصر عدة من تنظيم القاعدة بعد عام 2001، بما في ذلك عناصر من قياداتهم، مستدركا أن حق اللجوء لا يشمل بأي حال حق النشاط التخريبي أو السياسي أو (التبليغي بلغة الإسلام السياسي).

"كانت رسائل عُثر عليها في (أبوت آباد) حيث قُتل أسامة بن لادن قد كشفت عن شكوك زعيم القاعدة في أن إيران تلعب دورا مزدوجا في المنطقة (متحالفة مع القاعدة والتنظيمات المتشددة السنية في بعض الأحيان، وواشية بها لمكاتب السي آي إيه المنتشرة في الشرق الأوسط عبر عملاء عراقيين وأفغان في أحيان أخرى). وفي هذا الصدد تحدث بن لادن عن دور إيران في الوشاية بابنه سعد الذي قتلته طائرة درون أمريكية أثناء عبوره الحدود من إيران إلى باكستان."

وذهب تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية صدر في نيسان/ أبريل عام 2013 الى أن صهر بن لادن المدعو "سليمان أبو غياث" قد أبعده من إيران إلى تركيا ومنها إلى الأردن حيث اعتقل وسُلم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليواجه القضاء. وحقيقة أنّ إيران سلمته إلى تركيا بدلا من أن تسمح له بالتسلل إلى باكستان، كما سبق أن فعل عدة مرات خلال السنوات السابقة، تكشف عن توتر العلاقة بين السلطات الإيرانية وبين تنظيم القاعدة على خلفية دورهما في الحرب بسوريا وملابسات مقتل أسامة بن لادن.

صحيفة "واشنطن بوست" في عددها الصادر في 12 شباط/ فبراير 2014 كشفت عن مغادرة أحد أكبر قياديي القاعدة الناشطين أواخر عام 2013 لأراضي إيران

التي كان قد وصلها قادماً من أفغانستان عشية الهجوم الأمريكي على نظام طالبان عام 2001.

تقرير واشنطن بوست استند إلى معلومات صادرة عن مصدر في سي آي أيه رفض الإفصاح عن هويته واسمه، وهذه المعلومات كشفت أنّ مغادرة "ثروت شحاته" لأراضي إيران تثير أسئلة عن دوافع هذه الدولة في إرغام هذا العنصر المفصلي في قيادات القاعدة على مغادرة أراضيها رغم أنها قد أوتته وغطت عليه طيلة عقد من الزمن.

الشعب يرفض إسلام الملاي "آخوندها"

عادت إيران إلى واجهات الإعلام مرة أخرى بعد أن شغل ربيع الثورات العربية الاعلام الاقليمي والدولي. وقد زرت إيران عام 2011 وتابعت عن كثب تأثير الاسلام السياسي (إسلام المساجد العميقة) على حياة الناس في ظل مشكلة الملف النووي وظماً الجيل الشاب إلى الحرية، وأيقنت أن المستقبل سيحمل أكثر من مفاجأة للتغيير في أول جمهورية إسلامية في العالم.

أخفيت صفتي الصحفية واتكأت على تمكني التام من اللغة الفارسية وحملت حقائبي لأدخل إيران قبل ثلاثة أيام من حلول شهر رمضان، وفي كل هذا تحد كبير لي ولأسرتي. الرحلة طويلة من مطار دوسلدورف في غرب ألمانيا إلى مطار "الإمام الخميني" في ضواحي طهران إذ تمتنع المطارات الأوروبية عن تزويد الطائرات الإيرانية بالوقود. لكن اوكرانيا لا تلتزم بإجراءات المقاطعة الأوروبية لإيران، من هنا حطت طائرتنا في كييف لأكثر من ساعة للتزود بالوقود لنواصل الرحلة بعدها إلى العاصمة الإيرانية طهران. وبحساب فرق الوقت غادرنا ألمانيا في تمام الحادية عشرة صباحاً لنصل المطار الإيراني في تمام التاسعة ليلاً بتوقيت طهران. طهران العاصمة، مختنقة بالسيارات والمباني، الأنوار تضيء الشوارع بكثافة لا تدل على وجود تقشف في استهلاك الطاقة، والمركبات تتكدس عند التقاطعات بشكل يدل على غياب التنظيم - رغم انتشار شارات المرور الضوئية في كل مكان.

قم المقدسة تغادر شرنقة التقاليد

بعد يومين أقلتني نفس السيارة إلى مدينة قم التي تبعد عن طهران 144 كيلومتراً. على قمة جبل "الخضر" الأعلى قرب المدينة - حيث أقيم مرقد للنبي الخضر - تكدس رجال الدين وعدد كبير من الأشخاص وهم يستخدمون النواظير المقربة لرؤية هلال شهر رمضان. هم يرجحون أن يبدأ الصيام يوم الاثنين، أي بعد يوم أو يومين من صيام أغلب الدول العربية والإسلامية وهو ما يتكرر كل عام، باعتبار التباين مؤشراً على اختلاف النظرة بين الشيعة والسنة والتي تحرص جمهورية المساجد العميقة على تكريسها.

نحو مليوني زائر قدموا إلى المدينة ليتبركوا بضريح السيدة معصومة، أخت الامام الرضا ثامن أئمة المذهب الشيعي المدفون في طوس (مشهد). الحجاب الكامل مع الملاءة السوداء يلف أجساد النساء، واللحي الخفيفة تؤطر وجوه أغلب الرجال.

ابتعد قليلا عن مركز المدينة المحيط بالمرقد المقدس، في بارك "سالاربه" إنتشرت العائلات مساء يوم قائظ وهي تودع شهر شعبان لتدخل إلى شهر الصوم، في زوايا المتنزه يجلس شبان وقتيات متلاصقون يتحنون الفرص لاختلاس القبل وربما أكثر من ذلك. لم ألاحظ وجودا لعناصر الأمن، الذين يمنعون مثل هذا التقارب في العادة، كان هذا تطورا كبيرا عما شاهدته في المدينة المقدسة حين زرتها قبل أكثر من عامين.

لكنّ المشهد يتغير حين تتجه غربا إلى (شهرك قدس)، وهي ضاحية عصرية تبعد 10 كيلومترات عن مركز المدينة المقدسة، فالملاءات السوداء تختفي وتكتفي النسوة بإيشارب مترجع إلى منتصف الرأس يظهر مقدمة شعر وسوالف المرأة وكل وجهها مع معطف قصير وسروال ملتصق بالجسد، كما تختفي اللحي عن وجوه الشبان الذين يقفون في البوتيكات والمحلات الأنيقة.

يتوسط الضاحية محل لبيع الوجبات السريعة على الطريقة الأمريكية. المحل كبير وفي باحته ساحة عصرية لألعاب الأطفال، وحديقة أنيقة مزهرة تتوزع فيها مناخذ الجلوس تحت مظلات حمراء كبيرة، وأمامه ساحة فسيحة لوقوف السيارات، يقترب المشهد من المدن الأوروبية، وتبدو الأسر الإيرانية مرفهة وهي تترجل عن سياراتها الحديثة لتقضي بعض الوقت في هذا المكان الذي ينتمي بالكامل إلى المشهد الغربي. أسعار العقارات في هذه الضاحية تبلغ قيما خيالية، ويتجاوز سعر المتر المربع من الأرض في عموم المدينة المقدسة الألف دولار.

آراك مدينة الصناعة والقبل المتوارية

سيارة أخرى تأخذني الى مدينة آراك التي تبعد نحو 136 كيلومترا غرب قم. هذه المدينة هي عاصمة المحافظة المركزية (استان مركزي) والصناعة هي سمة المحافظة (الاقليم) حيث تنتشر المجمععات صناعات البتروكيمياويات والألمنيوم والسيارات وصناعات البلاستيك والانابيب في أطرافها، علاوة على مجمع آراك للطاقة النووية الذي يقع على الطريق إلى (ملاير) باتجاه الشمال الغربي.

ترتبط بالمدينة إداريا مدينة (خمين) التي يتحدر منها خميني، مؤسس الجمهورية الإسلامية وتبعد نحو 65 كيلومترا شمالا. أغلب سكان المدينة من أصول تركية، ويبلغ عدد ذوي الأصول التركية في عموم إيران حسب تقديرات محلية نحو 20 مليون نسمة يشكلون أغلبية في اقاليم آراك و همدان وتبريز و زنجان و آذربايجان الشرقية و آذربايجان الغربية، علاوة على انتشارهم في قم و طهران و مشهد و اصفهان و مدن أخرى، و منهم يتحدر مرشد الثورة السيد علي خامنئي، و يشكلون عسبا رئيسيا في السباه (حرس الثورة) و في أجهزة الأمن.

بسبب شهر رمضان لا يوجد مكان لتناول الطعام في المدينة. اشترت قنينة كولا و علبه من البسكوييت و قصدت مركز المدينة حيث توجد داران للسينما هما "عصر جديد آراك" و "فرهنگ آراك" التي اخترتها لقضاء الظهيرة و كمحطة استراحة لتناول الطعام المحرم الممنوع.

تشغل دار العرض مبنى متهاكاً عمره خمسون عاما، أحد العاملين فيها تطوع للحديث معي بعد أن لاحظ اهتمامي بتصوير يافطات الأفلام التي تعرضها الدار مبينا أن الدار تعاني من الإهمال و لا تحصل على أفلام تثير الاهتمام (صناعة السينما كبيرة مزدهرة في هذا البلد و تغطي أكثر من 90% من احتياجات دور العرض، و تشجع الحكومة هذه الصناعة فيما تحدّ إلى حد كبير من دخول الأفلام الأجنبية). و رغم أن أسعار تذاكر الدخول قد خفّضت إلى النصف في شهر رمضان (دولاران للتذكرة) إلا أن هذا لم يرفع عدد الرواد.

في الصالة ذات المقاعد المتهرئة توزع عدد من الرواد لا يتجاوز العشرين. لفت نظري شاب و شابة إختارا مقعدا في نهاية الصالة. عندما اقترب منهما أحد الأشخاص الملتحين و طلب منهما إظهار وثيقة تثبت أنهما متزوجان، إحتجت الشابة بصوت عال و هي تقول: "و هل يجب على الإنسان أن يحمل وثيقة زواجه معه مثل البطاقة الشخصية؟". صوت مرافقها بدا هامسا مقارنة بصوتها المتحدي الصارخ. في النهاية رضخ الشخص المكلف بالمراقبة لاعتراضاتها و تركهما يشاهدان الفلم من موقعهما الغارق في الظلام. الفلم كوميدي سيء جدا و نوع الصوت رديء بسبب كاميرا العرض القديمة أو لأسباب أخرى، أثناء عرض الفيلم اختلست النظر إلى الشاب و الشابة فوجدتهما غارقين في عناق حميم و حدّ جسديهما في قبل عطشى.

همدان : بوابة السياحة تفتح نوافذ الحرية

تنخفض الحرارة في مدينة همدان صيفا لتصل إلى 25 درجة مئوية وهذا يجعلها قبلة للهاربين من قيظ طهران وقم وأراك وملاير ونهاوند التي تحيط بها، لاسيما أنها تضم آثارا ومعالم ومواقع سياحية هامة من بينها، مرقد الطبيب ابن سينا "آرامگاه بوعلی سینا" ومرقد الشاعر الفارسي الكبير بابا طاهر، وموقع ومتحف "هگمتانه" و غار "على صدر" علاوة على شلال " گنجنامه" السياحي.

مركز المدينة الدائري يشغله مرقد ابن سينا وقربه متنزه صغير يجلس فيه الناس كبارا وصغارا. شابات في العشرينات من العمر يتوزعن على المقاعد الحجرية، بعضهن يحملن أجهزة "لاب توب" ويتهامسن فيما بينهن، شابتان تحملان على كتفيهما آلات موسيقية (ربما كانت جلو) في أغلفتها وتقطعان الشارع لتعبرا الى المتنزه. وشاب آخر يحمل على ظهره قيثارة في غلافها ومعه فتاة خجولة الحجاب يوقفان دراجتهما النارية ويدخلان إلى المكان (الدارجات النارية وسيلة نقل شائعة جداً في إيران التي تنتج ملايين منها كل عام، يركبها الرجال ويردفون خلفهم النساء، ويشاهد هذا حتى في المدن الدينية مشهد وقم حيث يمتطيها المعممون ويردفون نساءهم خلفهم.

زرت إحدى مقاهي الانترنت القريبة، وحاولت أن أفتح مواقع أجنبية على غرار موقع قنطرة، دي دبليو، بي بي سي، سي أن أن ، العربية، فكانت الروابط تقودني إلى موقع إيرانية، سألت صاحبة المقهى - وهي شابة في منتصف العشرينات- عن سر ذلك فقالت ضاحكة: "هذه مواقع محجوبة، وفي العادة يستخدم الشباب نظاما يدعى "فلتر شكني" وهو رابط يزيل الحجب، لكننا في المقهى "كافي نت" لا نستطيع أن نفعل ذلك، عليك أن تفعله بنفسك" وانصرفت عني الى ما كانت تفعله وهي تحمّل أغانٍ من الانترنت على هاتفها المحمول.

في اليوم التالي ذهبت الى شلال " كنجنامه" الذي امتلأ بالمصيفين من مختلف أنحاء ايران، ويبدو أن رمضان وواجباته لم يفتر من عزيمتهم فتوزعوا في ظلال المكان يتسامرون ويتضحكون. في زوايا المكان يلحظ المرء بكثرة شبانا وشابات يجلسون متعانقين في وضح النهار. اقتربت من ثلاثة شبان كانوا يدخنون في مكان بعيد عن أعين الآخرين، سألتهم ملاطفاً إن كان المذهب الشيعي يبيح التدخين للصائمين، كما سمعت أن مقتدى الصدر قد أفتى لاتباعه في العراق بصحة ذلك،

ضحكوا وقالوا : "من يستطيع الصيام في هذا القبيظ". وأضاف علي رضا وهو أصغرهم سنا : " يبدو أن الزمن قد تغير، فالقدا مي كانوا قادرين على الصيام لأن أجسادهم أقوى، فيما جيل اليوم أضعف منهم ولا يقوى أحد من هذا الجيل على تحمل مشاق الصيام، أنا أعمل في الحقل وأشرب 3 الى 4 لترات من الماء يوميا، فكيف يمكنني الصيام؟".

تدخل في الحديث أكبرهم سنا وعرف نفسه باسم " أمير " قائلا: "لا أحد يقوى على الصيام اليوم، والحقيقة أن الصيام عادة جاء بها العرب القدماء، وهم في الأصل كانوا بدوا قادرين على تحمل المشاق والعطش والجوع بسبب فقر بيئتهم. أما في هذا العصر كيف يمكن للإنسان أن يمك عن الطعام والشراب؟ نحن لسنا من سكان المدن، النساء في عائلتنا هن اللواتن يؤدين فريضة الصوم، أما الرجال فلا يتيح لهم عملهم الشاق في الحقول ومزارع الدواجن والأبقار أن يؤدوا هذا التكليف"، ثم ضحك مضيفا : " على المعممين " أخوندها" أن يجدوا حلا لهذه المعادلة الصعبة".

سألتهم عن مهنتهم وكيف جاءوا الى هذا المكان، فقال علي رضا وهو يحمل مجرفته على كتفه: "نحن فلاحون نعمل في حقل قريب من هذا المكان ، وجئنا إلى هنا في زيارة خاطفة. "

في زاوية تظللها الأشجار جلس شاب وشابة في مقبيل العمر وهما يتبادلان العناق والقبلات السريعة وهما متواريان عن أعين الفضوليين، ابتعدت عنهما قليلا فاقتربا من بعضهما ووضع الشاب رأسه على صدر الفتاة التي أخذت تقبل جبينه ووجهه بحنان وجل.

طهران مدينة لا تنام

في ختام الرحلة عدت إلى طهران، مدينة الاثني عشر مليون نسمة في النهار. مناخها هو الأكثر تلوثا في الشرق الأوسط، مدينة يتحدى فيها الحاضر وتقنياته الالكترونية القواعد الصارمة التي يفرضها نظام الجمهورية الإسلامية. تملأ الشارع سيارات صينية وكورية وفرنسية بنسخ إيرانية، والنساء يقدن سياراتهن بكثرة وحرية في الشوارع دون أن يعترض أحد على ذلك- وهم في ذلك لا يشبهون القطب الإسلامي الآخر في السعودية .

حجاب النساء يقتصر على قطعة قماش صغيرة توضع متراخية على الرأس لا تخفي مقدمة الشعر ولا ذبوله، أما الملابس فعصرية حديثة يموهها لباس قصير ابتكرته ضرورة الحجاب المفروض ليغطي منطقة الحوض المحرّمة. الغريب أن الإيرانيات يضعنّ مكياجاً ثقيلًا على وجوههن حتى في النهار، وفي أرجاء ووسط المدينة يلاحظ المرء نساء يقدن الدراجات الهوائية، وفي بعض الأحيان دراجات نارية- وهو أمر لا تجده في أي بلد عربي تقريبًا.

قمت برحلة طويلة بمترو طهران، الذي يخفف كثيرا من زحام المدينة المليونية، المترو الأنيق ومحطاته المزينة بالرخام يشي بمدينة عصرية تضاهي الحواضر الأوروبية، وركاب المترو يتعتعم إرهاب العمل والتنقل في المدينة بالغة السعة. عدت من رحلتي لأترجل في ميدان فردوسي، فلفظتني المحطة الأنيقة المبرّدة الى الشاعر اللاهب المكتظ. حول الميدان تنتشر محلات تبيع الملابس والأحذية والحقائب الجلدية. وفي جانب الشارع الآخر تنتشر محلات الصيرفة الكثيرة التي يحرص أصحابها على أن يجمعوا أكبر قدر ممكن من الدولارات واليورو خلال مبادلاتهم بتقديمهم عروض مغرية للأجانب ليبيعوهم التومان.

"الكيف" وجلساته وسط طهران!

في الفندق الذي سكنته وسط المدينة نبهني قسم الاستقبال الى أن التدخين في صالة الفندق ممنوع بسبب شهر رمضان، لكنهم أضافوا أنني يمكن أن أفعل ما أشاء في غرفتي. في الغرفة المجاورة لغرفتي سكن ثلاثة رجال، قرع أحدهم باب غرفتي وقت الغروب وطلب مني علبة كبريت، ناولته ولاعتي فقرأ ما مكتوب عليها وسألني إن كنت أجنبيًا، ترددت في الإجابة- كما هو شأني في هذا البلد دائمًا- ثم أجبته بالإيجاب، فبش في وجهي ودعاني إلى حجرتهم .

راففته إلى الحجرة حيث عرّفتني على أصدقائه ثم طلب مني الجلوس لأشاركهم في جلسة سمر إيرانية تقليدية، جلست والتعجب يلفني من جلسة سمر نهائية وسط طهران. بدأ الرجال يرتبون معدات السمر، موقد غازي صغير للرحلات القصيرة، قضيب معدني رفيع، وثلاثة مخاريط كارتونية صغيرة، ولفائف ورقية تضم مادة عجينية لزجة سوداء. دون عناء عرفت أنها جلسة "كيف" لتداول مخدر الأفيون الذي يسمونه "ترياك"، وسألتهم : كم تكلف جرعة المخدر هنا في طهران؟

ضحك الذي دعاني لمشاركتهم الجلسة وهو يقول: "إنّ السعر رخيص جداً بالنسبة لأسعار المخدرات في أوروبا، فالجرعة تكلف بين 5 إلى 10 دولارات حسب جودة المادة ". ثم قال الآخر: " في بلدانكم يمكن للمرء أن يتناول الكحول كما يشاء دون أي منع، أما في الجمهورية الإسلامية فالكحول محرّم، وما يصلنا منه سراً غالي الثمن رديء النوعية وأغلبه فودكا روسية مجهولة المصدر، لذا فإن كل الإيرانيين تقريبا يتداولون الترياك". وبدأوا بمراسيم " الكيف" فاعتذرت لهم وانسحبت إلى حجرتي لأرتب حقائبي استعدادا لرحلة العودة إلى ألمانيا.

العراقيون - مرارة شيعية تحت خيمة ولي الفقيه

هَبَّ الجيش العراقي الهارب من الكويت باحثاً عن خلاص من حروب صدام في انتفاضة عام 1991 التي لم تدم سوى خمسة أيام، وحوّلتها الأحزاب الإسلامية الشيعية إلى انتفاضة شيعية فخرت الدعم الغربي والعربي الخليجي لها. واضطر المنتفضون أن يهربوا إلى إيران باعتبارها "ظهير الشيعة في العالم"، كما كان يعتقد كثير منهم، لكن ما صادفهم هناك غير قناعاتهم، وعاد العراقيون إلى بلدهم بقصص متفاوتة.

"خذ القصة من أفواه أبطالها" نصيحة هندية التزمت بها وحاورت ثلاثة من اللاجئين العراقيين في إيران، واخترتهم من مراحل لجوء مختلفة فكان هذا التحقيق شهادة قد يراها البعض صادمة وهي تكشف عن حقائق لا يجروّ كثيرون على إعلانها.

المهاجرون من قيادات الصف الأول

"زينب ال... " وهذا اسم مستعار لسيدة ولدت في لبنان لأبٍ عراقيين، وقد أهدمت سلطات البعث عام 1980 والدها في بغداد وهو قيادي في أحد أكبر الأحزاب الشيعية، فهربت والدتها بها وبأخيها الأصغر إلى إيران عبر تركيا لتكون في ضيافة "الجمهورية الإسلامية في إيران" ابتداء من عام 1981. هذا النوع من اللجوء يختلف عن لجوء من شاركوا في انتفاضة عام 1991، وعن لجوء المهجرين، وعن تجارب لجوء "التوابين"، فالسيدة وبنوها يحملون شهادة المشاركة في صنع الخط الإسلامي الشيعي في العراق، بدليل إعدام زوجها مع المرجع محمد باقر الصدر، وهذا شهادة حسن سلوك وولاء مضمون تشفع لها لدى حكومة الجمهورية الإسلامية. رفضت زينب الحديث بالتفصيل عما مر بها وبأمها وأخيها، لكنها تحدثت بشكل سريع عن حياتها هناك وسأنتقل شهادتها كما كتبتها هي لي:

"أتذكر أنني دخلت مدرسة قرآنية لبنانية في مدينة قم، ولم أنضم إلى أي مدرسة إيرانية، لأنّ والدتي لم تحب اللغة الفارسية قط، كما أنها كانت تحرص على أن نحافظ على هويتنا العربية. وبقيت أدرس في المدرسة المذكورة حتى وفاة الأمام

الخميني الصادم للجميع عام 1989، وعندها انتقلنا إلى لبنان، فانضمت إلى مدارس البقاع ودرست فيها حتى أكملت الثانوية، ثم درست في الجامعة الإسلامية في لبنان منذ 1995 حتى 1999".

المؤلف: هل عدتِ بعدها إلى إيران أم بقيت في لبنان؟

"عدت بعد التخرج إلى إيران بحثاً عن عمل، وكانت والدتي قد بقيت في بيتنا بالبقاع، فيما بقيت شقتنا في شمال طهران خالية، حتى عدت لها، كان يسكنها بعض أصدقائنا من المهاجرين العراقيين، وعدت لأسكن فيها، ثم صارت القسمة، وتدخل أحد علماء النجف من أصدقاء المرحوم والدي، ليعقد قراني على مجاهد بدري، وعشت معه بين طهران وقم حيث كان يعمل، وبعد سقوط صدام، عدنا إلى العراق وتولى زوجي منصبا كبيرا في إحدى الوزارات العراقية."

المؤلف: هل انقطعت صلتك بالمهجر الإيراني بعد العودة إلى العراق؟

"الحقيقة إننا نذهب إلى إيران بين مدة وأخرى لأغراض الزيارة، فالسيدة معصومة، والإمام الرضا غريب الطوس مقامان نتبرك بهما، بل أنّ أبنتي الصغيرة اسمها معصومة، وابني أسميته علي رضا، لكنّ هذا لا يعني أنني إيرانية، أقول لك شيئا قد لا تصدقه، لم أتعلم اللغة الفارسية حتى الآن ولا أحب أن اتعلمها، وابني وبنتي الكبيران اللذان ولدا في إيران لا يتقنان منها إلى الشيء القليل، نحن لسنا إيرانيين، لكن العالم العربي يعتبر كل الشيعة إيرانيين."

ورفضت السيدة زينب ال... مزيدا من الحديث، وكانت قد اشترطت أن تعرف أولا أين سينشر التحقيق قبل أن توافق على الحديث.

مهاجرو انتفاضة 1991 المنسية

ومن بين مهاجري انتفاضة عام 1991 حاورنا لاجئا اختار اسم "عبد الزهرة البغدادي":

المؤلف: ما عدد المهاجرين واللاجئين العراقيين في إيران تقريبا، وما مراحل دخولهم إليها؟

لا يمكن إحصاء اللاجئين في إيران إلا عن طريق ما يسمى بالفارسية ب (دفتر أمور اتباع ومهاجرين خارجي) "مكتب شؤون التبعيات الأجنبية والمهاجرين".

وهذا المكتب يهتم بأمور المهاجرين، الذي يدخلون الحدود الإيرانية ولوجود عدد كبير من المخيمات في إيران ومنهم من شارك في الحرب العراقية الإيرانية وأسر أثناء المعارك ودخل أقباص الأسر وبعد مرور فترة على أسره عمل مع السباه (حرس الثورة) الإيراني وأصبح مقاتلا ضمن صفوف فيلق 9 بدر بقيادة السيد محمد باقر الحكيم . هؤلاء أخرجوهم من الأسر وأطلقوا عليهم تسمية "التوابين" مقابل أن يعملوا في صفوف السباه الإيراني ..وأضيفوا إلى شريحة اللاجئين الذين لجأوا إلى إيران سنة 1991.

وهناك تفاوت في عدد سنوات الهجرة من شخص إلى آخر، فمنهم من هاجر في انتفاضة 1991 عند انسحاب الجيش العراقي من الكويت ونستطيع حصر فترة الهجرة واللجوء بين عامي 1991 الى 1994.

المؤلف: كيف كان يدخل العراقيون إلى إيران رغم حالة العداء المزمّن بين البلدين؟

إن العراقيين الذين هاجروا إلى إيران هاجروا بشكل مجاميع كبيرة عن طريق سماسرة ومهربين بين الحدود، وكان اجتياز الحدود يجري ليلاً عبوراً إلى منطقة "همّت" الحدودية، حيث تقوم السلطات الإيرانية بتجميع العوائل وحجزها في هذه المنطقة لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد عن 6 أشهر.

من جهة أخرى كانوا يقومون بمسح منطقة صحراوية في إحدى المحافظات الإيرانية ونصب خيم صغيرة وإحاطتها بسياج مبنّي أو سياج أسلاك شائكة لتأمين حصرهم وعدم الخروج من هذه المعسكر إلا عبر نقطة حرس باب النظام إسوة بالمعسكرات والسجون. وعندها ينقلون تلك المجموعات إلى هذا المعسكر الذي أصبح جاهزاً لاستقبال المهاجرين حيث يكون كل معسكر عدد العوائل الموجودة فيه لا تقل عن 1000 عائلة وعدد أفراد العائلة يتراوح من شخصين إلى عشرة أشخاص (بعد هذا التاريخ، شيدت للاجئين بيوت صغيرة جدا (25 متراً للبيت) بدلاً عن الخيم، بموجب مساعدات دفعتها المفوضية العليا للاجئين العراقيين التابعة للأمم المتحدة إلى حكومة إيران.

المؤلف: وكيف كان يعيش اللاجئين، كيف يعملون كيف يدرسون، كيف تسجل ولاداتهم، وكيف يتزوجون؟

كانوا يعاملوننا معاملة الأسرى ولا يسمح لنا الخروج من المخيم أو المعسكر "أردوكاه" إلا بعد مرور ثلاثة أشهر على الأقل، وبعد التأكد من حالتك الصحية خشية أن تكون مصابا بمرضٍ معين (كما كانوا يدعون) ، فيما يستمر التدقيق بملفك الشخصي وانتمائك الحزبي والطائفي، وتجلب المعلومات الكافية عنك من مصادر يعتمدونها تعمل لصالح الإيرانيين.

وبعد كل هذه الإجراءات يصدرن ورقة خروج يومية عندما تريد الخروج إلى العمل وتسليمها بعد عودتك بحيث يعرفون من خرج وعاد ومن خرج ولم يعد. أما عن معاملة الإيرانيين في الأسواق والمناطق العامة ومحال العمل فيُنظر إلى المهاجرين وكأنهم أعداء، و كلما اختلفوا مع عراقي قالوا أنتم الذين قتلتم أولادنا (في حرب السنوات الثمان) وهذا أقل ما يقال... أما أجور العمل للعامل فتكون نصف حقوق العامل الإيراني تقريباً.

المؤلف: ولماذا لم تعمل بعد حصولك على الإقامة، أعني لماذا لم تغادر المخيم وتعتمد على نفسك أسوة بكثيرين يقيمون في مدن إيران الكبرى؟

الإقامة؟ لا يوجد شيء في جمهورية إيران اسمه إقامة اللاجئين، هنالك سياسة تتبعها الحكومة وتُطبق حتى على الأشخاص الذي سفرهم النظام الصدامي آنذاك هي سياسة (بناهنده) وتعني الضيوف (اللاجئون)، وبعد مرور فترة طويلة أصدرت الجمهورية الإسلامية في إيران كارت دخول وخروج سنوي يسمى (الكارت الأخضر) يُكتب على وجهه الأول الاسم واللقب، والتولد ورقم "الكود" للعائلة، وعلى الوجه الثاني يُدرج أفراد تحت التكفل وأسماءهم، وفيه ملاحظة لا يسمح له بتملك الأموال المنقولة وغير المنقولة، وتاريخ الإصدار وتاريخ الانتهاء . علماً أنّ كل فرد في المخيم ينقل من مخيم إلى آخر بأمر وكتاب رسمي ويرسل بمأمورين إلى المخيم الجديد، وفيهم من ينقل بناءً على رغبته ومنهم من ينقل عقوبة لمخالفة ارتكبتها حسب اعتقاد السلطات.

المؤلف: ما عدد المخيمات إجمالاً لیتاح للمراقب إجراء إحصاء تقريبي لعدد المهاجرين واللاجئين؟

توجد مخيمات كثيرة في إيران، أهمها (الذي سمعت به) :

مخيم المله في الأهواز جنوب إيران وهذا المخيم خاص للتسفيرات والمخالفين.

مخيم بعثت في شوستر الأهواز جنوب إيران.

مخيم انصار في دزفول الأهواز ومخيم أشرف أصفهاني في الأهواز.

مخيم أبانر أزنا في لرستان بمدينة أزنا

مخيم دستغيب في جهرم بولاية شيراز

مخيم سروستان في شيراز

مخيم زنجان

مخيم خوي في آرومية أذربيجان غربي على حدود تركيا

مخيم حسن بني النجار في كتوند

مخيم ابراهيم آباد في آراك .

علما أنّ الذين هاجروا بدون أسرهم، يوضعون في مخيم "كامب" مخصص يطلق عليهم المجردين "العزاب"، وفي كل مخيم يوجد كامب مجردين (العزاب).

المؤلف: ما دور الأحزاب الدينية العراقية في داخل المخيمات، وهل تتولى تزكية المهاجرين واللجئين بحيث تضع فروقا بينهم؟ سمعنا عن لاجئين بسيارات فاخرة يعيشون في المخيمات وتسكن أسرهم في 4 إلى خمس بيوت متلاصقة، فيما هناك لاجئون لا يجدون حتى طعاما؟

يوجد في كل مخيم معمم يرسل من مكتب شؤون المبلغين في قم، يقوم هذا المبلغ بالقاء المحاضرات ويكون حلقة وصل بين المهاجرين وإدارة المخيم من حيث التزكية والتشفع وإيصال المعلومة بشكل مباشر، وتكون له علاقات مع المسؤولين في مكتب أمور اتباع خارجي " مكتب شؤون الرعايا الأجانب" (وهو مؤسسة مرتبطة بدائرة الهجرة تديرها أجهزة الأمن الإيرانية) حيث عند إرساله إلى المخيم يرسل بشكل مأمورية مبلغ وبكتاب رسمي من مكتب شؤون المبلغين إلى دفتر أمور اتباع ويؤشر كتاب نشره هناك ويزود بكتاب من دفتر أمور اتباع إلى إدارة المخيم كي يستلمونه ويعتمدون عليه رسمياً، علماً أنّ المعمم المبلغ في المخيم يمثل القانون والإسلام من جهة ويمثل "الاطلاعات"(الأمن) من جهة ثانية.

وعندما يكون المبلغ غير راضٍ عنك، أو يدلي عنك بمعلومة خاطئة بقصد أو دون قصد، فعليك أن تتوقع التبعات القانونية لبلاغه، وحسب المعلومة التي وصلت، فأما نقلك من المخيم إلى مخيم أسوأ تعاملاً وأقصى ظروفًا (خاصة المناخية)، أو إبعاد الـ إلى مخيم آخر، وإذا كانت المعلومة أشد فربما تدخل مدخل التجسس. وربما يتحتم عليك المثول أمام المحكمة وعليك إثبات براءتك (وهناك روايات بين العراقيين عن لاجئين عرضوا على محكمة في دائرة الانضباط المركزي "دزبان مركز" في منطقة حشمتية بطهران، وحكم عليهم بالسجن المؤبد لأنهم تجادلوا مع مبلغ إيراني أو حزبي، وقد قضى بعضهم مدة سجنه البالغة خمسة عشر عاماً، وأعيد إلى العراق ليعيش متخفياً هناك، وبعض من الشباب، يرسلونهم بتوصية من المبلغ إلى الباسگاه (مركز شرطة المخيم) حيث يقوم عناصر الشرطة بضربهم وتوبيخهم تحت مسمى التأديب لكونهم غير منضبطين أخلاقياً.

المؤلف: من هو المبلغ، هل هو مبعوث من قبل الأحزاب الدينية العراقية؟ أم دوائر الأمن الإيرانية؟

هو مبعوث من مكتب شؤون المبلغين الجناح التبليغي للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، والمجلس الأعلى الذي كان يقوده السيد محمد باقر الحكيم، والمبلغ يقوم بعدة أمور منها عقد زواج شرعي ورسمي للمتزوجين.

مهاجرو منتصف تسعينات القرن العشرين من جنوب العراق وشماله

الصحفي أحمد الياسري، المقيم في سيدني في أستراليا هو أحد المهاجرين أواسط تسعينات القرن العشرين وقد أجاب عن أسئلتني بمعطيات تختلف قليلاً.

المؤلف: ما عدد اللاجئين العراقيين في إيران، وعلى مدى أي سنوات هاجروا إلى هذا البلد؟ أين كانت مناطق اسكانهم؟

ليس هناك أعداد محددة للاجئين العراقيين في إيران لسبب تعدد الهجرات العراقية إلى هذا البلد، والمهجرون ينقسمون إلى:

مسفرون إيرانيون (من الكرد الفيلية) ولدوا في العراق وجرى تفسيرهم عام 1970 في زمن البكر، ومسفرون عراقيون من أصول إيرانية تم تفسيرهم في

زمن الحرب العراقية الإيرانية بأعوام الثمانينات (وتطلق عليهم تسمية معاود بالفارسية).

المهاجرون "مجاهدين": هم عراقيون هاجروا إلى إيران لدواعٍ سياسية إما لارتباطهم بأحزاب معارضة أو مستقلون تعرضوا لمضايقات النظام السابق فعبروا الحدود.

التوابون: وهم أسرى الحرب العراقية الإيرانية الذين انضموا إلى المعارضة وتم إخراجهم من معسكرات الأسر بقرار (مسجدي إيراني بأمر خميني وبعده خامنئي شخصياً) وشكلوا العمود الفقري لفيلق بدر .

الثوار: وهم ثوار الانتفاضة "الشعبانية" الذين لجأوا إلى إيران بعد سيطرة الجيش العراقي على المناطق الجنوبية عام 1991 وهم يشكلون عماد سكان معسكرات اللاجئين أو "الأوردگاهات" كما أن كثيراً من اللاجئين العراقيين لم يكونوا مسجلين بسجلات الدولة الإيرانية ولم يمنحوا إقامة أو الكارت الأخضر لذلك يصعب حصر أعدادهم . في الحقيقة أن إيران كانت محطة لهروب اللاجئين لدول أخرى لذلك هاجر العديد منهم إلى أوروبا وأستراليا بأوقات متقاربة.

المؤلف: وفق أي ضوابط جرت معاملتهم، حيث أن كثيرين منهم منحوا إقامة مقصورة على المخيمات، بما يجعلها محدودة بسياج المخيم، فلا يعملون خارجه ولا حق لهم بذلك، فيما منح عدد قليل من اللاجئين حق الإقامة في المدن مع كارت إقامة دائم يتيح لهم حرية التنقل والعمل، لماذا هذه الفوارق؟

مناطق سكناهم كانت مدينة قم عاصمة اللاجئين العراقيين بإيران، ثم طهران وتحديدا ضاحية دولت آباد العراقية ، كذلك "الأوردگاهات" في الأهواز وشيراز وآراك وازنا وايلام ، ومنحت الإقامة حسب القدم، فاللاجئون في زمن الحرب كان حصولهم على الكارت الأخضر أسهل بكثير لحاجة إيران إليهم بالحرب (ضد الجيش العراقي في الحرب العراقية الإيرانية)، أما بعد الحرب فأصبح الحصول على الإقامة صعباً، وعاش معظم اللاجئين دون اقامات وكانوا يتعرضون لحملات منظمة للتفسير لشمال العراق، وتعتبر فترة وصول الإصلاحيين نهاية التسعينات للحكم الفترة المظلمة التي هاجر بها العديد من اللاجئين حيث وصل استراليا

ونيوزلندا من إيران قرابة 4000 لاجئ عراقي غرق العديد منهم في المحيط بسبب الهجرة.

المؤلف: هل لنوع الإقامة الممنوحة للاجئين علاقة بتوجهاتهم السياسية ومدى "ولائهم للجمهورية الإسلامية في إيران" كما اشتكى لنا كثيرون؟ وما قوة الأحزاب الشيعية العراقية في داخل حدود المخيمات؟

القرب من الأحزاب والبعث لم يكن يؤثر كثيراً على قرارات دائرة الهجرة الإيرانية، والحقيقة أنّ قلة موارد العيش فرضت على اللاجئين الانتماءات الحزبية، فاللاجئون كان الكثير منهم منتمين لفيلق بدر أو الحوزة العلمية لوجود رواتب تساعد في العيش ودليلي أن أغلب اللاجئين الذين عادوا إلى العراق تم تهميشهم من قبل الأحزاب وتسريح العديد منهم والاعتماد على كوادر جديدة داخل العراق تحمل فكرة الولاء للحزب وليس الهجرة مع الحزب.

المؤلف: يقال إنّ "دولة المساجد العميقة في إيران" هي التي تحدد الموقف من اللاجئين ومستقبله، هل هذا صحيح؟

اللاجئون العراقيون في إيران كانوا مضطهدين وقد أجبرتهم الحكومات الإيرانية على الهجرة بسبب التهميش والتمييز الذي تعرضوا له في إيران، وتعرضوا لتهميش أكبر حين عادوا للعراق لأنّ الكثير من شرائح الشعب حملتهم مسؤولية فشل الأحزاب الدينية واعتبرهم البعض عملاء لإيران وإذا حاولوا الدفاع عن أنفسهم وشرح مظلوميتهم في إيران يتهمون بالعداء للمذهب والجمهورية الإسلامية، إضافة إلى أنّ أغلب أبنائهم عاشوا أميين بسبب منعهم من التعليم وعدم الاعتراف بالمدارس العراقية أسوة بالمدارس اللبنانية.

الجمهورية الإسلامية.. المشروع الأخطر

يخطئ من يرى في تركيا والسعودية ودول الخليج مشاريع اسلامية تهدد بأخونة العالم. المشروع الإسلامي الأكبر والأول والدائم هو إيران.

أول هواجس قائد الدولة الإسلامية خميني كان تصدير الثورة، وهو هاجس أشعل حرباً ضروساً بين العراق وإيران، ولم يتغير بل زاد خطره وتمدده. ويمكن القول هنا أن شعار "باقية وتمدد" تردد في مساجد إيران منذ ثمانينات القرن الماضي، وعليه قام جوهر "الجهاد" الإيراني لنشر التشيع على طريقتهم، وبهذا تقدمت إيران على داعش في الشعار.

ولابد من التذكير هنا، أن الجمهورية الإسلامية في إيران هي التجربة التي روج لها سيد قطب وحسن البنا في مشروعاتهما الإخوانية المرعب الذي انطلق مطلع ومنتصف القرن العشرين، وما زال يهدد أمن العالم، ولكن والمفارقة هنا- نجاح المشروع الحلم لم يتحقق في رحم الممالك العربية ودول الخلافة الإسلامية، بل ولد في أرض فارس وتخومها، والمفارقة الأخرى أن مشروع دولة الخلافة الإسلامية والجهاديين لم يولد في بلد عربي كما أراد له الإخوان، وبعدهم أسامة بن لادن، بل ولد في أفغانستان، ضمن مشروع إمارة طالبان التي تأمرت على الولايات المتحدة الأمريكية بدعم مباشر من إيران.

إيران دعمت مشروع دولة الخلافة الإسلامية في أفغانستان، وحين هجمت الولايات المتحدة على أفغانستان عام 2001 واسقطت نظام طالبان والقاعدة فيها، لجأت قيادات القاعدة وطالبان إلى إيران ووجدت حضاناً دافئاً يحميها، ولكنه لا يسمح لها أن تنشط وتتمدد في قلب الجمهورية الإسلامية.

يبدو المشهد سريالياً، لكن حقيقة الأمر أن إيران إسوة بكل المشاريع الإسلامية الأخرى، تتبنى أيديولوجية أممية بشأن الإسلام، وحكومة الجمهورية الإسلامية، ترى في المشروع الإخواني إن نجح، انتصاراً للإسلام بفرعه السني، وانتصاراً لدولة الخلافة الإسلامية، حتى إذا وصل الخلاف العقائدي بينهما إلى مرحلة التذابح.

ولعل المفارقة الكبرى تجسدت في قيام أول جمهورية اسلامية، خارج العالم العربي، ولدى الغريم الشيعي إيران، وهي مفارقة تلتقي بمفارقة علمانية يسارية أخرى، فدولة البروليتارية التي تنبأ بقيامها كارل ماركس وهيغل، لم تقم في بريطانيا كما توقعنا، ولا في ألمانيا الصناعية كما تنبأ كثيرون، بل قامت في روسيا الأرثوذكسية الفلاحية الشاسعة، ومنها تمددت إلى أوروبا الشرقية.

التاريخ والجغرافية تشهد أن الشيعة كانوا على مر الحقب الجناح الأكثر تسامحا في الإسلام، بل يرجع البعض هذا إلى طبيعة سيكولوجية الإمام علي الذي وصفه رموز السنة والخلافة الاسلامية عمر بن الخطاب، وأبو بكر، وعثمان بن عفان بأحسن وصف، لكنهم اضافوا اليها دائما همزاً بأنّ فيه ليونة لا تصلح للحاكم، ولا تناسب موقعه.

وهذا الموروث، جعل الشيعة دائما عاطفيون، يغلبون جانب المظلومية على جانب القوة. إلا أنّ الجمهورية الإسلامية في إيران غيرت هذه القراءة، وجعلت فيها قوة صادمة، وإسرائيل بالذات، ترى أن الخطر على الدولة العبرية يأتي من إيران ومشروعها الشيعي، وليس من السعودية وقطر وتركيا ومشاريعهم السنية.

وقد تنبه كثير من رموز الشيعة في إيران، بغض النظر عن تحدرهم القومي والاثني إلى هذه الحقيقة، وحاولوا ان يثبوا سلطة الملالي عن عزمها، فكان لهم سجلات معها انتهت في الغالب لصالح خامنئي، رغم ان المعسكر الثاني ضم أسماء كبرى، منها أولاد خميني، وآية الله حسين علي منتظري خليفة خميني المعزول الخاضع للإقامة الجبرية بمدينة قم منذ عقود.

أحمد نجل منتظري، وهو رجل دين متمرد على سلطة خامني نقلت عنه بي بي سي فارسي في خريف عام 2018 القول إن عناصر الحرس الثوري هم من نقلوا المتفجرات إلى مكة في السعودية خلال أحداث حج عام 1986 وجرى ذلك بأشراف هاشمي رفسنجاني، وبمعرفة الجنرال شمخاني . ولا بد من التذكير هنا أنّ هذا جرى في أوج الحرب العراقية الإيرانية، التي عانت منها إيران بشدة، ومع ذلك بقيت أحلام تصدير الثورة على طريقة الإخوان المسلمين تراود سياسة المساجد العميقة في إيران.

صناعة المساجد الإيرانية تجتاز البلاد العربية

والحديث هنا عن صناعة الرجال وصناعة الحركات. فالحركة الحوثية "أحرار الله" في اليمن، وحزب الله في لبنان، والتنظيمات الشيعية المتعددة المسلحة في العراق، كلها حركات تقودها شخصيات انتجتها مصانع الثورة الإسلامية في إيران.

موسى الصدر

موسى الصدر، عاملي ولد في إيران ودرس في حوزتها وحوزة النجف. شخصية مثيرة للجدل وحولها تحوم شكوك وظلال، ما لبث أن اختفى في ليبيا عشية الثورة الإيرانية، وفيما اتجهت أصابع الاتهام إلى العقيد القذافي بتغييبه، فإنّ التحقيقات الصحفية والوثائق التي جرت ونشرت بعد سقوط نظام العقيد الليبي كشفت أنّ إيران الإسلامية بالتعاون مع نظام العقيد تقف وراء قتله.

السيد موسى الصدر والذي يلقبه محبوه واتباعه بالإمام موسى الصدر، لبناني من جبل عامل، أمه إيرانية من مشهد، ولد عام 1928 في قم بإيران، واختفى في 31 آب/ أغسطس 1978 في ليبيا. يوصف بأنه عالم دين ومفكر وفيلسوف وسياسي. درس في الحوزة الإيرانية بمشهد وقم، وله تحصيل أكاديمي في إيران. غادر قم إلى النجف لاستكمال دراساته الدينية وعاد إلى إيران بعد ما عرف بثورة تموز 1958 في العراق.

هو اذا ابن إيران، ومن المساهمين فعلا في الإعداد للثورة، لكنّ مقتل العقيد القذافي بالطريقة المعروفة كشف حقائق مذهلة عن غيابه المثير للأسئلة.

ففي 25 آب/ أغسطس 1978، غادر الصدر واثان من أصحابه إلى ليبيا للاجتماع مع المسؤولين الحكوميين بدعوة من معمر القذافي. وقد شوهد الثلاثة للمرة الأخيرة في 31 آب/ أغسطس واختفوا بعد ذلك.

هنييعل نجل العقيد القذافي كشف لصحيفة لبنانية عن حقائق اتهم من خلالها عناصر من اتباع النظام الليبي باختفائه مشيراً الى "دور أركان في النظام في الضلوع في اختطاف الصدر"، مؤكداً بالذات على كل من الرائد عبد السلام جلود، رئيس الوزراء والرجل الثاني في ليبيا بعد معمر القذافي، ووزير خارجية ليبيا الأسبق موسى كوسا المتواري منذ سقوط نظام العقيد الليبي في عام 2011.

نقلت وقائع التحقيق اللبناني الجاري مع هنييعل صحيفة "الأخبار" اللبنانية في عددها الصادر في الخامس عشر من يناير 2017 هذه التفاصيل عن جلسة استماع اجراها القضاء اللبناني مع المشار اليه مشيرة الى أن هنييعل قال خلال الجلسة: "أنا مستعد للتعاون لحل القضية"، وعندما سأله القاضي عن كيفية تحقيق ذلك، قال: "فور إخلاء سبيلي أنا قادر على التواصل مع شخصيات أساسية كانت في الحكم داخل ليبيا للوصول إلى خواتيم القضية"، لافتاً إلى أن معمر القذافي بريء من خطف الإمام الصدر ورفيقه، وأنه فقط يتحمل مسؤولية مدنية تتعلق بتعويض عائلات الضحايا، لكون العقل المدبر لعملية الخطف مسؤولاً رسمياً في نظامه.

وكشف هنييعل أن عبد السلام جلود نقل الصدر إلى منطقة جنزور في ليبيا لوضعه قيد الإقامة الجبرية، لكنه لفت إلى أنه لم يعد يعرف ماذا جرى بعد ذلك؟

من جانبه قال الدكتور علي نوري زادة، وهو صديق شخصي للصدر ويرأس مركز دراسات متخصصاً في الشؤون الإيرانية في لندن، إن الصدر كان أول من شعر بخطر وصول المتطرفين إلى الحكم في إيران أواخر سبعينيات القرن الماضي، وأجرى اتصالات سرية مع الشاه محمد رضا بهلوي، وهو ما علم به الخميني ومن حوله، فقرروا التخلص من الصدر الذي بات يشكل خطراً عليهم وعلى طموحهم بالاستيلاء على الحكم في إيران، رغم قربهم عائلياً وعقائدياً، وهو ما تم بالفعل بالتواطؤ مع نظام القذافي في ليبيا الذي كان على علاقة سيئة مع نظام الشاه في إيران.

ونقلت صفحة "العربية نت" عن نوري زادة علمه بالاتصالات التي جرت بين الصدر والشاه، مشيراً إلى أن واحدة من الرسائل التحذيرية التي أرسلها موسى الصدر وصلت خميني بدلاً من الشاه، فقرّر الأخير وأتباعه في إيران التخلص من الصدر الذي كان يعد مشروعاً ينافس مشروع خميني للجمهورية الإسلامية.

وصدر في الولايات المتحدة كتاب البروفيسور أندرو سكوت كوبر، الذي يثبت بالوقائع كيف تخلص خميني من موسى الصدر، مؤكداً أن القذافي وعناصر نظامه كانوا أدوات التنفيذ فحسب، ويعود الكاتب الأميركي للقول إن الصدر قتل في ليبيا ومن ثم وضع في تابوت خرساني وألقي في وسط البحر الأبيض المتوسط، بينما قال نوري زادة لـ "العربية نت" إن القذافي وضع جثة الصدر في بركة من الأسيد وقام بتذويبها فاختفى كل شيء.

و ما يؤكد تورط حاشية خميني بمؤامرة قتل موسى الصدر - بحسب زادة - أنه منذ وصول خميني إلى الحكم وسقوط الشاه في إيران لم يعد النظام في إيران يطالب ليبيا بمعلومات عن الصدر، بل تلقى انصار خميني أموالاً وأسلحة من نظام القذافي ضمن اتفاق ثنائي على إغلاق ملف الصدر وسكوت الجميع عن اختفائه.

إحراق سينما "ريكس" بعبادان - حجر أصاب عدة عسافير!

السر الكبير الذي أراد موسى الصدر كشفه، والذي كان سبباً مباشراً لتغييبه، هو قيام حزب جمهوري إسلامي وعناصر مؤيدة له وعناصر إسلامية اخترقت جهاز مخابرات الشاه "سافاك" بإحراق سينما "ريكس" بمدينة عبادان العربية جنوب إيران والذي أدى إلى مقتل أكثر من 420 شخصاً فيها حرقاً واختناقاً. وفي اليوم التالي ظهرت الصحف الإيرانية التي روّجت لمشروع خميني وحزب الله بعنوان واحد كبير "آتش سوزی سینما رکس" مع صور مروعة للقتلى الذين جرى إغلاق الأبواب عليهم، واحراق المداخل بحيث التهمت النيران الجميع. الحريق كان حجراً اسقط عدة طيور، ومن أهم نتائجه:

* الاعلان الصحفي والاعلامي بأن عناصر السافاك هم من أحرقوا دار السينما، ونشر الخبر بشكل واسع، وهو ما بات يعرف اليوم بصناعة الأخبار " فيك نيوز" التي تستهدف لي عنق الحقائق.

*رسالة من عناصر الثورة الإسلامية بشكل خفي إلى الشعب الإيراني لإرعابه .

*التخلص من التوجه العربي الذي كان يسود عبادان ونزوع أهلها إلى الاستقلال.

*الصور المرعبة التي نشرت للقتلى ساهمت في تحييد كثير من الحركات السياسية وعزلها عن قواعدها خوفاً أن تلقى نفس المصير على يد عناصر النظام القادمين إلى السلطة.

كل هذا كان موسى الصدر على علم به، بل أنه علم تماماً بمن يقف وراء تنفيذ الجريمة، وقد أرسل رسالة إلى السفير الإيراني في السعودية آنذاك جعفر راند وأبلغه بأنه يعرف من قام بهذه الجريمة، وقال له إن هؤلاء لن يتوقفوا عن أعمالهم حتى يتمكنوا من الوصول إلى السلطة، ولم يذكر حينها اسم خميني، وإنما حاول الاتصال مع الشاه.

الحقيقة أن موسى الصدر وعلى عكس ما يروج اتباعه ومحبه، كان على صلة وثيقة بحكومة شاه إيران، ولكن دب خلاف بينهم، بسبب سلوك سفير إيران في بيروت وكان ضابطاً في السافاك اسمه منصور قدر، كره موسى الصدر وعاداه خاصة بعد أن سافر الصدر إلى إيران وقابل الشاه وطلب منه إنشاء مستشفى ومعهد للشيعة في جنوب لبنان، فوافق الشاه على تحويل مليوني دولار إلى لبنان لتنفيذ المشروع، لكن السفير الإيراني في بيروت ماطل في تسليم المبلغ لموسى (صدر) - كما يسمى بالفارسية- فامتنع الأخير نهائياً عن قبول المال ومات المشروع، كما كشف صادق نوري زادة.

وتابع زادة: "كان في السفارة الإيرانية ببيروت رجل متعاطف مع الصدر، وهو رجل معروف ويقيم في فرنسا الآن واسمه معين زادة، حيث أتى به الصدر وسلمه رسالة إلى الشاه كان مضمونها: "يا جلالة الشاه: أنا أستطيع أن أتوسط بينكم وبين المعارضة، وقادة الجبهة الوطنية كلهم أصدقائي، عليكم تشكيل حكومة وحدة وطنية بزعامة مهدي بازركان، وأنا سوف أشجع معارضيك مثل قطب زادة، وشمران، أن يعودوا إلى إيران وأن يساعدوكم."

وبحسب الدكتور علي زادة فإن الوسيط تسلم الرسالة من الصدر وسافر بها إلى إيران، لكن رئيس الاستخبارات الإيرانية آنذاك الجنرال مقدم أخذ منه الرسالة لتسليمها إلى الشاه، لكنه بدلاً من تسليمها إلى الشاه، سلم نسخة إلى جماعة خميني في إيران.

ومن الأسرار الخفية وجود صلة قربة مباشرة بين خميني وموسى الصدر، حيث أن ابن خميني كان متزوجاً من ابنة أخت الصدر.

ولفت زادة الأنظار إلى رجل كان مقرباً من القذافي ويُدعى محمد صالح الحسيني، وهو عراقي من أصول إيرانية، وقد سافر شخصياً إلى ليبيا وتحدث إلى القذافي مؤكداً ضرورة إخفاء الصدر.

موسى الصدر إذاً، كان جزءاً من مشروع الثورة الإسلامية، لكنّ عناصر النظام الجمهوري الإسلامي قرروا التخلص منه في وقت مبكر، كما فعلوا لاحقاً مع كل من تحالف معهم لأسقاط نظام الشاه محمد رضا بهلوي المكروه جماهيرياً في إيران.

محمد باقر الصدر - صانع حزب الدعوة

مؤسس حزب الدعوة في العراق، ومن أنصار المرجعية الشيعية العراقية، وقد كان من أشهر تلامذته، محمود هاشمي شاهرودي رئيس السلطة القضائية في إيران . حسن نصر الله قائد حركة حزب الله في لبنان. محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الاسلامي الأعلى في العراق وأقرب المراجع الى سلطة ولاية الفقيه في إيران وقد قتل في العراق عام 2003 . محمد بن محمد صادق الصدر المرجع الذي اغتيل في العراق عام 1999.

اعتقل نظام صدام حسين "محمد باقر الصدر" فور نجاح الثورة الإسلامية في إيران ووضع قيد الإقامة الجبرية في داره عشرة أشهر ثم جرت محاكمته واخوته بنت الهدى سوريا بتهمه العمالة والتخابر مع دولة أجنبية وهي إيران، ونفذ فيهما حكم الإعدام في التاسع من نيسان/ ابريل 1980. ويعتقد كثيرون أنّ أدلة الإدانة التي استندت عليها قضية الصدر كان مصدر معظمها نظام ولي الفقيه في إيران والسؤال هنا : لماذا فعل نظام خميني هذا بحليفه وربيبه وأكبر داعم لمشروعه في العراق وضد نظام صدام والبعث؟

حسب موسوعة ويكيبيديا أفتى محمد باقر الصدر الذي يسميه اتباعه بالفيلسوف والمفكر الاسلامي الفذ بحرمة الانتماء لحزب البعث، حتى لو كان الانتماء سورياً، فكان هو المرجع الوحيد الذي أفتى بذلك، وحزب البعث في أوج قوته وهو أحد الأسباب التي أدت إلى قتله.

تأييده للجمهورية الإسلامية في إيران وقد أرسلت حكومة البعث إليه موفداً يطلب منه التراجع عن مواقفه المؤيدة، فرفض الطلب علناً.

لكن مصادر كثيرة تؤكد أن القضية مدبرة بشكل مباشر من نظام ولي الفقيه، فحين كان خميني في النجف انقسم رجال الدين فيها إلى:

*جماعة المرجع الخوئي ومؤيدي مرجعية النجف الرافضيين لمشروع خميني ومشروع محمد باقر الصدر وحزب الدعوة، وهذا يفسر اقدام أنصار مقتدى الصدر على قتل عبد المجيد الخوئي نجل السيد الخوئي طعنا بالسكاكين والسيوف

في حرم الإمام علي بالنجف بعد يوم واحد من سقوط نظام صدام حسين كما مر ذكره. و صدر إثر ذلك أمر من قاض عراقي باعتقال الصدر لكنه لم ينفذ حتى الآن بسبب التوازنات السياسية القائمة في العراق.

*جماعة حزب الدعوة ومؤيدي نظرية ولاية الفقيه وعلى رأسهم محمد باقر الصدر الذي دخل في صراع مع السيد الخوئي واصفا مرجعيته بالضعيفة، فأبعد عن الحوزة العلمية في النجف، وما لبث أن أعلن الصدر نواياه في التصدي للمرجعية بنشر رسالته العلمية "الفتاوي الواضحة" ووجه خطاباً إلى حزب الدعوة قال فيه :

"أنا معكم ولن أتخلف عنكم لحظة واحدة غير أنني رأيت في الوقت الحاضر أنّ الحركة الإسلامية لا تؤدي دورها المنشود إلا بدعم المرجعية لها.. كما لا غنى للمرجعية عن الحركة الإسلامية فكل منهما يدعم الآخر وأنا أرى من الآن التصدي للمرجعية هو الوظيفة الشرعية وهو المطلوب والمطلوب منكم دعم هذه الفكرة". وهكذا تباعد حزب الدعوة ومحمد باقر الصدر عن مشروع دولة ولاية الفقيه

طبقاً لبعض التحليلات العميقة، أمتلك محمد باقر الصدر مقومات التصدي للمرجعية في النجف، وامتلك قيادة حزب الدعوة واسع الانتشار في العراق آنذاك، وامتلك كاريزما القائد وهو مرجع عربي، وكلها أسباب تجعل من خميني يرى فيه منافساً خطيراً، فقرر اتباع حزب جمهوري إسلامي إيران كشف دور الصدر في التعامل مع خميني والثورة الإيرانية بشكل سيقود حتماً إلى قيام نظام البعث بتصفيته مهما كانت عواقب مثل هذا الإجراء، وهو ما جرى فعلاً.

ويعتبر كثيرون اقدم السيد محمد باقر الصدر على إرسال محمود هاشمي شاهرودي ممثلاً عن مرجعيته في إيران، القشة التي قصمت ظهر البعير، والسكين التي قطعت ما تبقى من خيط الود بينه وبين مرجعيات ولاية الفقيه في إيران، فأرسل خميني رسالة صريحة إلى محمد باقر الصدر عبر صوت الجمهورية الإسلامية من إذاعة طهران العربية والتي كانت تحت سمع وأنظار السلطات العراقية، وجاء في الرسالة:

"سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد محمد باقر الصدر دامت بركاته. علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث، إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية، وإنني قلق من هذا الأمر أمل إن شاء الله إزالة قلق سماحتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

*أغرب ما في الرسالة حطها من قدر السيد محمد باقر الصدر بتسميته بـ "حجة الإسلام والمسلمين" فيما كان الصدر بمرتبة آية الله العظمى.

*إشارة الرسالة إلى نية الصدر بمغادرة العراق فاجأت حتى السيد محمد باقر الصدر الذي لم ينو القيام بهذا العمل، وفسرت السلطات العراقية طلب نظام ولي الفقيه من السيد الصدر عدم مغادرة العراق في الظرف الراهن آنذاك بأنه لغرض استلام حكم العراق بعد إسقاط نظام البعث وصدام حسين.

*الأمر الأخطر هو بث الرسالة من الإذاعة الرسمية الإيرانية، ما يعتبر تحريضا صريحا لسلطة البعث وصدام حسين ضد الصدر وضد عموم حزب الدعوة.

خلاصة ما جرى، أنّ نظام صدام حسين أقدم على اعدام السيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى بناء على تحريضات وإيحاءات أطلقها نظام ولي الفقيه وأجهزة اعلامه في مطلع قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. وكان هذا المشهد جزءا من أسباب قيام الحرب العراقية الإيرانية في أيلول/ سبتمبر 1980.

حزب الله من إيران إلى عباس الموسوي

السيد عباس الموسوي، ثاني أمين عام لحزب الله اللبناني. درس العلوم الإسلامية في النجف في العراق تلميذاً للسيد محمد باقر الصدر مؤسس حزب الدعوة فلي العراق. انتخب أميناً عاماً لحزب الله سنة 1991 ثم اغتالته إسرائيل في جنوب لبنان عام 1992.

ولد عام 1952 في منطقة الشياح في الضاحية الجنوبية. وغادر عام 1971 سوريا التي كان يتدرب فيها في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين إلى العراق ليتابع دراسته تحت محمد باقر الصدر.

وفي نهايات سبعينيات القرن العشرين غادر العراق بعد 9 سنوات، وكان أول عمل قام به جمع طلاب العلوم الدينية الذين أبعدها من النجف في حوزة، هي حوزة الإمام المنتظر، في مدينة بعلبك وذلك بدعم وتمويل آية الله السيد محمد حسين فضل الله. سعى إلى تأسيس تجمع العلماء المسلمين في العام 1979، ليكون أول تجمع علمائي في لبنان ويتسع لاحقاً ليضم موالين للثورة الإيرانية.

قامت حركة حزب الله في لبنان تمهيدا لقيام الجمهورية الإسلامية في لبنان على نمط دولة ولي الفقيه في إيران. وقد أعلن الحزب في بيانه الصادر في 16 فبراير/شباط 1985، أنه "ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله الموسوي الخميني مفجر ثورة المسلمين وباعاً نهضت نهضة تهمة المجيدة".

عناصر الحزب كانت ترفع صور خميني، ويلهج خطبائه باسمه صباح مساء، لكن توجهات الحزب اختلفت خاصة بعد مقتل عباس الموسوي الذي مثل صدمة كبرى لكثير منهم، فبات عناصره يقولون في كل محفل "الظروف الموضوعية لا تسمح بإقامة الجمهورية الإسلامية في لبنان"، ثم اعلنوا أن تعدد الطوائف في البلد لا يسمح بذلك، وبرز تيار فيه يقول إن إسرائيل وأميركا لا تسمحان بقيام دولة إسلامية على حدود إسرائيل.

وتفاهم الانقسام بين حركة أمل وبين حزب الله حين بادر المرجع اللبناني المختلف تماماً مع نظام ولاية الفقيه السيد محمد حسين فضل الله إلى القول: "إذا نحن لا نطالب بإقامة الجمهورية الإسلامية في لبنان فلماذا وضعنا العمائم على رؤوسنا".

وما لبث أن أعلن عباس الموسوي موقف حزب الله في مهرجان حاشد في بلدة "جبشيت بالقول: عندما نصرّ على مقاومتنا لأن تكون إسلامية فعندها لا نريد إلا دولة الإسلام. لكنّ حزب الله آنذاك كان بعيداً عن الموقف الإيراني، قريباً من مواقف السيد فضل الله الذي لم يرق للجمهورية الإسلامية في إيران قط. ورفض خميني حتى وفاته استقبال السيد محمد حسين فضل الله في إيران.

وبقي هذا التحفظ قائماً حتى اغتيل عباس الموسوي، فتراجع الحزب عن موقفه المطالب بإقامة دولة الإسلام والمستمد من فتوى خميني بأن "النظام اللبناني غير شرعي ومجرم"، وانخرط الحزب في التركيبة الجديدة بعيداً عن الضوابط الإسلامية؛ لكن المخلصين لخط خميني بقوا على موقفهم دون تغيير رغم الوضع القائم.

وفي معرض بيانه لعلاقة عباس الموسوي وحزب الله بإيران كشف قائد الحركة الإسلامية في لبنان السيد صادق الموسوي في حديث لموقع حركة 14 مارس في عام 2009 أنّ "أولى الدفعات من الأموال التي تسلمها حزب الله هي من المبلغ الذي كان تحت تصرفي، لأنني كنت في ذلك الوقت مسؤولاً عن تنسيق الإعلام في منطقة الشرق الأوسط من قبل ممثل الإمام الخميني الشيخ معادي خاه، وقد دفعت مبلغ 40,000 دولار لتأمين مصاريف العمل الثقافي والإعلامي مع بداية مجيء الحرس الثوري الإسلامي إلى لبنان".

ومضى صادق الموسوي إلى القول "أما عن علاقاتي بكل من سماحة الشيخ صبحي الطفيلي أول أمين عام لحزب الله بعد تحوله من تيار إلى تنظيم وكذلك مع سماحة السيد عباس الموسوي الذي نال منزلة الشهادة في غارة اسرائيلية على سيارته، وسماحة الشيخ محمد يزبك الوكيل الشرعي العام لآية الله علي خامنئي في لبنان، فإنها قديمة تعود إلى فترة وجودي في منطقة بعلبك، حيث كان الشيخ الطفيلي في قرية بريثال ثم انتقل إلى مدينة بعلبك، والسيد عباس الموسوي أيضاً كان يسكن بلدة النبي شيث ثم انتقل أيضاً إلى بعلبك، والشيخ يزبك كان يسكن بلدة

بوداي وانتقل أيضاً إلى بعلبك، وهؤلاء هم الذين أسسوا حوزة الإمام المنتظر بعد ذلك في مسجد الإمام علي (ع) في مدينة بعلبك".

قبل قيام هذه الحركة الموالية لإيران، أقام إسلاميون شيعة آخرون حركة "أمل" في منطقة البقاع على يد موسى الصدر المغيب في ليبيا (الذي مر الحديث عنه بشكل مفصل) وكانوا لا يقبلون أي تحرك آخر في الساحة الشيعية، وكانوا ينظرون بعين الريبة لكل نشاط إسلامي خارج الحركة، رغم أن بعضهم كان ينتمي إلى "حزب الدعوة" الذي يريد إقامة جمهورية إسلامية بمرجعية غير إيرانية بعيدة عن مبدأ ولي الفقيه.

ومن الحقائق التي لم تعد تخضع للجدل أن حزب الله اللبناني أنشأه في الأصل قسم حركات التحرر في الحرس الثوري الإيراني "فيلق القدس"، وكان رجل الدين الشيعي اللبناني صبحي الطفيلي أول زعيم للحزب و اختلف لاحقاً مع طهران وبات من معارضيها ليخلفه عباس الموسوي الذي اغتيل في عام 1992 ليتزعم الحزب من بعده حسن نصر الله. اليوم، يعتبر حزب الله مرشد نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية علي خامنئي مرجعه الأعلى، ويعتبر الحزب حسن نصر الله أمينه العام، وكيلاً شرعياً لخامنئي في لبنان.

ما حقيقة النفوذ الإيراني في اليمن؟

الحوثيون في اليمن هم صناعة المساجد العميقة في إيران، فهم يسعون إلى احياء مجد دولة الإمام يحيى الظلامية التي منعت حتى المدارس والكهرباء عن اليمن قبل قيام ثورة العقيد عبد الله السلال مطلع ستينيات القرن العشرين. وفيما يرى كثير من اليمنيين أنّ إيران تدعم الحوثيين في شمال بلدهم وتدعم الانفصاليين في الجنوب، يعتقد آخرون أنّ السعودية تحاول أن تترجم الحراك الحوثي والجنوبي إلى مفردات تدخل إيراني. فهل اليمن ساحة صراع سعودي إيراني؟ وإلى أي حد يكرّس ذلك في كلا الحالتين سلطة المساجد العميقة، شيعة كانت أم سنية.

"الموت لإسرائيل، الموت لأمريكا"، هي ترجمة لشعار يتردد بمفردات فارسية في ساحات ومساجد إيران منذ قيام ثورتها الإسلامية في عام 1979، وهذه الكلمات باتت تُسمع اليوم في ميادين ومساجد وتجمعات صعدة بشمال اليمن، بل يطلقها مقاتلو الحوثيين في صولاتهم على الجيش اليمني. هذا ما نقله الصحفي اليمني علي الجرادي في حديثه من صنعاء مستدلا من تشابه الشعارات على أنّ إيران تتدخل في الشؤون الداخلية لبلده.

وكان الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي قد دعا في 31 آذار/ مارس 2014 إيران إلى وقف دعمها للانفصاليين في جنوب البلاد وللجماعات الدينية في شمال اليمن، وقد نقلت صحيفة الحياة اللندنية هذه التصريحات، وبدوره أشار الصحفي الجرادي إلى هذه التصريحات كدليل يدعم اتهاماته لإيران بالتدخل في شؤون بلده، مضيفاً أنّ "هناك باخرتين إيرانيتين ضبطتا وهما تحملان السلاح إلى اليمن وقد عرض التلفزيون الرسمي اليمني فلما عنهما، كما أنه تم ضبط خلية تجسس إيرانية في اليمن وأعلن ذلك رئيس الجمهورية في حديثه مع قيادات الجيش."

د. علي رمضان الأوسي مدير مركز دراسات جنوب العراق والناشط في شبكة المراقب الدولية تحدث من مكتبه في لندن نافيا ما وصفه بقصة سفينة الأسلحة الإيرانية التي ضبطت في اليمن ومشيرا إلى أنّ التحقيقات "كشفت بوضوح مصدر تلك الأسلحة التي نقلت بالطائرات ثم شحنت بالسفن إلى القوى المسلحة

المتصارعة في سوريا" دون أن يشير إلى المصدر كما لم يسم القوى المسلحة المستفيدة من تلك الأسلحة، معتبرا أن كل التهم الموجهة إلى إيران تفتقد إلى دليل.

"فضائيات إيرانية تدعم الحوثيين والانفصاليين الجنوبيين تبت من لبنان"

تصريحات الرئيس اليمني قد تسبب مزيدا من التوتر في العلاقات بين اليمن وإيران التي نفت مرارا تدخلها في شؤون اليمن، رغم أن المصالح الإيرانية في اليمن قد تعرضت لاعتداءات متكررة، إذ اختطف مسؤول بالسفارة الإيرانية في العاصمة صنعاء في وقت سابق من عام 2014، فيما أصيب دبلوماسي إيراني آخر بجروح بالغة اثر مقاومته مسلحين كانوا يحاولون اختطافه.

وفي معرض حديثه عن تفاصيل التدخل الإيراني في شؤون بلده، كشف الصحفي علي الجرادي عن وجود فضائيات تتكلم باسم ما وصفها بالحركة الانفصالية في جنوب البلد وباسم من وصفهم بـ"الحوثيين" في الشمال، مؤكدا أن هذه الفضائيات تبت من لبنان وتشرف عليها وتمولها المخابرات الإيرانية، حسب قوله.

وفيما يبدو المشهد متداخلا في اليمن، ويصعب على المراقب فرز المواقف وتحديدها، بوجود التغييرات السياسية المتعاقبة، وبإعلان اليمن دولة أقاليم فدرالية، وهو مبدأ رفضته مجموعة علي سالم البيض في الجنوب، يُحرز الحوثيون تقدما مضطردا، وقد نقلت وكالات الأنباء أخبارا عن اقتراب مقاتليهم من العاصمة صنعاء، وتهديدهم بنقل المعارك إليها، وهو ما أكده الصحفي علي الجرادي مشيرا إلى أن الحوثيين قد وصلوا إلى مسافة 40 كيلومترا عن العاصمة، لكنه استدرك نافيا أن يكون اقترابهم إلى هذا الحد منها يشكل تهديدا لها.

" الاتهامات بتدخل إيران في اليمن هي جزء من الحرب الدعائية السعودية"

أما د. الأوسي فقد أشار إلى أن "الاتهامات بتدخل إيران في شمال وجنوب اليمن هي جزء من الحرب الدعائية السعودية، لاسيما وأن المملكة العربية السعودية نافذة في داخل اليمن، وهي تسعى إلى أن تغطي على هذا التدخل فتلقي بالتهم على إيران وعلى غيرها."

الصحفي علي الجرادي لم ينف وجود تدخل سعودي في شؤون بلده، لكن كشف في الوقت نفسه أن إيران تتدخل بمد أذرعها العسكرية وتدعم الفصيل الجنوبي الذي يقوده رئيس اليمن الجنوبي السابق علي سالم البيض متوخية تحقيق السيطرة

على مضيق عدن البحري الاستراتيجي بغض النظر عن عدم وجود موقف مذهبي يجمعها بمواقف الفصيل الجنوبي الانفصالي، على حد تعبيره. فيما رفض الأوسي هذه المزاعم مشيراً إلى أن قضية صعدة ومشكلة عدن قديمتان جداً، نافياً أن يكون لإيران أي علاقة بهما، ومؤكداً على أن أهل عدن والجنوب ليسوا على مذهب الجمهورية الإسلامية في إيران لكي يمكن اتهام الأخيرة بدعمهم.

من يتابع وسائل الإعلام الإيرانية يرصد بسهولة مفردات الخطاب الذي يوجهه هذا الإعلام، والذي يستهدف في الغالب تسليط الضوء على الحرب في شمال اليمن، معتبراً إياها استهدافاً تدعمه السعودية للحوثيين (وهم من الطائفة الزيدية إحدى فرق الشيعة)، وهو ما يعتبره كثيرون دعماً للمشروع الحوثي في شمال اليمن. لكن د. الأوسي، علّق على هذا الأمر بالقول "إن لغة الإعلام الإيراني لا يمكن اعتبارها تدخلاً، بل هي انتصار لمظلوم يذبح من غير حق"، وأورد في هذا السياق مثلاً عن الدعم الإعلامي الفرنسي والبابوي للمسيحيين في سوريا، متسائلاً "هل يمكن اعتبار هذا الدعم تدخلاً في الشأن السوري؟"

جند السماء.. قادمون من مساجد إيران

ليس خارج المساجد العميقة الإيرانية ولا بعيداً عن عساكر ولي الفقيه، وضمن مبدأ تصدير الثورة الإسلامية يمكن النظر إلى ما عرف بحركة "جند السماء" وهي حركة شغلت المجتمع العراقي في عام 2006 ودخلت ضمن تفاصيل أحداث تاريخه الحديث.

تستمد هذه القضية خصوصيتها وأهميتها من الغموض الذي أحاط بالحركة ومؤسسها ضياء الكرعائي، الذي اتبع سياسة الاعتماد على الدين كقاعدة في النظرية والعمل والاسم. لكن ما لم يتم الكشف عنه هو كيفية نشوء هذه الحركة، ووسائل كسب الأتباع وطرق تمدها ومصادر تسليحها وإمكانياتها المادية وعلاقتها السياسية والدينية، وتعدد الحكايات والتفسيرات التي تتحدث عن أسرار حركة جند السماء، والتي كانت محور كتاب القاضي العراقي زهير كاظم عبود، بعنوان "حركة جند السماء".

حركات لا تنتهي ضمن البيت الشيعي

في مطلع عام 2015 نشر في القاهرة كتاب حركة جند السماء لمؤلفه القاضي العراقي زهير كاظم عبود، والذي يكشف عن تفاصيل منتزعة من أوراق التحقيق في قضية محيرة أربكت المشهد العراقي واعتقد كثيرون أنها ستثير حرباً دامية تمزق البيت الشيعي في معقله الأخطر وهو مدينة النجف الدينية المقدسة عند الشيعة عبر العالم.

الانطباع الأول الذي يخرج به قارئ الكتاب هو أنّ العراق يتساقط ويضيع بنيانه الحضاري، وكلما تفاقم نفوذ الأحزاب الدينية وتنازعها على السلطة جنوباً وغرباً، فقد الإنسان العراقي ما تبقى من وعيه الحضاري ومن ثقافته، بل حتى من تحضره المدني الذي اكتسبه منذ قيام الدولة العراقية الحديثة في مطلع القرن العشرين.

وفي معرض تعليقه على انتشار الحركات الغيبية التي يقودها مدعو الإمامة، أشار القاضي زهير كاظم عبود، في حوار مع "العرب"، إلى أنّ قوة السلطة وقوة انتشار الثقافة تضعفان فكرة انتظار الغائب، وفي العقل الجمعي للناس

هناك فكر بسيط ومغرق في الجهل أفراده مغرمون بفكرة انتظار الغائب، إزاء ذلك هناك ثقافة عامة وانفتاح مجتمعي يضعفان هذه الظواهر.

من عشائر الكرعة خرج رجل يدعى ضياء عبد الزهرة كاظم الكرعاعي، اختلفت الروايات عن صعوده السريع وحتى في تفاصيل حياته، ففي سيرته فجوات عدة لكن أشهر محطاته تلك التي نشر فيها كتابه "قاضي السماء" وبات هو الإمام المنتظر كما كشفت الأوراق التحقيقية.

نقل القاضي عبود عن قريب للكرعاوي يدعى م ج الكرعاعي، ويبلغ من العمر 35 عاما وتحفظ على الكشف عن اسمه، قوله "لقد كان ضياء إنسانا عاديا وهو لم يكمل دراسته الثانوية ولم يدخل أي حوزة ولم يدرس في أصول الدين ولكن تحوّل في ليلة ويوم من إنسان عادي إلى شخص يعرف الكثير عن الدين ذلك بعد ما نجا بأعجوبة من حادث سيارة كسر فيها عموده الفقري وبدأ يروّج إلى أن الإمام المهدي ليس كما هو معروف لدى الشيعة وإنما هو نطفة من علي ابن أبي طالب أخذها جبرائيل منه وأخذ بويضة من فاطمة بنت الرسول ذلك يوم الكساء، وأخذها الله إلى السماء ليزرعها في رحم امرأة عراقية هي أم ضياء الكرعاعي، ومن هذه المضغة ولد المهدي المنتظر لدى الشيعة ولكن لا يعرفه أحد ولم يعلن عن نفسه بعد لحكمة هو يعرفها."

إفادات متضاربة وتاريخ من الاعتقالات

لا بد من الإشارة هنا، أنّ هذا الطرح ينسجم تماما مع طروحات المساجد العميقة في إيران، ومن يزرع الرياح، يحصد العاصفة، فإذا لم يكن الكرعاعي زراعة إيرانية، فإنه نتاج فكر غيراني مسجدي غيبي يروج لخرافات كبرى.

انتهى ما قاله قريب الكرعاعي في افادته أعلاه، لكن الإفادات اللاحقة في الكتاب لم تتفق مع أجزاء أو كل هذه الرواية؛ فأغلبها يذهب إلى أنّ ضياء كان متميزا بين أقرانه في المدرسة وظروف عائلته كانت أفضل من غيرها فأكمل دراسته المتوسطة والإعدادية والتحق بالحوزة العلمية في النجف لمتابعة دروسه الدينية.

ويمضي القاضي زهير في وصف ضياء مبينا أنه كان صبوح الوجه مستديره أبيض البشرة أصهب الشعر، ممتلئ الجسد ثقيل اللسان، وهي ملامح نادرة في بيئة جنوب العراق، وفوق ذلك كان قوي الشخصية قادرا على الإقناع.

في عام 2000 اعتقل ضياء الكرعاعي بتهمة الاحتيال والشعوذة وعرضت قضيته على محكمة الثورة آنذاك فحكمت عليه بالسجن سبعة أعوام، وأودع في سجن أبي غريب سيء الصيت.

وفي السجن ذاع صيته بين السجناء بأنه يقرأ الغيب ويتنبأ بمصائر الناس، وذهب البعض إلى أنه كان يقول لبعض المحكومين عن زيارات سوف تأتيهم فيتحقق كلامه، وكان ينبيء آخرين بتأجيل تنفيذ حكم الإعدام بهم، فنتحقق نبوءته. وانتقلت هذه الأخبار إلى ذوي السجناء فذاع صيته بين الناس وانتشرت سمعته خارج أسوار السجن حسب إفادات السجناء.

الثراء الغامض بعد السجن

يقول المؤلف إن ضياء الكرعاعي نجح بعد خروجه من السجن مباشرة في بناء شبكة علاقات مؤثرة واسعة، وتحول إلى تاجر ثري متنفذ، فأسس شركتين للاستيراد والتصدير أطلق على الأولى اسم "الضياء" وأطلق على الشركة الثانية اسم "بريق القمر" وأوكل إدارة الأعمال إلى المدعو عبدالكريم عبد الحسن، وباتت الشركتان واجهة يتجمع فيهما مؤيدوه وأنصار دعوته السرية.

وليس بوسع القارئ إلا أن يتساءل كيف لمن خرج من السجن أن يتحول إلى تاجر ثري، ومن أين له رأس المال الذي يؤهله لذلك؟ كما أن محطات أخرى في الكتاب أرجعت تاريخ الثراء إلى منتصف تسعينات القرن الماضي وهنا تختلف التواريخ والوقائع.

لا يتبين القارئ كيف ومتى أتيح للكرعاعي أن يسافر إلى إيران ويدعي الإمامة فيها (حيث أشير في البداية إلى أنه سافر إليها عام 1993 حيث لم تكن بين العراق وبينها أي علاقة، فكيف سافر؟).

الإشكال التاريخي الآخر أن الكاتب أشار إلى أنه قد أطلق سراح السجناء في نهاية شهر ديسمبر 2002 حين كان الحديث عن قرب هجوم دولي على النظام في أوجه، وكان من بين هؤلاء السجناء ضياء، فمتى ذهب إلى إيران ومتى ادعى فيها الإمامة، والفاصلة بين خروجه من السجن وسقوط نظام صدام حسين لا تتجاوز بضعة أشهر؟

ثم يذكر المؤلف أن السلطات الإيرانية أوقفت الكرعاوي على خلفية ادّعائه الاتصال بالإمام المهدي، ومنعته من الإقامة على أراضيها، ومنحته مهلة للسفر وخيّرتة إلى أين يريد الذهاب فاختر لبنان.

وجرى ترحيله إلى هناك حيث بقي فيها فترة من الزمن وأتقن اللهجة اللبنانية التي صار الناس يجدونها غالبية على لهجته العراقية (ما أثار شكوكهم لاحقاً). الحديث هنا أكثر غموضاً، فما هي المدة التي قضاها في لبنان ليتقن لهجة أهل البلد؟

القاضي زهير يؤكد أن الكرعاوي سارع بالعودة إلى العراق بعد إسقاط نظام صدام حسين في أبريل 2003، والمدة في مجملها التي شهدت كل تلك التطورات في شخصية الكرعاوي لا تتجاوز 3 أشهر؛ وهذا يضيف المزيد من الغموض إلى قصته.

هل يحاول القاضي زهير كاظم عبود أن يُخفي بعض الحقائق متلاعباً بالتواريخ أم أن حجم المعلومات المتيسرة لديه لا يزيد عن هذه؟

مملكة "قاضي السماء"

رواية الوقائع عن سيرة ضياء الكرعاوي وصعوده القوي السريع ومصادر تمويله التي بقيت غامضة تتعثر وتتباين هنا بشكل كبير، فقد استنفاد الكرعاوي من الفوضى التي عمّت العراق بعد سقوط نظام صدام حسين في عام 2003، ونجح مع بعض أقاربه في جمع أعداد كبيرة من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وحتى الأسلحة الثقيلة، من بينها رشاشات كلاشنكوف بأعداد قد تزيد عن 2000 رشاش وأعداد غير محددة من رشاشات آر بي كي الروسية الخفيفة وبي كي سي الروسية المتوسطة وأسلحة ديمتروف الكورية الشمالية الثقيلة بالإضافة إلى قاذفات آر بي جي سفن وقاذفات صواريخ مقاومة للطائرات من نوع ستريلا، علاوة على كميات كبيرة جداً من الأعتدة.

لا يذكر المؤلف أين جرى خزن كل هذه الأسلحة، لكن هذه الوقائع لا تبدو غريبة في عراق ما بعد 2003 حيث كانت البندقية تباع بـ 50 دولاراً وحربتها بخمسة دولارات، والرمانة اليدوية بخمسة دولارات والقاذفة آر بي جي بمئة دولار، والسلاح والعتاد كان مقدساً مهماً حتى في شوارع العاصمة.

الزرعة من مزرعة إلى حصن

يمضي الكاتب إلى القول إن الكرعاعي استقر مرة أخرى في مزارع الزرركة (القريبة جدا من النجف) بعد أن وسعها، ونجح في شراء نحو 100 دونم من الأراضي أحاطها بخندق وصفوف من أشجار السرو والصفصاف واليوكالبتوس، وطوقها بسائر ترابي بلغ ارتفاعه خمسة أمتار، محاط بخندق خارجي عميق، لمنع ورود المتطفلين والفضوليين إلى داخل المنطقة المحاطة.

وفي المزارع بدأ بتشيد أبنية ومساكن ومنشآت وحفر آبارا للسقي والشرب. ونجح في أن ينشئ منطقة تكتفي اقتصاديا بنفسها وتدير اقتصادها بنفسها من خبازة وزراعة وحلاقة وطبابة، ويعمل فيها رجال ونساء في مختلف التخصصات.

في هذه المستعمرة الصغيرة بدأ ضياء الكرعاعي يقيم إمارته، ولا عجب أن تتوالى بعدها الإمارات والولايات الإسلامية في أنحاء العراق والمنطقة عموما، فالناس باتوا يقبلون أيّ ادّعاء بحثا عن الخلاص، أي خلاص، وهم الذين عمّم الجهل وقتل المرض أطفالهم، ومزقتهم حروب الطوائف، ونهب أموالهم الساسة الفاسدون، فغاب التعليم عن مدن البلد، وحلت حلقات المساجد محل المدارس العصرية، وتراجع الوعي الصحي والاهتمام الطبي، وبات الناس يتعالجون بالحجامة ودكاكين الطب النبوي الوهمية، ومحلات العطاراة والدجل وما إلى ذلك.

معلقا على هذا الموضوع، قال القاضي زهير "ما لفت انتباهي في حركة جند السماء هو وجود مثقفين وواعين وخريجي جامعات وحاملي رتب عسكرية متقدمة في الجيش والشرطة فيها وقد قاتلوا حتى الموت دفاعا عن فكرة أن ضياء الكرعاعي هو الإمام المهدي فعلا، وأنهم بدفاعهم عنه لن يموتوا مهما حصل، ولكن المنتظر المزعوم قتل في النهاية والمدافعون عنه قتلوا أو أسروا وهي مفارقة كبيرة حقا."

اختلاط السردى بمفردات السياسة

تمويل الكرعاعي (قاضي السماء) يبقى سؤال مفتوح الاحتمالات، فالكاتب يشير إلى أنه اعتمد على تحويلات خارجية كانت تأتيه من محمد جاسم محمد حسن شبع الملقب بمحمد البريطاني حامل الجنسية البريطانية والمقيم في لندن، وهو ابن عم زوجة الكرعاعي السيدة انتظار خضير.

ثم يروي الكاتب في مكان آخر قصة سفر القائم المتجلي، أو سامر أو أبو قمر أو أبو الزهراء أو علي بن علي بن أبي طالب، وكلها من ألقابه إلى سوريا وعودته بحقيبة دبلوماسية مليئة بالنقود سلمها له شخص غامض. ثم يتحدث في مكان ثالث عن موارده المالية التي ترتبط بجماعة هيئة علماء المسلمين وزعيمها الشيخ مثنى حارث الضاري المتهم بالارتباط بتنظيم القاعدة وبارتكاب جرائم قتل وحياسة أسلحة وأموال تخص تنظيم القاعدة كما يروي مؤلف الكتاب. وفي مكان رابع يتحدث، نقلا عن رئيس الحكومة السابق نوري المالكي، عن أموال كانت تصل الكرعاوي من دول إقليمية دون أن يسميها.

ثم يورد الكاتب مقاطع من كتاب الكرعاوي الموسوم "قاضي السماء" جاء فيها "أعلن وأظهر لكم أنا قائم آل محمد في هذا الكتاب عن شخصيتي الحقيقية الموصوفة بلسان رسول الله (ص) والأئمة المعصومين عليهم السلام من صفات جسمانية تكوينية وعلامات ثبوتية وعلوم علوية أفاضية واكتسابية وصورة للسنخية -لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)- وبشهادة مبنية على أسس علمية وأدلة ثبوتية ومعرفة حقيقية لأصحابنا أعز الله مقامهم الثلاثمئة وبضعة عشر فاكتمل العدد واكتملت العدة والحمد لله".

كانت استراتيجية ضياء الكرعاوي تقوم على إنشاء مجاميع مسلحة عقائدية تتبعه باعتباره الإمام الحجة الذي ظهر ليملأ الدنيا عدلا بعد أن ملأها الظالمون جورا. وكانت تفاصيل الخطة تتضمن الهجوم في يوم العاشر من محرم (عاشوراء) عام 2007 على النجف، بعد أن يتسلل إليها أصحابه وهم يلبسون ملابس العزاء، وبعد أن تُهْرَب إليها الأسلحة، ثم يهجمون بشكل موحد على بيوت العلماء والمراجع فيقتلونهم جميعا، ثم يحتلون الحرمين في النجف، ومن ضريح الإمام علي يعلن الكرعاوي نفسه إماما للناس من نسل الرسول، مدّعا أنه الإمام الغائب المنتظر، وداعيا الناس إلى مبايعته. ونشر الكرعاوي بين أتباعه مقولة باتت قانونا "من يكشف سرنا كالشاهر سيفه علينا".

أسرار غير مكشوفة

وضم جيش الرعب الكرعاوي بين 400 إلى 1500 مقاتل بينهم ضباط سابقون في جيش صدام حسين، ومقاتلون في وحدات صدام الخاصة، وأطباء ومعلمون ومهندسون وتقنيون، حسب روايات لم يمكن التثبت من صحتها. وقد نشرها

القاضي عبود جملة وتفصيلا مفضلا أن لا يبدي فيها رأيا، فالمشهد اعتمد غالبا على إفادات أناس جهلة لا يحسنون حتى النظر والتقدير والحساب، كما أن التقديرات منتزعة من جنود هزم بعضهم في المعركة فأراد المبالغة بعدد المدافعين لتبرير هزيمته، أو من قادة وضباط أرادوا تعظيم قوة العدو ليصنعوا لأنفسهم قصة بطولة مطلقة كبرى. هذا غير أن كثيرا من الرواة كانوا ضمن تيارات دينية ومذهبية قريبة إلى حركة جند السماء وربما سعوا إلى بث المعلومات المبالغ فيها عمدا لبث الرعب في نفوس المهاجمين.

المعركة الغامضة

في يوم الهجوم الموعود على النجف، وقع بالصدفة اشتباك بالأسلحة النارية بين عناصر الدفاع عن مزارع (حصون) الزرعة وبين مفرزة عابرة من الشرطة، ثم تطوّر الأمر إلى استدعاء تعزيزات، وتطور بعد ذلك إلى قتال شامل تدخلت فيه طائرات أميركية مقاتلة. ونجح المدافعون في إسقاط طائرة أميركية وقتل طيارها، كما نجحوا في أسر بضعة جنود مهاجمين.

وجرى كل ذلك دون تدبير مسبق ودون أن تنجح أجهزة أمن النجف والمركز بغداد في كشف مزارع الحصون المتوارية في الزرعة، رغم أن فيها أكثر من 150 سيارة مسروقة وعددا من الجرارات الزراعية وصهاريج الماء، والشاحنات وسيارات الدفع الرباعي المثبت عليها رشاشات ثقيلة ومتوسطة.

المعركة استمرت نحو يومين وانتهت بمقتل عدد مختلف عليه من أنصار الكرعاوي، البعض أوصله إلى 600 قتيل حسب إفادات نقلها القاضي زهير، فيما أشارت إفادة أخرى إلى مقتل 280 عنصرا من جيش السماء وأسر الباقين، ولا ادري كيف يمكن التثبت من العدد النهائي وسط تضارب المعلومات. انتهت قصة "جند السماء" كما رواها الكتاب، وما زالت فيها أسرار غير مكشوفة.

تكريت: من قلعة صدام حسين إلى مدافع الجنرال قاسم سليمانبي

نجح الزلزال الذي غير أوضاع العراق في عام 2003 أن يحقق نقلة في مركز القوة الإيراني وضع هذا البلد على أبواب بيت عدوه، على مشارف تكريت وما تمثله في تاريخ صدام حسين وسلالته وأقاربه وحتى حزبه، وقف جنرال إيران القومي الشهير قاسم سليمانبي ليضع بصمته على لحظة تغيير سياسي وتكويني حاسم. إيران تدعم الحشد الشعبي العراقي وقوامه ميلشيات ومتطوعين شيعة في الغالب لتحسم الحرب ضد تنظيم "داعش"، الذي احتل تكريت وثلث العراق الغربي.

سكان تكريت، وقد يتبعهم سكان الأنبار والموصل، يقفون مذهولين، أمام المعادلات، التي انقلبت في أقل من نصف قرن. فأغلب جنرالات جيش صدام، الذي حارب إيران على امتداد ثمانينات القرن الماضي ينحدرون من تكريت وما حولها، وهي التي سميت محافظة صلاح الدين في نهاية ستينات القرن الماضي. وهاهم اليوم يقفون على مفترق خيارين، أحلاهما مر، فأما الخضوع لفوضى التوحش الداعشي العابرة للحدود والتي تلغي كل شخصية قبلية ودينية ومذهبية واثنيه، ولا تقبل إلا بببيعة مطلقة لخليفتها الغامض أبو بكر البغدادي، أو القبول بقوات طالما وصفها التكرارة (كما يطلق أهل العراق على أبناء مدينة تكريت) أنفسهم بأنها صفوية تدين بالولاء لإيران.

ولا يفوت المراقب ملاحظة أن عناصر تنظيم داعش قد هدموا قبر صدام في مسقط رأسه مدينة العوجة، باعتباره ضريحا يمثل شركاً بالله وهو ما يتعارض مع تعاليمهم المستوحاة في أغلب تفاصيلها من الوهابية، وهو ما خلق لدى سكان المنطقة، التي تفتخر بأنها أنجبت من يدعو به "قائد الأمة وفارسها"، حالة إحباط وخيبة دفعت قسماً من أعيانهم وشيوخ قبائلهم الى قبول فكرة الدعم الإيراني.

فجأة يجد أهل تكريت ومن حولها من المقربين لصدام حسين وحاشيته أن أملهم الوحيد وحليفهم الممكن في الحرب على داعش، التي لا تقبل شراكة هو إيران، بل تحديداً رجل إيران القومي، الذي يتصرف بتواضع الجنرال قاسم سليمانبي، الذي

يكنّى في الدوائر السياسية الشيعية "الحاج سليمان" دون إشارة إلى رتبته تحبباً وتقرباً أو تحفظاً وتكثماً.

سليمانى من الكواليس إلى البطولة والنجومية

قبل 10 سنوات لم يعرف أحد في إيران أو في المنطقة من هو الجنرال قاسم سليمانى، لكن الاحتكاك الأمريكى بالقيادات الإيرانية على مدى عقد من الزمن إبان الوجود الأمريكى في العراق وضع سليمانى تحت الأضواء. بل وصل الأمر إلى أنّ السفير الأمريكى لدى العراق رايان كروكر وفي مقابلة مع "بي بي سي" فارسي قبل عامين، قد دعا إلى الاستعانة مجدداً بالدور غير المباشر الذي لعبه الجنرال سليمانى في محادثات بغداد.

في داخل إيران، حيث تشيع أساليب التكتّم والسرية في تعامل المسؤولين مع الملفات الخارجية، لم يكن أحد يعرف الجنرال الغامض تقريباً، لكن حضوره المستمر في لبنان وسوريا والعراق وضعه تحت الأضواء، لدرجة أنّ الفائز الأول في مهرجان فجر للأفلام السينمائية في إيران محمد علي شعباني وبحضور الحاكم الروحي الأوحد لإيران آية الله خامنئي أهدى جائزته إلى "سردار حاج قاسم سليمانى"، وهو أمر نادر الحدوث في مثل هذه المناسبات في أجواء الحضور الطاغى للخامنئي والذي يشار إليه بتفخيم بالغ في إيران بعبارة "مقام معظم رهبري".

وفي تطور بطولي دراماتيكي (يُذكر إلى حد كبير بسطوع نجم الفريق السيىسي ووصوله إلى رئاسة الجمهورية في ظل انهيار جمهورية الإخوان قصيرة العمر في مصر)، يتولى الجنرال سليمانى في هذه المرحلة الإشراف الوثائقي والمعلوماتي على فيلم يُنتج في إيران عن صدام حسين العدو التاريخي للجمهورية الإسلامية.

درجات وبيارق البسيح والباسداران في الميادين

الموقف الأمريكى حسم الشك باليقين، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية تأييدها للتدخل الإيراني في الحرب على داعش، وكشف رئيس أركان الجيوش الأمريكية الجنرال مارتن ديمبسي أنّ دور إيران والمليشيات الشيعية في الهجوم الذي تشنه القوات العراقية لاستعادة مدينة تكريت من تنظيم "الدولة الإسلامية"

يمكن أن يكون "ايجابيا"، إذا لم يؤد إلى توترات طائفية مع السنة. وهو ما فُسر بأنه قبول أمريكي للدور الإيراني مشروط بخجل.

وهكذا باتت تكتيكات قوات التعبئة الشعبية (البسيج) والحرس الثوري الإيراني (باسداران) تسود ساحة المعارك حول تكريت، فالدرجات النارية، التي تُقل مقاتلين يحملون قاذفات صواريخ وقاذفات قنابل خفيفة، والشاحنات الصغيرة، التي تحمل رشاشات متوسطة (من عيارات 10.5، و12.5 وحتى 14 ملمتر)، والأخرى التي تحمل راجمات صواريخ صينية صغيرة خفيفة هي التي تنتقل في الميادين وفوقها ترفرف رايات باللون الأصفر والأخضر وعليها شعارات تنتخي بالمهدي المنتظر وبآل محمد.

كما أن أغلب المقاتلين باتوا يربطون على جبينهم مناديل الحرس الثوري المطرزة بأسماء ائمة الشيعة وبالأدعية والابتهالات والتي تدعى بالفارسية (بيشون بند)، وحتى الكوفيات التي يلفها المقاتلون حول رقابهم هي اليوم إيرانية أحوازية أو من مناطق لرستان وكردستان إيران، وغابت تماما الكوفيات الفلسطينية والأردنية والخليجية التي كانت سائدة في العراق، وانحسر استخدامها في مناطق غرب العراق.

الكاتب والباحث مهند العزاوي، مدير مركز صقر للدراسات الاستراتيجية، يعتبر ذلك من مظاهر الفشل الأمريكي الذريع في التجربة العراقية بعد عام 2003، مؤكداً في الوقت نفسه أن "ظهور الجنرال قاسم سليمانى والبهرجة الإعلامية التي أحيط بها، في امرلي أولا وفي بغداد بعدها، ثم في سامراء واليوم في تكريت هو بالتأكيد ليس شديناً ايجابياً، وحين يتكلم الآخرون عن قانون ودولة ذات سيادة وقانون دولي فكيف نصف تدخل الحرس الثوري والبسيج في أمور تخص العراق داخليا؟"

"أين الجيش الذي كلف بناءه ترليون دولار؟"

وعلى الرغم أن كثير من المراقبين والمحللين ما برحوا يرددون نظرية وجود اتفاق أمريكي إيراني لإسقاط صدام حسين عام 2003، إلا أنّ الوقائع على الأرض أضفت شكوكا على هذه النظرية. لكن سياسة الرئيس الأمريكي باراك اوباما، التي ركزت على عدم التدخل بقوات برية عسكرية أمريكية في أي بقعة في العالم،

فتحت الباب لاجتهادات شتى بخصوص سياسة الإدارة الأمريكية خلال السنوات الأخيرة.

الخبير الاستراتيجي والعسكري مهذب العزاوي يرى أن "الإدارة الأمريكية وجدت في القوة الإيرانية على الأرض الذراع المطلوب لمقاتلة داعش"، ثم مضى الى القول متسائلاً: "لماذا يحتاج العراق إلى القوات الإيرانية، وماذا جرى للجيش الذي كلف ببناءه 10 سنوات من الزمن، وترليون دولار من النفقات؟"

ويبدو أن العراقيين عاجزون عن انشاء جيش متكامل يضم كل المكونات بالتساوي بغض النظر عن انتماءاتهم. فالکرد يعتبرون قوات البيشمركة المجربة جيشهم، وإيران بقواتها واحدا من حلفائهم وقد كان الجنرال سليمان نفسه حاضرا في معارك تحرير سنجار والمناطق التركمانية في شمال وجنوب كركوك وقدم الدعم الاستخباري وربما أكثر من ذلك لقوات البيشمركة.

أما الحكومة المركزية، فتعول على قوات شبه نظامية متعددة تحمل تسميات مختلفة وتعمل بمشورة حرس الثورة الايراني وبتسليحه ودعمه المباشر، مفضلة هذه القوات على جيش نظامي لا تضمن ولائه.

فيما اعتمد سكان مناطق غرب العراق على قوات الصحوات العشائرية التي انشأتها الإدارة الأمريكية في العراق لمحاربة تنظيم القاعدة وإرهابيي أبي مصعب الزرقاوي، ونجحت فعلا في القضاء عليه في عام 2007.

وهكذا اضحى الوجود الإيراني ووجود خبرات عسكرية من دول أخرى بمثابة ضامن متعدد المراكز لتوجيه مستويات القوة في المعارك.

"إيران تعتبر العتبات المقدسة في سوريا و العراق خطا أحمر"

ويخلص من يراقب الوضع في العراق وسوريا إلى أنّ الولايات المتحدة قررت أن ترفع يدها عن الملفين وتترك لإيران التصرف بهما، وفي حالة العراق وصف د العزاوي ذلك (بمعركة بدون تكاليف) تنتصر فيها الولايات المتحدة بالجيش الايراني وأسلحته وموارد دولته على تنظيم داعش.

لكن المختصين بالشأن الايراني يرون في هذه الفرضية "تسطيحا للحقائق" على حد تعبير الباحث والكاتب الاسلامي المقيم في لندن علي رمضان الأوسي وهو

يحاور الكاتب حول الدور الإيراني في معركة تكريت وما بعدها. وفي معرض شرحه للموقف الإيراني اعتبر الأوسي أنّ "إيران تعتبر العتبات المقدسة في سوريا أو العراق خطاً أحمر، والشعب العراقي متجاوب مع هذا التوجه (ويقبل الوجود الإيراني العسكري بسببه)، ويوجد الآن نحو 5000 مقاتل من عشائر صلاح الدين يعملون بإمرة الحشد الشعبي ويتلقون الدعم والمشورة من القوات الإيرانية".

تعليقات وردت من "جمهور فيسبوك" بخصوص الدور الإيراني في معركة تكريت، وعكست جزءاً من وجهة نظر الشارع العربي، ونصّ أغلبها على شرعية الاستعانة بإيران ما دام الجانب الآخر يستعين بقطر والسعودية والأردن وتركيا على حد تعبير كثير منها، فيما تساءل البعض: لماذا يجوز للکرد أن يستعينوا بكل دول العالم، دون اعتراض من أحد، فيما يعترض البعض على استعانة حكومة العراق بإيران؟

وسبق لرئيس حكومة إسرائيل بينامين نتيناهو في خطابه أمام الكونغرس الأميركي الإعلان أن إيران تهيمن على أربع عواصم عربية (دمشق - صنعاء - بيروت - بغداد)، وهو ما يمكن أن يخلص إليه أيّ مراقب لمسار التحولات في المنطقة، وأرجع مهند العزاوي ذلك إلى وقت مبكر، "منذ انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من العراق في عام 2011 أصبحت إيران المهيمنة على الملف العراقي، ولا يمكن القفز على الحقيقة الجغرافية بأن إيران هي جار للعراق، ولكن المشكلة هي أن حساسيات الماضي، وما جرى خلال السنوات العشر الماضية لم يسمح للعلاقة بين البلدين أن ترتقي إلى مستوى الجيرة".

إياد جمال الدين - مبدأ ولاية الفقيه الإيراني سني بالأصل!

بين فترة وأخرى، يخرج عن مظلة المساجد الإيرانية العميقة رجال دين شيعة، يرفضون ولاية الفقيه، وهي جوهر النظرية التي تحرك المساجد العميقة، ومن بين هؤلاء رجل الدين الشيعي والسياسي والمؤلف العراقي إياد جمال الدين .

ولد إياد رؤوف محمد جمال الدين في مدينة النجف عام 1961 لعائلة تنحدر من الناصرية في جنوب العراق. غادر العراق عام 1979 مع صعود صدام حسين إلى منصب الرئاسة إلى سوريا ومن ثم قصد إيران ليدرس فيها العلوم الدينية والبحث الخارج لمدة 8 سنوات في حوزة قم، كما درس الفلسفة والتصوف. وما لبث أن ذهب إلى الإمارات العربية المتحدة في عام 1995 بناء على دعوة من شيعة في دبي وبقي هناك حتى عام 2003 حيث عاد إلى العراق بعد سقوط نظام صدام حسين.

وحسب ويكيبيديا نجا إياد جمال الدين من أربع محاولات اغتيال فاشلة ويرى أن الديمقراطية يجب أن تفرض بالقوة. ويعارض إنشاء دولة ذات نظام ديني أو ما يسمى بولاية الفقيه عند الشيعة، ويدعو إلى إقامة دولة علمانية بعيدة عن تدخل المرجعيات وتضمن حرية الأقليات. كما ينتقد الأنظمة العربية والشعوب العربية التي يرى أنها تعتنق إسلامًا محرفًا يحرض على الإرهاب ويسانده.

من أهم خلافاته مع إيران رؤياه لمبدأ ولاية الفقيه، حيث يرى أن الشيعة استوردوا مبدأ ولاية الفقيه من الفقه السني. ويميّز بين نظرية ولاية الفقيه الخمينية في إيران "والتي تنص على أن للفقيه ولاية على الفقه ذاته، ويستطيع أن يغيّر نصوص الشريعة وينسفها ويكتب مكانها شرعًا جديدًا"، وبين نظرية ولاية الفقيه السيستاني في العراق "والتي تنص على أن الفقيه مفسّر للفقه ومحلل للموقف الشرعي". وكان لي معه الحوار التالي:

المؤلف: ما هو مبدأ ولاية الفقيه، وما هي الاختلافات بين تفاصيله بين المرجعيات الدينية الشيعية؟

إياد جمال الدين: هو مبدأ مستورد من الفقه السني، وليس له جذر شيعي أبداً، وأول من نصّ على أن للفهاء ولاية على الناس وأنهم خلفاء الرسول هو الفقيه الماوردي

في كتابه الأحكام السلطانية، وهو فقيه سني، وبعد نحو 300 إلى 400 عام، استورد أحد فقهاء الشيعة واسمه "علي ابن عبد العال الكركي" هذه الفكرة.

الكركي درس في الأزهر الشريف بمصر، ومن هناك اقتبس فكرة الماوردي وأدخلها إلى الفقه الشيعي وحاول أن يستدل عليها شيعيا، ولكن موروث أحاديث أئمة أهل البيت لا يدعم هذه النظرية الفقهية السنية، ولكن الكركي زجّ بها، وقال "أنا نائب الإمام المعصوم"، بمعنى أن خلفاء النبي هم الأئمة الإثني عشر، وأنا (ولي الفقيه) خليفة الأئمة، وبالتالي فأنا خليفة الرسول، وبما أنني خليفة الرسول فإنني أعين الشاه الصفوي ملكا على إيران، وهكذا قامت الدولة الصفوية في إيران على أساس نظرية ولاية الفقيه.

نسمع عن مراجع الشيعة، والمرجعية، والمرجع الأعلى، وهنا نسأل: من هي المرجعية؟ وهل يوجد مرجع نهائي يعود إليه كل شيعة العالم دون خلاف؟

إياد جمال الدين: المرجع هو كل فقيه طبع ونشر رسالة عملية (والرسالة هي كتاب فقهي يجمع فيه الفقيه آراءه وفتاواه الفقهية)، ويرجع إليه بعض الناس في الأحكام والتقليد، لذا يدعى مرجعا. وتختلف سعة مرجعية المرجع بعدد أتباعه، ولا توجد إحصائية دقيقة تبين كم عدد أتباع ومقلدي هذا المرجع أو ذاك، والمشهورون اليوم في النجف هم 4 مراجع، وهناك غيرهم، وهناك مراجع في مدينة قم بإيران.

على قياس عدد الأتباع، السيد علي خامنئي في إيران هو مرجع يتبعه ملايين ويقلدونه، فهل هو المرجع الأعلى للشيعة؟

إياد جمال الدين: أجبت على هذا السؤال ضمنا، ليس هناك إحصائية دقيقة تبين بدقة عدد مقلدي وأتباع كل مرجع، المشهور اليوم أن السيد السيستاني هو المرجع الأعلى لعموم الشيعة في العالم، ولكن ليس لدينا إحصائية دقيقة تبين عدد الذين يقلدون السيد السيستاني وعدد من يقلدون السيد خامنئي أو السيد بشير النجفي أو السيد محمد سعيد الحكيم، وفي النهاية هم كلهم مراجع للشيعة يرجع إليهم مقلدوهم وأتباعهم.

يحاول البعض الإيحاء بوجود تنافس بين مرجعيات النجف ومرجعيات قم ومشهد، هل يوجد فعلا تنافس؟

إياد جمال الدين: التنافس موجود، ولكن ليس على أساس المناطق، في سؤالك شقان، الشق الأول هل يوجد تنافس؟ وجوابه نعم التنافس موجود.

أما الشق الثاني فهو: هل تتنافس النجف وقم ومشهد؟ وجوابه: أنا لا أتصور أنّ للجغرافية مدخلية في هذا الأمر، التنافس ناتج عن أن المرجعية في حقيقتها هي حالة اجتماعية دينية.

نسمع بشكل عام أن إيران بعد ثورة 1979 التي حولتها إلى جمهورية إسلامية حاولت أن تسحب المرجعية من النجف، ما تعليقك على ذلك؟

إياد جمال الدين: نعم إيران الخمينية هاجسها دائماً الحوزة والمرجعية، لأنّ النظام الإيراني الحالي يقوم على أساس فتوى ولاية الفقيه، والخطر الاستراتيجي الداهم الذي يحف بالنظام الإيراني هو أن يظهر مجتهد شيعي وله مقلدون وأتباع ويقول " إنّ ولاية الفقيه بدعة" ، ولذلك تسعى إيران للسيطرة على حوزتي النجف وقم وكل حوزة أخرى في العالم.

تقول بعض المصادر الشيعية إنّ "ولاية الفقيه في الفكر الشيعي تقتصر على توزيع الخمس والزكاة ولا تمتد إلى السياسة، لكن الإمام الخميني غير ذلك"، ما تعليقك على ذلك؟

إياد جمال الدين: في ولاية الفقيه رؤيتان، التصور الأول الذي يسير عليه السيد السيستاني وفحواه أنّ للفقيه ولاية على المجتمع وعلى الدولة، فيما يرى الخميني أنّ للفقيه ولاية على الفرد وعلى المجتمع وعلى الدولة، وبذلك فإنّ المفهوم عند الخميني أوسع، وعملياً لا يوجد فرق سياسي بين الرؤيتين.

هناك انطباع سائد مفاده أنّ ولاية الفقيه مفهوم سيء تروج له الجمهورية الإسلامية في إيران، ما تعليقك على هذا؟

إياد جمال الدين: ولاية الفقيه لم يروج لها النظام الإيراني الحالي فقط، بل تروج لها إيران منذ عهد الصفويين إلى اليوم، وما نظام الخميني إلا ثمرة ونتيجة لذلك الترويج، والسبب هو كما ذكرنا بداية الحوار هو علي ابن عبد العال الكركي الذي أدخل هذه الفكرة إلى الفقه الشيعي، وأحد ثمار تلك الفكرة هو نظام الخميني الحاكم في إيران، مع بعض التطوير، حيث أن نظرية ولاية الفقيه التي تبناها الخميني

مطوّرة وتفرق عن ولاية الفقيه التي يتبناها السيستاني والتي تنصّ على أن الفقيه ليس له سيطرة على الفقه، إنما هو مفسّر له ومحلل للموقف الشرعي.

أما ولاية الفقيه الخمينية فتفيد أنّ للفقيه ولاية على الفقه ذاته، بمعنى أنه يستطيع أن يغيّر نصوص الشريعة وينسفها ويكتب مكانها شرعا جديدا. هذه خلاصة ولاية الفقيه الخمينية.

هناك من يقول إن تجربة الجمهورية الإسلامية في إيران هي التي أنضجت الجانب السياسي في ولاية الفقيه، لكن باقي مراجع الشيعة في النجف لا يبدوون راضين عن ذلك، ما تعليقك على ذلك؟

إياد جمال الدين: التاريخ الإيراني منذ عصر الصفويين فالقاجاريين فالبهلويين قائم بمجمله على أساس ولاية الفقيه منذ 500 سنة، الخميني طوّر هذا المفهوم، فولاية الفقيه في تلك العصور قامت على "الاثنيونية" (الشاه والشيخ)، تماما مثل الأزهر والحكومة في مصر، وكما كانت أوروبا في العصور الوسطى، الملك والبابا، في العهد الصفوي صارت السلطة بين الشاه وبين المرجع الديني، أحدهما يبارك الآخر، حتى جاء الخميني فركل الشاه وقال "أنا الشيخ وأنا الشاه"، وهذا يلخص التجربة الخمينية.

أما باقي مراجع الشيعة فتعودوا على مدى 500 سنة على الانسجام مع الشاه، ولذا كانت الحوزتان في النجف وقم، مع الشاه ضد الخميني حين كان الأخير في النجف، ولكن الخميني انتصر.

بعد 35 عاما على انتصار دولة ولاية الفقيه، كيف ترى مرجعيات النجف هذه الولاية؟

إياد جمال الدين: هم لا يستطيعون معارضتها، وكان صدام حسين هو الحافظ لهم من تغوّل إيران، ليس حبا في مرجعيات النجف، ولكن هكذا كان الواقع. كُسرَ هذا السور المسمى "صدام" وأصبحت النجف مكشوفة عارية وكالثمرة الناضجة بين يدي النظام الإيراني، ولذا لا أتصور أنّ مرجعا غير مسلح مثل السيستاني يستطيع أن يواجه مرجعا مسلحا كخامنئي.

هناك قيادات شيعية مناطقية، مثل مقتدى الصدر في العراق، وموسى الصدر وحسن نصر الله في لبنان هي ليست مراجع، لماذا إذاً تحدد مثل هذه القيادات المسار السياسي لشيعية لبنان؟

إياد جمال الدين: هؤلاء يقودون تحت ظل مرجع من المراجع، فالسيد موسى الصدر كان تابعاً لمرجعية الخميني، والسيد مقتدى الصدر تابع لمرجعية السيد كاظم الحائري، والسيد حسن نصر الله يعلن أنه يتبع السيد خامنئي، فهو لا يتصرف لحاله بل يخضع لسلطة مرجع ما، كما أن لهذه الشخصيات حضوراً وكارزماً شعبية، كما هو الحال مع كثير من الناس، فلدينا المرحوم الشيخ الوائلي وهو خطيب مشهور له ملايين المتابعين والمحبين، لكنه لم يكن زعيماً اجتماعياً أو سياسياً، والفكرة هنا، أنه ليس هناك تعارض بين وجود المرجع وبين وجود قيادات سياسية واجتماعية دينية.

* وُلِدَ إياد جمال الدين سنة 1961 ونشأ في بيت متدين بمدينة النجف بالعراق وينتسب إلى الإمام موسى بن جعفر. واختار مسار السياسة إلى جانب الدين، وعرف بانفتاحه وليبراليته، حتى أن بعض الشيعة يشتمونه ويتهمونهم بالخروج على الإجماع الشيعي. درس الفقه في النجف وفي قم بإيران. نشر كتاباً بعنوان (فصل الدين عن السياسة)، فأثار ضجة كبيرة. أنتخب نائباً للبرلمان العراقي في عام 2010 ونجا من أربع محاولات اغتيال وهو يدعم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

الشيخ أحمد القبانجي.. من عرين ولاية الفقيه إلى خصم لدود

ومن بين المعترضين غير الإيرانيين على نظرية تصدير الثورة، وولاية الفقيه الشيخ أحمد القبانجي وهو رجل دين شيعي عراقي مثير للجدل، ينتقده الشيعة قبل السنة، أما الليبراليون والعلمانيون والأقليات فيجدون فيه مفكرا إسلاميا تجرأ على تحدي الإسلام السياسي في معقله، في قم بإيران، وفي النجف بالعراق.

أحمد القبانجي هو واحد من خط فكري شيعي متصاعد صار يضم أسماء لامعة، بينها: المفكر غالب الشابندر، السياسي الليبرالي العلماني ضياء الشكرجي، رجل الدين الاصلاحى السياسى الليبرالى السيد أيد جمال الدين، الناشط السياسى حسين العادلى، والسيد محمد خاتمي، ورجال دين إيرانيون من الخط الإصلاحي، وآخرون.

سكن القبانجي في مدينة قم الدينية حيث الحوزة العلمية الشيعية الإيرانية. في 18 شباط/ فبراير عام 2013 اعتقلته السلطات الإيرانية بسبب استيائها من كتبه المنشورة ومن محاضراته التي تنتشر على يوتيوب بشكل واسع، ثم أطلقت سراحه في مطلع شهر آذار/ مارس من العام الجاري، وأعادته مبعدا الى بلده العراق. المؤلف التقاه عام 2013 فكان هذا الحوار:

المؤلف: نبدأ بالخاص قبل العام، تحديد الأسد في عرينه، في مدينة قم، ثم سُجنت هناك واطلق سراحك بعد أسابيع. هل يعني هذا أن لا حرية في إيران، أم أن فيها كثيرا من الحرية مقارنة بحواضر دينية أخرى؟

أحمد القبانجي: الحرية نسبية في إيران وإن كانت أحسن من الحريات في بعض البلدان العربية، ولكن مقارنة بالحريات في بعض البلدان الاسلامية مثل إندونيسيا وتركيا وحتى مصر، فالحرية في هذه البلدان أكثر، ولكن لكوني عراقي الجنسية، ولكون كتاباتي غير مقروءة في إيران لأنها بالعربية التي يجهلونها فلم يجز التعرض لي، وبكلمة أخرى لكوني مفكرا وكاتباً إسلامياً كان من الصعب عليهم إطالة اعتقالى، و لو كنت إيرانيا لتعاملوا معي بشكل آخر، لأن بعض المشايخ الإيرانيين كتبوا وصرحوا بأقل مما فعلت، فتم إقصاءهم واعتقالهم.

من ناحية أخرى، فقد طبعت أغلب كتبي خارج إيران، وهذا يعني أنني لم أتحدّ الأسد في عرينه كما تفضلت، بل كنت أحترم قوانينهم. كان جلّ نشاطي في العراق حيث مساحة الحريات كبيرة جدا. ولكن تأثير الأحزاب العراقية المقربّة من إيران وتأثير أجهزة المخابرات العراقية والإيرانية وغيرها من التنظيمات هي التي دفعت الإيرانيين الى اعتقالني.

هل يعني هذا أنك اعتقلت بسبب وشاية عراقية؟

أحمد القبانجي: السلطات الإيرانية قالوا لي ذلك، لأنني طلبت منهم أن يبينوا لي من هو الذي اشتكى مني فتسبب في توقيفي، فقالوا لي: "إن الشاكي من العراق"، ولم يوضحوا بالتحديد من.

أحمد القبانجي: غالبية الشيعة – حتى في إيران- غير مؤيدين لولاية الفقيه، وفي العراق يخالف المراجع مبدأ ولاية الفقيه ويرفضون هيمنة إيران. التوجه الإيراني مدعوم من الشيعة العملاء لإيران، أي ممن يندرجون ضمن تيار ولاية الفقيه، ومنهم حزب الله في لبنان، وأحزاب شيعية متشددة في العراق تمثل أقلية بالنسبة للشيعة

في كتابك (خلافة الإمام علي بالنص أم بالنصب) تنكر أحقية الإمام علي بن أبي طالب بالخلافة، وهذا يمثل أصلا تقوم عليه فلسفة التشيع، كيف فعلت ذلك وأنت ابن الحوزة الشيعية؟

أحمد القبانجي: كنت معتقدا بما يعتقد به الشيعة (بهذا الشأن) في البداية، لكن المعطيات الحديثة، ومكتشفات العلوم الجديدة في حقل السياسة والحقوق قادتني الى إعادة النظر. والتاريخ كما يعلم الجميع، يحتمل قراءات متعددة، كما في النصوص الدينية حيث لا توجد هناك قراءة واحدة، كما هو الحال في الأمور العلمية الأخرى. من هنا بحثت هذا الأمر فوجدت أن أدلة الشيعة على نصب الإمام علي والاعتماد على رواية التنصيب الإلهي له للخلافة، كانت ضعيفة جدا، وهناك بضع روايات بهذا الخصوص، أما الآيات القرآنية فهي ساكتة عن هذا الأمر.

الروايات المنقولة تتحدث عن فضيلة الإمام علي فقط، وقد بحثت في ذلك التاريخ، فوجدت أنّ هذه الروايات والادعاءات قد قامت بعد 3 أو 4 قرون من نهاية ولاية

الإمام علي، وقد تحول الموضوع من خلال هذه الروايات الى خلاف ديني، وإلا فهو قد بدأ خلافا سياسيا أول الأمر.

والحقيقة أنّ فقهاء الشيعة المتعصبين قد أدخلوا هذه المسألة السياسية في الدين عنوة. الله تعالى لا يتدخل في شؤون البشر الدنيوية، والحكومة مسألة دنيوية، وفي اعتقادي أن النظرية السنية حول الخلافة الإسلامية هي أقرب الى الواقع، ولكن هذا لا يلغي فضل الإمام علي الذي لا يخفى على أحد.

وقد خلصت في كتابي الى أن فضل الإمام علي مشهود، لكن هذا لا علاقة له بقضية الخلافة، وبهذا أردت الفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي. هذه النتيجة هي المسؤولة عن قيام السلطات الإيرانية بسحب الكتاب من الأسواق والمكتبات، رغم أن وزارة الإرشاد الإيرانية سبق أن وافقت على نشره.

الضجة التي أثارها الكتاب لفتت نظر السلطات الدينية والسياسية في إيران إليه، وفهموا أن الناس اذا وعت ما يرمي إليه الكتاب، فهذا سيهدد نظرية ولاية الفقيه، التي تقوم عليها نظرية الحكم في إيران. هذه النظرية تفترض أن الأئمة هم من يمثلون الله على الأرض، وبغياب الأئمة (أي في فترة انتظار المهدي الغائب) ، يتولى الفقهاء تدبير أمور الناس (الحكم).

وكتابي اعتبر أن معصومية الأئمة لا تعني بالضرورة توليهم السلطة السياسية، لأن هذه المعصومية تتعلق بأمر السماء الدينية، وعليه فإنّ الحكم يجب أن يأتي من خلال انتخاب الناس، وإذا كان الإمام لا يمتلك ولاية سياسية على الناس، فمن باب أولى أن لا يمتلك الفقيه هذه الولاية، وهذا يعني هدمًا كاملاً لنظرية ولاية الفقيه.

هناك من يقول إن إيران هي التي صنعت مبدأ التشيع، وتحديدًا الشاه عباس صفوي، ما رأيك بهذا القول؟

أحمد القبانجي: يصح القول إن علماء الفرس هم الذين صنعوا التشيع، ولكن ليس الصفويون، فالإمام الصادق هو من وضع المذهب الجعفري، وهذا أمر لا شك فيه، لكن الفرس ارتاحوا لمقولة إنهم هم من صنعوا التشيع، لأنها تتوافق مع نفسياتهم ومزاجهم، فأكدوا عليها وأشاعها علماءهم - كالشيخ الصدوق والشيخ المفيد - قبل ألف سنة.

نظرية الإمامة أكثرها مقتبس من الصوفية ونظرية القطب والمريد والمراد. فيما وراثه الإمامة والحكم مأخوذة من الثقافة الفارسية في وراثه الشاه، وبذلك فقد أدخلوا كثيرا من القضايا (من ثقافتهم وميراثهم التاريخي) وجعلوها من الدين، وهي ليست منه في شيء.

مع التحقيق التاريخي لا نجد في أصول الدين شيئا مما يذكره الشيعة، بل جاءت هذه الأمور متأخرة، وأعتقد أن الظروف السياسية التي مرت على الموالي جعلتهم يختارون هذا المذهب كبديل لمذهب أهل السنة الذين كانوا يشكلون الدين الحكومي. ففي ظل حكومة الأمويين والعباسيين، كان الفرس (وهم من الموالي) مضطهدين.

ويروي لنا التاريخ أنه منذ زمن الخليفة الثاني وحتى نهاية العصر الأموي كانت ظلمات الشعوب المفتوحة كثيرة، وأبناء هذه الشعوب لم يكن لهم من سبيل للارتداد على الدين لأنهم سوف يقتلون، (فاختاروا التشيع).

هل أفهم من كلامك أن التسنن هو مذهب أهل السلطة، مذهب الأقوياء الأغنياء، فيما التشيع هو مذهب الفقراء المحكومين والمعارضين؟

أحمد القبانجي: السنة هو دين الحكومة، والشيعة دين المعارضة، وهذا شيء جميل جدا وسبب لدوام الإسلام. فالمعارضة تختلف مع السلطة لأنها ترى ظلمات كثيرة باسم الدين، فإن المعارضة بذلك لا تتحرف كثيرا عن الدين، لأنها لن تنسب للدين نفسه هذه الظلمات (بل ستنسبها لرجال يتولون شؤون الدين). ولو أخذنا نماذج الدول الدينية في السعودية وإيران، فإن أخطاء رجال الحكم في هذين البلدين تنسب كظلمات إلى الدين.

ومنذ ثورة الإمام الحسين انكشف أن السلطات لا تمثل الإسلام، والدليل وجود معارضة مؤمنة متدينة ملتزمة ترفض هذه الحكومة، وهكذا فقد دأب بنو أمية على إيهام الناس بأن من هو خارج عليهم خارج عن الإسلام، ومن هنا نعتوهم بالخوارج، حتى أنهم اتهموا الحسين بن علي وهو حفيد النبي بأنه خارجي.

لكن في رأيي أن كل هذه الأمور تصب في مصلحة الإسلام، لأن وجود معارضة يحافظ على الدين حيويا وناشطا، بينما اقتصاره على أن يكون دينا للدولة سيجعله متكلسا.

هل يعني هذا أن على الشيعة أن يبقوا دائما في معسكر المعارضة؟

أحمد القبانجي: نعم، فالشيعة حتى إذا انتصرت ثورته، عليه أن لا يستخدم الدين كسلاح لمواجهة الناس والشعب. اعتراضى على السلطات الإيرانية مردّه أن من حقهم أن يحكموا بما يرونه صلاحا لشعبهم، وهكذا فإن ما فعله الخميني بتأسيس مجلس تشخيص مصلحة النظام كان إجراء جيدا. لكن هناك نقطتين لا بد من المرور عليهما في هذه العجالة:

الأولى: أن السلطات الإيرانية لا تقول بمصلحة الشعب، كما في حالة صراعهم مع الغرب، بل تقول بمصلحة النظام، وحتى لو كانت مصلحة الأغلبية الشعبية مخالفة لمصلحة النظام فهم يرون وجوب قمعهم، كما جرى في الانتخابات وثورة الإصلاحيين التي قمعت.

الثانية: أنهم يستخدمون الدين كسلاح. الغرب وأمريكا بالذات، تقول أنا أتدخل لأحمي مصالح أمريكا علنا ودون نفاق، وكل دولة اليوم تهتم بمصالح شعبها، وهذه براغماتية مقبولة في السياسة وسلوك الحكومات.

لكن حكومة إيران – للأسف- تستخدم الدين، ونحن نعلم أن كثيرا من سلوكياتهم مخالفة للدين، وهكذا فإن علاقاتهم وثيقة جدا مع أعتى الطواغيت، كوريا الشمالية وفنزويلا وكوبا، وعلاقتهم الوثيقة بنظام بشار الأسد مثلا، كل ذلك يجعلنا على يقين من أن الدين أضحى وسيلة يستغلونها لتثبيت مواقعهم.

سمعت من مفكر شيعة معروف أن إيران تقود الشيعة الى هولوكوست، هل تعتقد أن الشيعة سيكونون هدفا لهولوكوست اسلامي يسعى لإبادتهم؟

أحمد القبانجي: غالبية الشيعة – حتى في إيران- غير مؤيدين لولاية الفقيه، وفي العراق يخالف المراجع مبدأ ولاية الفقيه ويرفضون هيمنة إيران. التوجه الإيراني مدعوم من الشيعة العملاء لإيران، أي ممن يندرجون ضمن تيار ولاية الفقيه، ومنهم حزب الله في لبنان، وأحزاب شيعة متشددة في العراق تمثل أقلية بالنسبة للشيعة.

وفي ظل الاصطفاف الطائفي القائم اليوم، فإنّ ما يحدث في سوريا يؤثر على الشيعة، لكن غالبية العرب يعلمون هذه المسألة، فهم يعلمون أن إيران تهتم

لمصالحها فقط . والحكومة الإيرانية قائمة على أساس وجود عدو دائم، فيقضون بحجة العدو على أي معارضة قد تنشأ، وعدائهم لإسرائيل فيه مصلحة لإيران، وهي ليست عداوة مبدئية.

ولكن هناك من يفهم هذا الأمر بالشكل التالي: إيران اليوم هي الدولة الوحيدة التي تدعو لإزالة إسرائيل من الخارطة، هل سبب هذا كون إسرائيل دولة اليهود؟

أحمد القبانجي: نعم، هناك عداة قائم بين المسلمين وبين اليهود، ولكن ما دام هذا العداة يصب في صالح إيران فلا بد من استمراره، بمعنى تحشيد الناس وشحن عواطفهم بالادعاء بوجود خطر حقيقي على إيران متمثلا في أمريكا وإسرائيل، فيتم بهذا الشكل التغاضي عن كثير من المشكلات الداخلية، والسياسية والاجتماعية.

العداء لإسرائيل يصب في صالح السلطة وليس في صالح الشعب، وهذا شيء لا يمكن أن نؤاخذ إيران لوحدتها عليه، لأن الطرف الآخر وهو إسرائيل يمثل أيضا دولة محتلة وظالمة، ولم تتنازل حتى الآن قيد شعرة لتسهيل حل الدولتين، ولم توقف بناء المستوطنات. وهذا أمر يدغدغ مشاعر العرب، لذا تراهم يناصرون إيران، لأن إسرائيل أيضا ظالمة، وهذا الظلم يضع في يد إيران ورقة رابحة.

*أحمد القبانجي رجل دين شيعي عراقي ولد في النجف بالعراق عام 1958 وتخرج من حوزتها ، ثم درس بحوزة قم في إيران، وقرر أن يستقر بقم لغرض الدرس والتأليف. نشر كتبا عديدة، أثارت جميعها جدلا في الأوساط الشيعية ومن ثم السنية. من أهم كتبه : تهذيب أحاديث الشيعة، العدل الالهي وحرية الإنسان، المرأة، المفاهيم والحقوق، تشيع العوام وتشيع الخواص، خلافة الإمام علي بالنص أم بالنصب. وكتب أخرى كثيرة علاوة على عشرات المحاضرات الصوتية بالفيديو موجودة على موقع يوتيوب. بدأ القبانجي ومنذ عام 2017 ينحو منحى إلحاديا، فبدأ يكذب الآيات القرآنية ويناقش مواضيع الخلق والخليقة، بل إنه أنكر في محاضراته ما لا يوافق عليه غيره من رجال الدين فهو يفسر الوحي والقرآن على إنه ليس كلام الله، وانما هو كلام محمد يقوله من ذاته بعد تشبعه بالروح الالهية فاخذ يصوغ الآيات بما يعتقد انها إلهام لإصلاح قومه .

وعن نفسه يقول : " انا لست سنيا ولا شيعيا. "

أما عن الشريعة فيقول إنَّها مسخت الإنسان وهي لا تصلح للتطبيق في الزمن الحالي ، فالجهاد الإسلامي سابقا يعتبر اليوم إرهابا، والجهاد لا يصلح لكل زمان ومكان، أما تفسيره لجهنم فيقول إن وجود جهنم يتناقض مع العدل الالهي، والعقوبة لا بد أن تتساوى مع الجريمة . وليس كل فعل ضد تعاليم الله عقوبته الحرق والعذاب بالنار .

ثم يمضي في تحدي الثوابت التي تقوم عليها ديانات التوحيد الثلاث بالقول " إن الجنة والنار هي خلاف العقل ولا وجود لها. و ورود جهنم في القرآن هو لتخويف الإنسان فقط، والوعد بالجنة هو لترغيب الإنسان كي ينجذب إلى الدين والإيمان بالإسلام وبرسوله وكتابه. في الجنة لا يوجد كرم أو إيثار أو مساواة أو تنافس على العمل ولا إبداع أو عمل الخير، فالناس في الجنة لا شغل لهم سوى نكاح الحوريات وشرب الخمر والعسل واللبن من الانهار، حيث لا وجود للصفات الإنسانية هناك وهذه حياة حيوانية ".

ويصف أحمد القبانجي الجنة بأنها حضيرة أغنام (طولة مطايا) حسب تعبيره، فيها ولدان مخلدون، ويقول اذا عرضت علي الجنة فسأرفضها وسأكون سعيدا إذا ذهبت إلى جهنم !

والأخطر من ذلك يقر المفكر أحمد القبانجي بأن " ليس للمرأة المسلمة ذكرٌ أو نصيب في الجنة الذكورية، ولم يحسب الله للمرأة أي حساب في الجنة، فالجنة خلقت لترغيب الرجال للقتال والغزو وبعد والاستشهاد سيكون الشهيد في جنات نعيم تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها يمارسون الجماع فيها مع حوريات جميلات مقصورات الطرف وهذه مغريات لبدو الصحراء والصعاليك المحرومين من كل نعيم" .

الصرخي - عمارة سوداء مغرقة خارج السرب الشيعي ضد إيران

محاولة أخرى للخروج عن سلطة المساجد العميقة في دولة ولاية الفقيه ، تمثلت في تجربة رجل الدين الشيعي المغمور محمود الحسني الصرخي الذي أعلن أنه مرجع شيعي عراقي عربي مناوئ لإيران وأن له عشرات آلاف الأتباع. وقد تعرّض مكتبه في كربلاء إلى هجوم سقط فيه قتلى وجرحى على أيدي قوات عراقية في عهد حكومة نوري المالكي عام 2014.

من الغريب أن تكون صفحة "مركز الصرخي الإعلامي" ضيفاً على موقع الحوار المتمدن، أكبر موقع يساري ماركسي شيوعي عربي!

بعد عام 2004 بات للسيد محمود الحسني الصرخي صوت في العراق، هو يعلن أنه مرجع شيعي عراقي عربي يعادي إيران وأنّ له بين 25 الى 30 ألفاً من الأتباع، أي من المقلدين له، ولكن علماء الشيعة مُجمعون على أنه لا يملك صفة المرجعية التي تبيح للناس تقليده، لأنّ أي مرجعية لم تُقر ما يعرف "بأعلميته".

وهكذا يمكن مقارنته بالقادة الشيعة المعاصرين من أمثال السيد مقتدى الصدر، والسيد حسن نصر الله في لبنان، والأقرب له هو السيد أحمد القبانجي، والسيد أياد جمال الدين في العراق، وجميعهم لا يدعون أنهم علماء ولا يزعمون أنّ لهم مقلدين، لكنهم يروجون لنوع من الإسلام الشيعي السياسي ويدعون له، فبات لهم أتباع وليس مقلدين.

حاولنا الوصول إليه من خلال أتباعه، فلم نفلح في ذلك، فجميع أرقام أتباعه ومكاتبه لا تجيب بعد أن تعرّض مكتبه إلى هجوم قامت به قوات عراقية في عهد رئيس الحكومة السابق نوري المالكي في (2 تموز/ يوليو 2014)، وأوقع قتلى وجرحى في صفوفهم، كما جرى سحل اثنين من حراسه الشخصيين بعد أن أطلقا النار على المهاجمين وأصابا بعضاً منهم.

هجوم القوات العراقية على مقره في كربلاء جاء بعد تصريحات دعا فيها إلى التحاور مع تنظيم "داعش" الذي سيطر على ثلث العراق، رافضاً فتوى المرجع

الشيوعي الأعلى في العالم السيد علي السيستاني التي دعا فيها للجهاد ضد داعش، ومعتبراً إياها دعوة للحرب الأهلية والتأجيج الطائفي في العراق.

"عربي وليس إيراني"

يحرص السيد الصرخي على أن يعلن أنه عربي وليس إيرانياً، وكأنه يريد بهذا النأي أن يعلن براءته من وجود صلة بين إيران وبين التشيع العراقي/العربي، وفي آخر لقاء له مع صحيفة الوطن المصرية في شباط/فبراير 2015، أعلن أنه "لا يوجد خطاب ديني مذهبي شيعي عراقي، فالخطاب الديني في العراق هو خطاب إيراني خالص وبامتياز لا علاقة له بالمذهب الشيعي إلا بالمقدار الذي يخدم فيه سياسة السلطة الإيرانية الحاكمة وأمنها القومي التسلطي". وهو في هذا يلتقي مع السيد أياد جمال الدين، ومع السيد أحمد القبانجي، اللذين ينايان بتشيع العراق عن التشيع الإيراني، باعتبار الأخير صفوياً، والأول نجفياً علوياً خالصاً.

القريبون من المشهد الشيعي في كربلاء، يقولون همسا إن "السيد الصرخي سعى في عامي 2003 / 2004 إلى التقرب من مرجعية السيد صادق الحسيني الشيرازي التي تسيطر على المشهد في كربلاء، والتي تبتعد إلى حد ما عن مرجعيات النجف الكبرى التي يتبعها أغلب شيعة العالم. ولم يلقَ من قِبَل مرجعية الشيرازي أدنا صاغية، فانصرف عنهم ليعلن مرجعيته الخاصة، كما أن أتباعه اشتبكوا في أعوام 2006 و 2007 و 2008 مع أتباع العلامة الكوراني في البصرة وكربلاء."

حاول السيد الصرخي التقرب إلى الشباب، ساعياً لهدم حاجز الوقار الذي يفصل الشخصيات الدينية عن قواعدها في العادة، وقد بث أتباعه مقطع فيديو طوله بضع دقائق يصوره وهو يلعب كرة قدم في باحة مقره بمدينة كربلاء مع عدد من الشباب، وينجح في تسجيل هدف على الفريق الخصم منهم.

"داعم للمتظاهرين السنة وداعٍ لقبول "داعش" والحوار معه!"

دافع الصرخي بحماس عن المتظاهرين المعتصمين في مناطق العراق السننية، وخصوصاً في الأنبار، ودعا إلى الحوار معهم، وتبنى دعواتهم لإسقاط حكومة المالكي في عامي 2013 / 2014، وما برح الصرخي يعلن عداؤه لأمريكا (ويلتقي بذلك مع السيد مقتدى الصدر) مؤكداً القول: "إننا رفضنا احتلال أمريكا لنا كما رفضنا احتلال إيران". ولكن مقتدى الصدر سبق أن اشتبك في صراع مع

الصرخي ووصفه بـ"الجهل"، وهو الأمر الذي دفع بالأخير إلى الإعلان عام 2013 أنّ "الأمّام المهدي المنتظر قد أمره شخصياً بقطع رأس نوري المالكي ومقتدى الصدر."

أخطر مواقفّه جاءت بعد تغلغل تنظيم "داعش" في العراق. فعلى صفحة إيلاف اللندنية السعودية "نصح آية الله محمود الصرخي دول التحالف بالاعتراف بذكاء وبساله مقاتلي تنظيم داعش، معتبراً المعركة معهم خاسرة، ولن يوازنها إلا نظراء لهم في العقيدة. وقال الصرخي إن "مقاتلي تنظيم داعش أذكاء ومتمرسون ويطلبون الموت فيما من يقاتلهم يطلب الحياة". موقف الصرخي هذا استعدى عليه أغلب الشيعة الذين يستهدفهم تنظيم "داعش" ويصفهم بالروافض الصفوية، ويبيح قتلهم واستباحة نسائهم وأموالهم.

وقد عزز الصرخي موقفه من "داعش" في آخر لقاء له مع صحيفة الوطن المصرية حيث قال: "إن "داعش" صار واقعاً مفروضاً وليس ظاهرة طارئة عابرة فلا يصح المراهنة على الوقت لإزالتها، ويجب علينا ألا نجازف أكثر وأكثر بدماء وأرواح أبنائنا فنزجهم في معارك خاسرة ومهالك محققة لأننا لم نشخص الواقع بصورة صحيحة موضوعية أو لأننا نعرف الواقع لكن لا يهمننا دماء وأرواح الناس ولا نعترف بالآخرة والثواب والعقاب."

إيران تريد للعراق دوراً في الملف السوري

منذ نهاية عام 2012 سعت إيران لطرح حلول بديلة يمكن أن تصل بسوريا إلى شاطئ حل. في هذا الإطار أجرى رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني جولة إقليمية قادتته إلى سوريا ولبنان وتركيا وانتهت ببغداد . الملف المطروح أزمة سوريا.

في شهر تشرين الثاني، نوفمبر 2012 بدأ رئيس مجلس الشورى الإيراني د.علي لاريجاني زيارة للعراق استهلها من النجف بلقاء بعض المرجعيات الشيعية من بينها السيد محمد بحر العلوم. تلت ذلك محطة في بغداد حيث التقى نظيره العراقي أسامة النجيفي، أعقبه لقاء برئيس الحكومة نوري المالكي.

وانتقد لاريجاني إرسال أسلحة من دول عربية إلى سوريا معتبرا أن هذا الأمر يمثل "مشكلة بالنسبة إلى السوريين". إطلاق هذا القول في العراق هذا يعني أن إيران تريد تفعيل دور العراق في الملف السوري. وهو يؤشر مساعي إيران الموازية لمساعي الدول الغربية لتقديم حل للمأزق السوري.

"محاولة لإنقاذ نظام الأسد من الانهيار "

وتسعى إيران – الحليف الاستراتيجي لسوريا على مدى أكثر من 3 عقود – إلى بناء تحالف قد يدعم موقف الرئيس السوري بشار الأسد في صراعه مع المعارضة السورية ، وهي (إيران) لذلك تريد أن تضمن دعم العراق، باعتباره جارا كبيرا وغنيا، لسوريا يمكن أن يشكل عمقا يمد حكومة الأسد بالمال والسلاح. والى ذلك ذهب الكاتب والمحلل السياسي د. كاظم حبيب إلى أن إيران "تفكر اليوم في إرسال قوات تدعم نظام الأسد في سوريا من خلال الأراضي العراقية."

وأكد د.حبيب أن موقف العراق من سوريا مهم جدا لأنه يمكن أن يؤثر على ما يجري فيها سلبا أو إيجابا ، مشيرا إلى أن جولة لاريجاني في المنطقة إنما هي محاولة جادة لإنقاذ نظام الأسد من الانهيار، ولكنه عاد ليؤكد " أنه لم يعد بإمكان إيران أو العراق مساعدة بشار الأسد على البقاء في السلطة". وبيّن حبيب أن

مساعي إيران لإشراك العراق في خططها ستورط الأخير مع قوى الثورة السورية.

"هناك تحالف طائفي معن في سوريا"

ويرى بعض المراقبين أن الصراع في سوريا ليس طائفياً، بل هو محاولة شعب مضطهد إسقاط حكومة ديكتاتورية متشبثة بالسلطة منذ أكثر من 40 عاماً، أما ما يظهر على السطح من استقطاب طائفي فسببه إقدام نظام الأسد وحلفائه في المنطقة على تكريس الصراع وإظهاره كأنه استهداف سني سلفي لأقلية علوية يمثلها نظام الأسد، وهذا ما أشار إليه د. كاظم حبيب مشيراً إلى أن "العراق متخوف مما يجري في سوريا خشية أن يمتد إليه سلبا تأثير ما يجري هناك".

لكن الكاتب والمحلل السياسي أبو فراس الحمداني رئيس تحرير موقع البوابة اختلف مع هذا الرأي، وأكد وجود تحالف طائفي معن في سوريا، كما أكد وجود إرهابيين يعبرون من تركيا إلى داخل سوريا، "وهناك أفلام عرضتها قناة 24 الفرنسية توثق هذه الوقائع"، وأشار الحمداني إلى أن الدعم الخارجي يصل إلى أيادي الإرهابيين "وهو أمر يسبب القلق للدوائر الغربية وللإدارة الأمريكية".

"إيران لم تفلح حتى الآن في إقامة تحالف شيعي يساند بشار الأسد"

على صعيد آخر، فإن اختيار لاريجاني النجف كمحطة أولى لزيارته للعراق عبّر عن رغبته في لقاء المرجعيات الشيعية الكبرى في المدينة المقدسة، لكن ما رشح إلى وسائل الإعلام كشف عن لقاء لاريجاني بالسيد محمد بحر العلوم وهو ليس من المرجعيات الشيعية العظمى، وهو أمر يبعث على التساؤل عن مدى استعداد المرجعيات الشيعية العراقية للخوض في خضم المسائل السياسية وفقاً لما يسمى بنظرية ولاية الفقيه التي يقوم عليها نظام الحكم في جمهورية إيران الإسلامية.

الكاتب أبو فراس الحمداني اقترب من هذا المفهوم مشيراً إلى أن لقاء لاريجاني بالمرجعيات العراقية قد تحقق ولكن لم يصدر عن المرجعيات أي بيان يمكن أن يدعم وجهة النظر الإيرانية، بل "إن مواقف المرجعيات من قضية سوريا ما زالت معتدلة" ومضى الحمداني إلى القول "إن مرجعية النجف كانت محايدة على طول الخط"، واستطرد مشيراً إلى أن "إيران لم تفلح حتى الآن في إقامة تحالف شيعي يساند بشار الأسد".

"مراكز القوة في إيران متفقة على الموقف من سوريا"

تسريبات خبرية غير مؤكدة أشارت إلى أن لاريجاني قد جاء إلى العراق خلافا لرغبة رئيس الجمهورية احمدي نجاد، رافضا أن يصطحب معه نائب رئيس الجمهورية الإسلامية. بعض الخبراء رأوا في هذه التسريبات مبالغة إعلامية غير ممكنة، ومنهم د.كاظم حبيب الذي أشار إلى أن مراكز القوة في إيران قد تكون مختلفة حول بعض التفاصيل الداخلية، "لكنهم وبشكل عام متفقون على الملف السوري، كما أن الاختلافات عادة تحسم لدى المرشد الأعلى للثورة خامنئي".

وفي معرض تحليله للاستقطاب الطائفي الذي يعم المشهد السياسي العربي والإسلامي، أشار حبيب إلى "أن الشعوب لا تروج الطائفية بل الحكام وجملة من شيوخ الدين، وفي اعتقادي أن موقف مرجعيات النجف التي لم تلتق بلاريجاني كان سليما".

وفي معرض رده على الاتهامات الموجهة إلى الحكومة العراقية في كونها منحازة إلى النظام الحاكم في سوريا أشار الإعلامي أبو فراس الحمداني إلى أن "أحد البيانات الصادرة عن مكتب رئيس الوزراء العراقي اعتبر ما يحصل في سوريا جرائم حرب يرتكبها النظام ضد الشعب السوري"، فكيف يصح الادعاء بان حكومة العراق تساند نظام الأسد؟ حسب تعبيره.

إيران ودول الخليج – ضفتان متنازعتان رغم علاقات الجوار

وما برحت إيران متمسكة بتصدير الثورة الإسلامية، وهو أمر يخيف دائما دول الخليج، وعلى رأسها دولة خادم الحرمين التي تتولى خلافة المؤمنين بتحالف بين آل سعود وآل شيخ في المملكة. وتكرر المشهد، فدول الخليج تندد بالتدخل الإيراني في شؤونها الداخلية وتجدد مواقفها الراضية لاحتلال إيران للجزر الثلاث في مياه الخليج. وطهران تكرر رفضها لهذه الاتهامات وبهذا يتجدد نزاع عميق في المنطقة رغم الجوار التاريخي.

عندما يتناول الإعلام مشكلة دول الخليج العربية المزمنة مع إيران، فإن الحديث يدور عادة حول مشكلة سياسية تتعلق بالخلاف القائم بشأن الحدود وعائدية الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى، التي تعتبرها كل من الإمارات وإيران جزءا من أراضيها. أما في دول الخليج العربية فإن الحديث يدور حول تدخل سياسي إيراني مستمر في سياساتها وشؤونها الداخلية.

وتعتبر جزيرة أبو موسى أكبر الجزر المتنازع عليها، إذ تبلغ مساحتها 4 أميال مربعة، ويسكنها 2000 من صيادي السمك، يتكلمون الفارسية والعربية منذ ولادتهم. وقد تصاعد التوتر بشأن الجزر في ظل تنامي الدور الإيراني في سياسات المنطقة وفي ظل صفقات الأسلحة التي تشتريها السعودية والإمارات. وطبقا لمذكرة موقعة بين إيران وبين إمارة الشارقة عام 1971 فإن الجزيرة ومصادر المنتجة للطاقة يجب أن تقسم بين الجانبين.

"إيران طلبت تأجير الجزر، ثم قامت باحتلالها"

ويستعرض الدكتور شملان العيسى، مدير مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية في الكويت، تاريخ قضية الجزر المتنازع عليها، مشيرا إلى أن الجزر قد جرى احتلالها من قبل حكومة الشاه بعد انسحاب بريطانيا من المنطقة. وبعد سقوط الشاه طالبت الإمارات إيران بإعادة الجزر، لكن الجمهورية الإسلامية في إيران رفضت ذلك. ويشير د. العيسى إلى وجود إشكالية في "أن إحدى الجزر كانت تابعة لإمارة الشارقة، فيما كانت الجزر الأخرى تابعة لإمارة أبوظبي، والإشكالية تكمن في أن إيران طلبت تأجير الجزر، ثم قامت باحتلالها."

التوتر هو الطابع الطاغي على العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية...

ويرى بعض المختصين في شؤون المنطقة أن اتهامات دول الخليج لإيران بالتدخل في شؤونها الداخلية، هي في الحقيقة اتهامات لشيعة الخليج بأنهم "ذراع إيران في المنطقة"، لكن د. العيسى لا يتفق مع هذا الرأي، مبينا أن "إيران تستغل خلافات الشيعة في بلدان الخليج مع حكومات المنطقة، وتلعب بذلك على الوتر الطائفي."

"بعض شيعة البحرين تحركهم إيران حتما"

ويرى د. العيسى أن سلوك شيعة الخليج قد "تغير" في المرحلة الأخيرة، إذ يقول: "لقد تحولت المطالب الإنسانية البسيطة لشيعة البحرين إلى المطالبة بتغيير نظام الحكم في البحرين وإقامة جمهورية إسلامية فيها". لكنه أبدى تحفظه تجاه تعميم الحكم بشأن هذا الحراك، مشيرا إلى أن "بعض شيعة البحرين تحركهم إيران حتما". ويلفت إلى أن "المعارضة البحرينية بدأت شيعة سنية، لكن مطالبها اليوم أصبحت مذهبية دينية طائفية."

ويستبعد د. العيسى أن تكون علاقة دول الخليج القوية بالغرب على مدى عقود من الزمن من أسباب العداء بينها وبين إيران، ويرى أن "تغير ميزان القوى في الخليج منذ قيام الثورة الإيرانية غير طرفي المعادلة، لكن حالة العداء بين الضفتين ظلت مستحكمة."

"مجلس الأمن رفض طلب الإمارات بضم الجزر إليها"

وكانت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية قد ذكرت في مقال نشرته في نيسان/أبريل الماضي أن دولة الإمارات العربية قد رفعت في عام 1980 مطالبها بحقوق السيادة على الجزر إلى مجلس الأمن الدولي، الذي رفضها، دون ذكر أسباب الرفض. لكن الصحيفة الأمريكية أفادت أن إيران هي التي زودت الجزيرة بالبنية التحتية (مثل الطرق والمياه والطاقة والمدارس) وأن محافظ الجزيرة إيراني الجنسية.

ويبدو أن البعد السياسي للخلاف هو الذي يسود المشهد، وقد غيب البعد الإنساني للنزاع القائم بين الطرفين، بحيث لا يلتفت أحد إلى تاريخ وجغرافية العلاقات بين إيران والساحل الغربي لدول الخليج العربية، ولا إلى التركيبة الديموغرافية المشتركة بين الضفتين، وهذا ما يشير إليه د. علي رمضان الأوسي مدير مركز

دراسات جنوب العراق. ويشدد الأوسي على ضرورة عدم تجاهل الحقائق التاريخية والمعطيات السكانية والاجتماعية، فهناك أناس سكنوا في مناطق على ضفتي الخليج على مدى قرون، واستقروا فيها وتزاوجوا وتناسلوا واستثمروا فيها أموالا كثيرة. و"اليوم تكمن المشكلة في الأنظمة الحديثة في هذه المنطقة، إذ يتعين عليها العودة إلى الوراء لكي تفهم ظروف المنطقة وتنظر إلى السكان على أساس المساواة"، دون التفرقة بين عربي أو فارسي.

وينظر العديد من المحللين إلى الخلاف الخليجي الإيراني (العربي الفارسي) باعتباره خلافا طائفا بامتياز. ويشيرون إلى مناسبات ووقائع كثيرة تثبت هذا التوجه، كان من أوضاعها الحرب العراقية الإيرانية، حين وقفت دول الخليج مع صدام حسين في حربه ضد إيران رغم مخاوفها وهواجسها من طموحات صدام التوسعية، إلى درجة أن تلك الحرب قد وُصفت بأنها حرب بالنيابة (نيابة العراق عن العرب السنة في مواجهة الفرس الشيعة). لكن د. علي رمضان الأوسي يختلف تماما مع هذا الوصف، مؤكدا أن دولا كبرى تسعى إلى التسلط على ثروات المنطقة وعلى شعوبها". ويشدد بالقول: "أعتقد أن الطائفية هي أحد الأسلحة التي استخدمتها أمريكا في المنطقة لتفريقها وتمزيقها".

"إيران تريد أن يتولى أهل الخليج إدارة شؤونهم بأنفسهم"

ويلفت الأوسي إلى "أن عرب الخليج يعيشون في شبهة (التباس)، فصدام هو الذي نكّل بهم، واحتل الكويت ودمرها، وهو الذي هدر أموال الخليج، وهو الذي طعنهم من الخلف، فكيف وقفوا معه في حرب مدمرة ضد إيران طيلة ثماني سنوات."

ويذهب الأوسي إلى القول إنّ "عرب الخليج يرتكبون خطأ استراتيجيا حين يعادون الشيعة ويعادون إيران"، موضحا أن "إيران تريد أن يتولى أبناء المنطقة - أهل الخليج- إدارة شؤونهم وتوجيه مصيرهم بأنفسهم".

شبيعة العراق: مع العرب أم مع إيران؟

تغيير توازن القوى في العراق عام 2003 فتح الباب للشبيعة وهم الأغلبية لتولي السلطة في بلد كان يتولاها فيه الربع (ربع نسبة السكان) السني على امتداد عمر الدولة. المحيط العربي يرفض هذا الواقع ويعتبر الشبيعة امتداداً إيرانياً في منطقة نفوذ تركية.

تعيش المنطقة العربية وجوارها حالة من استقطاب الطائفي الكبير، وصارت المواقف السياسية في الغالب تحسب على أسس طائفية. العراق أكثر من غيره متأثراً بسياسات الطوائف التي تعم المنطقة، لأنه يضم أكثر من مكون مذهبي، والمقصود هنا المكونات الطائفية الكبرى في البلد: السنة والشبيعة .

على حدود العراق الشرقية تقع أكبر دولة شيعية في العالم وهي إيران، التي كانت عاصمتها (طيسفون- المدائن بالتسمية العربية) تقع على بعد 30 كلم جنوب العاصمة العراقية الحالية بغداد. كما تقع على حدوده الشمالية تركيا وهي بقية الإمبراطورية العثمانية وأكبر دولة سنية في العالم، وكان العراق في ولاياته الثلاث (البصرة وبغداد والموصل) جزءاً منها حتى الربع الأول من القرن العشرين. إضافة إلى أن حدوده الجنوبية تمتد أكثر من 800 كلم مع المملكة العربية السعودية، وهي أكبر دولة سلفية في العالم ودأبت الحركة الوهابية فيها على مدى 200 عام على الإغارة على المدن الشيعية المقدسة (كربلاء والنجف والكوفة) جنوب العراق وقتل أهلها ونهب ممتلكاتهم وإحراق وتدمير معالمها. وفي كل ذلك لا يملك العراق إلا أن يتأثر بهذا المحيط المذهبي المتنوع، وقد يؤثر فيه أيضاً .

رجال السياسة ومحلوها ورجال الدين في القنوات الإعلامية المتنوعة ما فتئوا يقولون إن ولاء شبيعة العراق ليس لبلدهم بل لإيران، داعمين أقوالهم بالحجة والبرهان، فيما يمتلك شبيعة العراق إجابات عن هذه الاتهامات وفي طبيعتها أن العراق هو مهد التشيع وليس إيران التي دخلها المذهب متأخراً في العهد الصفوي في القرن الخامس عشر ميلادي، فكيف يدين شبيعة العراق لإيران بالولاء؟

الرئيس المصري السابق حسني مبارك عبّر عن مشاعر العرب بهذا الخصوص صراحة عام 2006 حين قال إن ولاء الشيعة لإيران وليس لأوطانهم، لكن النخبة السياسية في مصر اليوم وبعد أعوام على سقوط مبارك تردد نفس هذا الكلام. في تفسير ذلك تحدث الصحفي المصري علي عبد العال من مكتبه في القاهرة مشيراً إلى "أن هذه الأحكام جاءت بسبب تراكم كثير من الأحداث التي شهدتها المنطقة خلال الأعوام الأخيرة، خاصة في أعقاب الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق. وقد سمعنا الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي يعترف ويقول إن بلاده كان لها دور كبير في دخول القوات الأمريكية لأفغانستان وسيطرتها على هذا البلد. وشاهد العالم أجمع حجم التدخل الإيراني في العراق عقب الاحتلال الأمريكي، ورأى العالم أيضاً كيف خرجت أمريكا من هذه الدولة العربية وتركت إيران تحتلها، والجميع يعلم أن العراق بكل ثرواته ومقدراته في أيدي إيران الآن".

" إيران تبني الإمبراطورية الشيعية "

وفي معرض تحليله للدور الإيراني في عموم المنطقة العربية ذهب الصحفي المصري إلى أن "المواطن العربي يتذكر التدخل الإيراني في لبنان ودعمها لحزب الله إلى حد جعله يكون دولة داخل الدولة، كما يتذكر المواطن العربي الجزر الإماراتية الثلاث، ويتذكر دعم إيران للحوثيين في اليمن، ولا ينسى الأقباط الإيرانيين بأن البحرين تابعة لإيران، كل هذا يقع اليوم في خلفية ما يقال في العالم العربي ويفسره بشكل واقعي، وهي في النهاية معطيات واقعية لا يستطيع أحد إنكارها".

ويعتبر كثير من المنظرين والإعلاميين والباحثين أن الشيعة عموماً يتحركون بشكل متناغم مع السياسة الإيرانية، ويستجيبون لأهداف هذه السياسة أكثر من استجابتهم لسياسات الدول التي يسكنون فيها. علي عبد العال يقول في هذا السياق: "إيران تعمل الآن وفي وعيها التام بناء إمبراطورية شيعية على حساب العديد من دول المنطقة، بل وما يتعدى هذه الدول، فهم ينفقون أموالاً طائلة في أفريقيا، وعندنا في مصر أحزاب ممولة من إيران، وهي ليست أحزاب شيعية ولكن هناك رغبة كبيرة في خلق أحزاب داعمة لإيران في الدول العربية مما يسهل عملية التشيع".

ودخل الحوار الخبير في الشؤون الشيعية الكاتب الدكتور طالب الصراف معتبراً أن "ما قاله الصحفي عبد العال يدخل في حساب رأي النخب السياسية العربية، وهذا لا يمثل رأي الشارع، كما أن رأي الشارع لا يعتد به لأنه مسيئ حسب مقولة الإمام علي التي مفادها أن الشارع يعبر عن رأي "الهمج الرعاع".

"علماء الشيعة في العراق لا يقرون مبدأ ولاية الفقيه المطلقة"

طالب الصراف دافع عن موقف إيران مشيراً إلى "أن إيران مقارنة بتركيا حافظت على الحرف العربي في لغتها، وإيران هي التي أطاحت بالشاه، وهي التي فتحت سفارة للفلسطينيين في طهران، وهي تقف اليوم مع أبناء غزة، وإيران هي التي وقفت وتقف أمام الاحتلال الأمريكي الذي أشار إليه علي عبد العال، ونرى اليوم حجم التهديدات التي تتعرض لها هذه الدولة بسبب برنامجها النووي. أما قضية الجزر المتنازع عليها فهذه قضية بين إيران وبين دولة الإمارات ولا علاقة للآخرين بها."

وعرض الصفار دور المرجعية الشيعية في السياسة مشيراً إلى "أن كل من يقول إن المرجعية الشيعية لا تتدخل في السياسة جاهل، وأتساءل إن لم تكن المرجعية تتدخل في السياسة فلماذا يحرص القادة السياسيون الأجانب الذين يزورون العراق والساسة العراقيون على زيارة المرجعية في النجف وأخذ رأيها في الأمور السياسية؟".

"لماذا تتناغم مواقف الشيعة عبر العالم مع إيران؟"

يأخذ الجانب السني على الشيعة وجود حالة تناغم في المواقف بينهم على مستوى العالم يصب في النهاية في البوتقة الإيرانية، فيما يرى البعض أن الشيعة بعددهم يمثلون أقلية في الإسلام، وبالتالي فإنّ من الطبيعي أن تحتشد الأقلية لدعم مواقفها أمام الأغلبية ولتحافظ على تكوينها.

في هذا السياق، ذهب الصحفي المصري علي عبد العال إلى إن المراقب لا يعرف نوايا الأفراد لكنه يقيس الأمور بموجب المعطيات المتوفرة "ما نراه على الأرض الآن أن نظام بشار الأسد في سوريا في ظل القتل والتدمير الجاري في هذا البلد لا يجد من يدعمه سوى النظام الإيراني، وإيران التي تقرر أن ما يحدث في تونس ومصر وليبيا هو جزء من ثورات الربيع العربي، ترفض في الوقت نفسه أن تعتبر

ما يجري في سوريا جزءا من هذه الثورات. وهي تدعم نظام الأسد بكل قوتها لأنها تعلم مدى ولاء النظام العلوي في دمشق لها، وأن سقوطه سيفقد حليفها قويا في المنطقة العربية ."

أنتهى الكتاب، ولا زالت قوة المساجد العميقة تتصارع بين الجانبين السني والشيوعي، وكان لمقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده بإسطنبول في تشرين الأول/ أكتوبر 2018 وتداعياتها دويٌّ كبير في تركيا راعية المشهد الإخواني السني، وفي السعودية دولة المقدسات الاسلامية القائمة على تحالف وهابي عشائري، وسيسمع صدى لهذا الدوي في إيران دولة المساجد العميقة.

شكر

الشكر متصل لمصمم الغلاف الفنان فاضل جمود.

صورة الغلاف بعدسة الصحفي الصديق عباس الحشائي

فله وافر الشكر



هذا الكتاب

يعرض حقائق حول إيران وليس شتائم.
سر إصرار السلطة على وصف «الجمهورية الإسلامية في إيران».
إذا كنت عدواً لإيران فستجد ضالتك في هذا السفر.
وإن كنت محباً لهذا البلد فسوف تجد ما يرضيك في هذه الوثيقة.
انتخابات إيران حقيقية، ووصفها بالمزورة مجافٍ للحقيقة.
الانتخابات نعم، ولكن ماذا عن حقوق الإنسان وحقوق المكونات الصغرى؟
دولة ديمقراطية لكنّ سلطاتها تشنق من تصفهم بالمجرمين بالرافعات في الشوارع.
حكومة منتخبة برلمانية لكنها تخضع بالمطلق لسلطة المرشد الأعلى.
تؤدج الإعلام وتمنع أجهزة الساتلايت وتراقب الانترنت وتمنع فيسبوك.
دولة تصنع ما تأكل وتلبس، لكنها تقدم المعمم في كل شيء على غير المعمم.
سياحة في بيوتهم وموائدهم وعشقتهم وتوثيق عن نساءهم وتحديهن للعمامة.
حقائق عن المدارس والجامعات والفن المحظور في بلد الحضارات.
حقائق عن القوانين وقوة القاضي المعمم وقوة القانون في حياة الناس.
هذا الكتاب يضيف للعقل العربي حقائق عن إيران لا يعرفها كثيرون.